

تأليف أبي عبد الله
فيصل بن عبيد وقائد الحاشري
حفظه الله

ملا عظم النساء



دار الامارات
الإسكندرية

دار القيمة
الإسكندرية

مؤلفات النساء

تأليف أبي عبد الله
فصل بن عمرو وأبي الحارثي
عفا الله عنه

دار الأمان
الإسكندرية

دار القلم
الإسكندرية

ضوئياً بـ Calligraffiti



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اسم الكتاب: مواعد النساء
تأليف فضيلة الشيخ ، فيصل العاشدي

رقم الإيداع: ٩٩٨٥ / ٢٠٢١.

نوع الطباعة: لون واحد.

عدد الصفحات: ٣٠ .

القياس: ٢٤X١٧.

محموظ
جميع حقوق

تجهزت فنية،

مكتب دار الإيمان لتجهيزات الفنية

أعمال فنية وتصميم الفلاش / بسري حسن .

٢٠٢١



١٧ شارع خليل الخياط - مصطفي كامل - الإسكندرية.
لليطاكس: ٤٤٥٣٦٩ - ٥١١٩٤٦

المبيعات

١٩ شارع خليل الخياط - مصطفي كامل - الإسكندرية.
لليطاكس: ٤٤٥٣٦٩ - ٥١١٩٤٦

dar_aleman@botmail.com

فرعنا في الجمهورية اليمنية

دار الإيمان المتحدة

أمام مستشفى الصوفي - نقل مدارس اليمن الحديثة
مقابل بنك سبأ - شارع وادع - محافظة ذمار

جوال: ٧٧٥٢٠٩٩٢٥

صوئي بـ CamScanner



ضويب بـ CamScanner



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. أما بعد:

فيا لله ما أحوَجَ النساءَ للمواعِظِ؛ لأنَّهنَّ في الغالبِ أَلْبِنُ أَفئدةٍ وَأَرْقُ قلوبًا وَأَسْرَعُ انقيادًا للخيرِ أو للشرِّ، فهنَّ قَلْبُ المجتمعِ النابضِ إذا صَلَحَ القَلْبُ صَلَحَ المجتمعُ وإذا فَسَدَ فَسَدَ المجتمعُ، ولقد أدركَ ذلك أعداءُ المِلَّةِ على اختلافِ مشربهم فَسَعَوْا جاهدين لإفسادِهنَّ، وبأبى الله إلا أن يُنمَّ نوره.

وكما أن الله يُحْيِي الأرضَ الجَدْبَةَ الهامدةَ، وَيُلْبِثُهَا بِالغَيْثِ. ويجعلُ فيها الحركةَ والحيويةَ والحياةَ البهيجةَ، فَتَنْبِتُ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ:
أَوْ لَمْ تُبْصِرُوا إِلَى الْأَرْضِ تُسْقَى ثُمَّ تَهْتَرُ بِالنُّبَاتِ الْعَمِيمِ
فكذلك المواعِظُ حياةُ القلوبِ ونماءُ الإيمانِ وزكاءُ النفسِ وسبيلُ السعادةِ والفلاحِ في الدنيا والآخرة.

والقلوبُ العامرةُ بالإيمانِ تهتزُّ للمواعِظِ اهتزازَ الأرضِ المجذبةِ للسماءِ الماطرةِ.
تهتزُّ مثلُ اهتزازِ العُصْنِ حركتهُ مرورُ غَيْثٍ من الوَسْمِيِّ سَحَاحِ

مواظبة النساء



وبين يديك مواظبة للنساء كتبها لبعض بناتي - أصلحهن الله - يستفيدن ويفقدن
غيرهن (١).

قدوتك كتابي هذا اقرأ منه على أهلِكَ كلَّ أسبوعٍ موعظةً وليقرأ منه أهلُكَ أختك
أمُّكَ على النساءِ في مساجِدِ النساءِ أو مجالسِهِنَّ واجتماعاتِهِنَّ في البيوتِ أو عندَ
اللقاءاتِ العائليَّةِ، فهذا - لعمري - من القولِ الحَسَنِ ولا قولَ أَحْسَنُ منه: ﴿وَمَنْ
أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

ختامًا، أسأل الله العظيم بأسمائه الحُسنى وصفاته العلى أن يجعل كتابتي كلها
خالصةً لوجهه الكريم، وأن ينفعني بها وكلُّ مَنْ قرأها أو سمعها، ويجعل فيها البركة
والقبول إن ربي سميعٌ مجيبٌ.



(١) من بابِ التَّعَدُّثِ بنعمةِ اللهِ رَزَقَنِي اللهُ - ولهُ الحَمْدُ - من الإناثِ ثمانَ وُهنَ: أُمَّهُ اللهُ، وأُمَّهُ
الرَّحْمَنِ، وأُمَّهُ الرَّحِيمِ، وأُمَّهُ المَخَالِيقِ، وأُمَّهُ المَلِكِ، وأُمَّهُ العَزِيزِ، وأُمَّهُ الإلهِ، وأُمَّهُ الكَرِيمِ.
ومن الذكورِ سبعةٌ وُهمُ: عبدُ اللهِ، وعبدُ الرَّحْمَنِ، وعبدُ الرَّحِيمِ، وعبدُ المَخَالِيقِ، وعبدُ المَلِكِ،
وعبدُ العَزِيزِ، وعبدُ الإلهِ، وحُسْنُ التَّسْمِيَةِ رِزْقٌ وَفَضْلٌ مِنَ اللهِ - ولهُ المَنُّ والْفَضْلُ - وليسَ مِنَّا
شيءٌ، أسألُ اللهُ تعالى أنْ يُنِيتَ أولادِي وأولادَ المُسلمينَ جميعًا نَبَاتًا حَسَنًا، وَيُقَفِّهَهُمْ في الدينِ،
ويجعلَهُم مُبَارَكِينَ أينما كانوا.

ة ضويوب ب CalilScalmer



مراتبُ الإسلامِ

أول عظة النساء



ة ضويب بـ CamScanner



المرتبة الأولى: الشهادتان

١- شهادة أن لا إله إلا الله

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١١٢] ﴿١١٢﴾ [١] ﴿يَأْتِيهَا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿١﴾ [النساء: ١]. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] ﴿٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإنَّ أصدقَ الحديثِ كلامُ اللهِ، وخَيْرُ الهِدي هِديُّ مُحَمَّدٍ - صلى اللهُ عليه وعلى آله وسلم - وسرُّ الأمورِ مُحدثاتها وكُلُّ مُحدثَةٍ بدعةٌ، وكُلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكُلُّ ضلالةٍ في النارِ (١).

أما بعدُ فحديثي اليومَ سيكونُ عن كلمةِ الإخلاصِ، وكلمةِ التقوى، والعروة.

(١) فائدة: ذَكَرَ الإمامُ الألبانيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ تَرَكَ هَذِهِ الْخُطْبَةَ - خُطْبَةَ الْحَاجَةِ - هُوَ مِنْ أَسْبَابِ عَدَمِ حُصُولِ الْفَائِدَةِ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الدَّرُوسِ وَالْمَحَاضِرَاتِ [وَالكُتُبِ]، مَعَ جِزْءِ النَّبِيِّ ﷺ الْبَالِغِ عَلَى تَعْلِيمِهِ أَصْحَابِهِ إِيَّاهَا، وَاسْتَدَلَّ الإمامُ الألبانيُّ عَلَى ذَلِكَ بِحَدِيثٍ: «كُلُّ خُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشْهَدٌ؛ كَالنِّدْبِ الْجَفْمَاءِ - أَي: الْمَقْطُوعَةِ -»، وَيَبَيِّنُ بِضَعْفٍ أَنَّ الْمُرَادَ بِالتَّشْهَدِ هُنَا هُوَ: خُطْبَةُ الْحَاجَةِ. انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» تحت الحديث رقم (١٦٩).

أركان التوحيد

١٠

ومعنى لا إله إلا الله، لا معبود بحق إلا إله واحد، وهو الله وحده لا شريك له، قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَابِئًا بِأَلْفِ سَبْعِينَ مِائَةً أَلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

ولكلمة التوحيد ركنان:

الرُّكْنُ الْأَوَّلُ: النفي: وهو نفي الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى من جميع المخلوقات كائنات من كان.

الرُّكْنُ الثَّانِي: الإثبات: وهو إثبات الإلهية لله وحده دون كل ما سواه، فهو الإله الحق وما سواه من الآلهة باطل^(١)، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠].

وكلمة التوحيد لا تنفع قائلها إلا إذا عمِلَ بشروطها، وهي ثمانية شروطٍ نظمها بعضهم بقوله:

عَلِمَ، يَقِينٌ، وَإِخْلَاصٌ، وَصِدْقٌ مَعِ مَخْبِئَةٌ وَانْقِيَادٌ وَالْقَبُولُ لَهَا
وَزَيْدٌ ثَابِتٌهَا الْكُفْرَانُ مِنْكَ بِمَا سِوَى الْإِلَهِ مِنَ الْأَتَادِ قَدْ أُلِيهَا

الشرط الأول: العلمُ بمعناها المنافي للجهلِ وتقدّم أن معناها: لا معبود بحق إلا الله تعالى، فجميع الآلهة التي يعبدها الناس سوى الله - تعالى - كلها باطلة.

قال الله ﷻ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

(١) «تحفة الإخوان» ابن باز (٢٤).



وفي «صحيح مسلم»^(١) عَنْ عُمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

الشرط الثاني: اليقينُ المُنَافِي للشُّكِّ، فلا بُدَّ في حَقِّ قَائِلِهَا أَنْ يَكُونَ عَلَى يَقِينٍ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْمَعْبُودُ بِحَقٍّ؛ فَإِنَّ الْإِيمَانَ لَا يُغْنِي فِيهِ إِلَّا عِلْمُ الْيَقِينِ لَا عِلْمُ الظَّنِّ أَوْ التَّوَقُّفِ وَالتَّرَدُّدِ، فَكَيْفَ إِذَا دَخَلَهُ الشُّكُّ؟!، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

وفي «صحيح مسلم»^(٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

وفي «صحيح مسلم»^(٣) - فِي حَدِيثِ طَوِيلٍ لِأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَذْهَبَ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ فَمَنْ لَقِيَته مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَقِيمًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشَّرُهُ بِالْجَنَّةِ».

فَاشْتَرَطَ فِي دُخُولِ قَائِلِهَا الْجَنَّةَ أَنْ يَكُونَ مُسْتَقِيمًا بِهَا قَلْبُهُ غَيْرَ شَاكٍ فِيهَا، وَإِذَا انْتَفَى الشَّرْطُ انْتَفَى الْمَشْرُوطُ^(٤).

الشرط الثالث: القبولُ المُنَافِي للردِّ، فَيَقْبَلُ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ جَمِيعَ مَا ذَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْكَلِمَةُ، وَيُؤْمِنُ بِأَنَّهُ حَقٌّ وَعَدْلٌ، قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - عَنِ الْمُشْرِكِينَ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

(١) أخرجه مسلم (٤٦).

(٢) رواه مسلم (٢٧).

(٣) رواه مسلم (٣١).

(٤) انظر: معارج القبول، (١٤٠/٢).

يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَ الْهَيْتَانِ الشَّاعِرِ نَجْتُونِ ﴿٣٦﴾ [الصفوات: ٣٥-٣٦].

فَمَنْ نَطَقَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ وَلَمْ يَقْبَلْ بَعْضَ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ إِثْمًا كَبِيرًا أَوْ حَسَدًا أَوْ لِيغْيِرَ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَفِيدُ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ شَيْئًا.

الشرط الرابع: الانقياد المنافي للتَّرك، فينقاد لما دَلَّتْ عليه، وَيَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَيَعْمَلُ بِشَرِيعَتِهِ، وَيُؤْمِنُ بِهَا وَيَعْتَقِدُ أَنَّهَا الْحَقُّ، وَلَعَلَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَبُولِ: أَنَّ الْإِنْقِيَادَ هُوَ الْإِتْبَاعُ بِالْأَفْعَالِ وَالْقَبُولَ إِظْهَارُ صِحَّةِ مَعْنَى ذَلِكَ بِالْقَوْلِ...

الشرط الخامس: الصِّدْقُ الْمُنَافِي لِلْكَذِبِ وَهُوَ أَنْ يَقُولَهَا وَهُوَ صَادِقٌ فِي ذَلِكَ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ يَطَابِقُ قَلْبَهُ لِسَانَهُ وَلِسَانُهُ قَلْبَهُ؛ فَإِنْ قَالَهَا بِاللِّسَانِ فَقَطُّ وَقَلْبُهُ لَمْ يُؤْمِنُ بِمَعْنَاهَا فَيَكُونُ مِنْ جُمْلَةِ الْمُنَافِقِينَ كَمَا قَالَ ﷺ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ١]، فَكَذَّبَهُمُ اللَّهُ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ ﴿١﴾.

وفي «الصحيحين» من حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ» (١)، فَاشْتَرَطَ فِي النِّجَاةِ مِنَ النَّارِ أَنْ يَقُولَهَا صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ.

الشَّرْطُ السَّادِسُ: الْإِخْلَاصُ الْمُنَافِي لِلشَّرْكِ وَهُوَ تَصْفِيَةُ الْعَمَلِ بِصَالِحِ النِّيَّةِ عَنْ جَمِيعِ شَوَائِبِ الشَّرْكِ فَيُخْلِصُ الْعَبْدُ لِرَبِّهِ فِي جَمِيعِ الْعِبَادَاتِ. وَإِذَا صَرَفَ شَيْئًا مِنْهَا لِغَيْرِ اللَّهِ: مِنْ نَبِيٍّ أَوْ وَلِيٍِّّ، أَوْ مَلِكٍ، أَوْ صَنَمٍ، أَوْ جِنِّيٍّ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ وَنَقَضَ هَذَا الشَّرْطَ وَهُوَ شَرْطُ الْإِخْلَاصِ.

(١) رواه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٢٢).



قال تعالى: ﴿فَاعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «لقد ظننتُ يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أولٌ منك لِمَا رأيتُ من حرصك على الحديث، أسعدُ الناسِ بشفاعتي يومَ القيامة من قال: لا إلهَ إلا اللهُ خالصاً من قلبه، أو نفسه» (١).

الشرط السابع: المحبة المنافية للبغض، فيحبُّ على العبد أن يحبَّ الله ﷻ، فيحبُّ كلمة التوحيد، ويحبُّ ما اقتضته ودلت عليه، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن بَرَقَدٍ مِّنَكُم مِّن دِينِهِمْ فَيَسْوَفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْرٍ مُّحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وفي «صحيح البخاري» (٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْفُرَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْفُرُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ».

وإذا أحبَّ العبدُ الله ﷻ فإنه يُحبُّ مَنْ يُحبُّ الله ورسوله؛ لأنَّ مَنْ أَحَبَّ أَحَدًا أَحَبَّ مَنْ يُحِبُّهُ، ففي سنن أبي داود بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ».

(١) رواه البخاري: (٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

(٣) (صحيح) أخرجه أبو داود (٤٦٨١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٦٨١).

ولهذا قال ابن القيم رحمه الله تعالى في نونيته:

شُرْطُ الْمَحَبَّةِ أَنْ تَوَافِقَ مَنْ تُحِبُّ عَلَى مَحَبَّتِهِ بِلا عِصْيَانِ
فَإِذَا ادْعَيْتَ لَهُ الْمَحَبَّةَ مَعَ جِلا
أَتُحِبُّ أَعْدَاءَ الْحَبِيبِ وَتَدْعِي
وَكِذَا تُعَادِي جَاهِداً أَحِبَّابَهُ
أَيْنَ الْمَحَبَّةُ يَا أَخَا الشَّيْطَانِ (١)

الشَّرْطُ الثَّامِنُ: الْكُفْرُ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَهُوَ أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ، وَيَعْتَقِدَ أَنَّهَا بَاطِلَةٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ ادْعُوا اللَّهَ وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

قال ابن القيم رحمه الله: «الطَّاغُوتُ: كُلُّ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حُدُودَهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتَّبِعٍ أَوْ مُطَاعٍ؛ فَطَّاغُوتُ كُلِّ قَوْمٍ مَنْ يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهِ غَيْرَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، أَوْ يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، أَوْ يَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ مِنَ اللَّهِ» (٢).

وفي «صحيح مسلم» (٣) من حديث أبي مالك عن أبيه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حُرْمَ مَالِهِ وَدَمِهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ».

وَأَمَّا مَنْ كَانَ لَا يَرْضَى بِعِبَادَةِ الْمَخْلُوقِينَ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ: كَالْأَنْبِيَاءِ، وَالصَّالِحِينَ، وَالْمَلَائِكَةِ، فَإِنَّهُمْ لَيَسُوا بِطَوَاعِيَّتِ، وَإِنَّمَا الطَّاغُوتُ هُوَ الشَّيْطَانُ الَّذِي دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَتِهِمْ وَرَزَقَهَا لِلنَّاسِ، وَمِنْ أَعْظَمِ الْأَدَلَّةِ عَلَى وَجوبِ الْكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ وَجَمِيعِ مَا يُعْبَدُ مِنْ

(١) انظر: شرح القصيدة التونية لابن القيم للدكتور محمد خليل الهراس، (٢/ ١٣).

(٢) أعلام الموقنين (١/ ٤٠).

(٣) رواه مسلم (٤٠).



دُونَ اللَّهِ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لِلْكَفَّارِ: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٧﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٧-٢٨]، فَاسْتَسْتَيْتُ مِنَ الْمَعْبُودِينَ رَبِّي، وَذَكَرَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - أَنَّ هَذِهِ الْبِرَاءَةَ وَهَذِهِ الْمَوَالَاةُ هِيَ تَفْسِيرُ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٨]، وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرَّمَ مَالَهُ وَدَمُّهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ».

وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يَبِينُ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلِ التَّلْفُظَ بِهَا عَاصِمًا لِلدَّمِ وَالْمَالِ، بَلْ وَلَا مَعْرِفَةً مَعْنَاهَا مَعَ لَفْظِهَا، بَلْ وَلَا الْإِقْرَارَ بِذَلِكَ، بَلْ وَلَا كَوْنَهُ لَا يَدْعُو إِلَّا اللَّهَ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، بَلْ لَا يَحْرُمُ مَالَهُ وَدَمُّهُ حَتَّى يُضَيَّفَ إِلَى ذَلِكَ الْكُفْرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَإِنْ شَكَّ أَوْ تَوَقَّفَ لَمْ يَحْرُمِ مَالَهُ وَدَمُّهُ، فَيَأْتِيهَا مِنْ مَسْأَلَةٍ مَا أَعْظَمَهَا وَأَجْلَهَا، وَيَأْتِيهِ مِنْ بَيَانِ مَا أَوْضَحَهُ، وَحُجَّةٍ مَا أَقْطَعَهَا لِلْمُنَازَعِ (١).

اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَرَزَقَهَا أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ رِزْقَاهَا. أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُودُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَسْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَسْأَلَةِ وَخَيْرَ الدُّعَاءِ وَخَيْرَ النَّجَاحِ، وَخَيْرَ الْعَمَلِ وَخَيْرِ الثَّوَابِ، وَخَيْرِ الْحَيَاةِ وَخَيْرِ الْمَمَاتِ، وَثَبَّتْنَا وَثَقَّلْنَا مَوَازِينَنَا، وَحَقَّقْنَا إِيمَانَنَا وَارْفَعْنَا دَرَجَاتِنَا، وَتَقَبَّلْ صَلَاتِنَا، وَاعْفِرْ خَطِيئَتِنَا، وَنَسْأَلُكَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْفَعَ ذِكْرَنَا، وَتَضَعِ وِزْرَنَا، وَتُصَلِّحَ أَمُورَنَا، وَتُطَهِّرَ قُلُوبَنَا، وَتُحَصِّنَ قُرُوبَنَا، وَتُنَوِّرَ قُلُوبَنَا، وَتَعْفِرَ ذُنُوبَنَا.



(١) «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ص ٨١).

٢- شهادة أن مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُوبِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿تَأْيِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: ١٠١]، ﴿تَأْيِهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ فِيهِمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]، ﴿تَأْيِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعدُ فحديثي اليوم عن شهادة أن مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.

فمن معلوم بالضرورة أنه لا يُمكن أن تستقيم لا إله إلا الله على الوجه الشرعي المقبول الصحيح إلا إذا شهد أن مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؛ لأنَّ من مقتضيات ولوازم وضرورات لا إله إلا الله، طاعة الله في الاستجابة لأمر رسوله ﷺ فهذه مُتَضَمِّنَةٌ لِهَذِهِ بل حتى أن شهادة أن مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أيضًا تُستلزم أركان الإسلام الأخرى، فعلى هذا نقول: إن هذا مُفسَّرٌ بذلك، فلا يُتَوَقَّعُ بل لا يُمكن أن يكون إنسان يقول: لا إله إلا الله أو يقول: أنا مؤمن بالله ويدعي الإسلام إذا لم يشهد أن مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وإذا لم يفعل ذلك فإنه لم يدخل في الإسلام بل هو كافر حلال الدم.



ومعنى محمد رسول الله ﷺ:

هو التصديقُ الجازمُ من صميم القلبِ المواطئِ لقولِ اللسانِ بأنَّ محمدًا عبد الله ورسولُهُ إلى كافَّةِ الناسِ: إنَّسِهِمْ وَجَنَّهُمْ، شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فيجبُ تصديقهُ في جميعِ ما أُخبرَ به من أنباءٍ ما قَدْ سَبَقَ وأخبارٍ ما سِيَّأَتْ، وفيما أَحَلَّ من حلالٍ وَحَرَّمَ من حرامٍ، والامثالُ والانتقائُ لما أَمَرَ، والكفُّ والانتهاؤُ عما نَهَى عنه. وإتباعُ شريعتهِ، والتزامُ سُنَّتهِ مع الرِّضا بما قالَهُ والتسليمُ لَهُ.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: «ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله: طَاعَتُهُ فِيما أَمَرَ، وَتَصَدِيقُهُ فِيما أُخْبِرَ، وَاجْتِنَابُ ما نَهَى عَنْهُ وَرَجْرَ، وَأَنْ لا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِما شَرَعَ»^(١).

فيجبُ الإيمانُ بشريعتهِ ﷺ، والانتقائُ لها: قولًا، وعملاً، واعتقادًا: من الإيمان بالله، وملائكتهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ، وبالْيَوْمِ الآخِرِ، وبالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، والقيامِ الكَامِلِ بأركانِ الإسلامِ: من شهادة، وصلوة، وزكاة، وصيام، وحج، وغير ذلك مِمَّا شَرَعَ اللهُ على يَدِهِ ﷺ كالأحسانِ بأنواعِهِ^(٢).

ومن مقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله معرفتهُ ﷺ وهذا هو الأصلُ الثالثُ من الأصولِ الثلاثةِ التي يَجِبُ على كُلِّ مسلمٍ معرفتها وهي: معرفةُ العَبِيدِ رَبِّهٖ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ^(٣). وهو محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الْمُطَّلِبِ، بنِ هاشِمٍ، وهاشِمٌ من قريشٍ وقريشٌ من العَرَبِ، والعَرَبُ من ذُرِّيَةِ إِسْمَاعِيلَ بنِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ عليه وعلى

(١) الأصول الثلاثة مع حاشيتها لابن القاسم، ص (٥٧).

(٢) انظر: مجموع فتاوى العلامة ابن باز، (٤/ ١٢، و ١٦).

(٣) الأصول الثلاثة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

نبينا أفضل الصلاة والسلام، وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبياً رسولاً، نبىً بـ(أقرأ) وأزسَل بالمُدثِّر، وَيَلدُهُ مَكَّةُ وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، بَعَثَهُ اللهُ بِالنَّذَارَةِ عَنِ الشَّرِكِ وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أَمَرَ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمَدِينَةِ أَمَرَ بِبَقِيَّةِ شَرَايِعِ الْإِسْلَامِ مِثْلَ: الزَّكَاةِ، وَالصَّلَاةِ، وَالْحَجِّ، وَالْجِهَادِ، وَالْأَذَانَ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ وَبَعْدَهَا تُوَفِّيَ- صَلَاةُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَدِينُهُ بَاقٍ وَهَذَا دِينُهُ، لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ أُمَّتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا شَرٌّ إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَهُوَ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَقَدْ بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ اللهُ طَاعَتَهُ عَلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ^(١).

وَتَحْصُلُ مَعْرِفَتُهُ ﷺ بِدِرَاسَةِ حَيَاتِهِ^(٢)، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْعِبَادَةِ، وَالْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ، وَالِدَعْوَةَ إِلَى اللهِ ﷻ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ -تَعَالَى-، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ جَوَانِبِ حَيَاتِهِ ﷺ، فَيَنْبَغِي لِكُلِّ مُسْلِمٍ يَرِيدُ أَنْ يَزِدَادَ مَعْرِفَةَ نَبِيِّهِ وَإِيمَانًا بِهِ أَنْ يَطَالِعَ مِنْ سِيرَتِهِ مَا تَسَّرَ: فِي حَرْبِهِ وَمِثْلِهِ، وَشِدَّتِهِ وَرِخَائِهِ، وَسَفَرِهِ وَإِقَامَتِهِ، وَجَمِيعِ أَحْوَالِهِ نَسْأَلُ اللهُ ﷻ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الْمُتَّبِعِينَ لِرَسُولِهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَأَنْ يُبَيِّنَا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى نَلْقَاهُ وَهُوَ رَاضٍ عَنَّا^(٣).

(١) الأصول الثلاثة، لمحمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- ص (٧٦، ٧٧).

(٢) انظر: كتابي العسل المصنوع من سيرة النبي المصطفى ﷺ ففیه مَا يَمَلَأُ الصُّدْرَ وَالنُّعْرَانَ شَاءَ اللهُ.

(٣) انظر: فتاوى العلامة محمد بن صالح العثيمين، (٦/٣٩).



ومن مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ معرفة مُعْجَزَاتِهِ التي تَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِ، وَالْعَهْدُ بِهَذِهِ الْمَعْجَزَاتِ قَرِيبٌ، وَنَاقِلُوهَا أَصْدَقُ الْخَلْقِ وَأَبْرَهُمْ، وَنَقَلُهَا ثَابِتٌ بِالتَّوَاتُرِ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ، وَأَعْظَمُهَا مُعْجِزَةُ الْقُرْآنِ، لَمْ يَتَغَيَّرْ وَلَمْ يَتَبَدَّلْ مِنْهُ شَيْءٌ، بَلْ كَانَتْ مُتَزَلَّةً الْآنَ، وَمَا أَخْبَرَ بِهِ يَقَعُ كُلُّ وَقْتٍ عَلَى الرَّجْحِ الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ، كَأَنَّهُ يُشَاهِدُهُ عَيَانًا، وَقَدْ عَجَزَ الْأُولُونَ وَالْآخِرُونَ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

وَلَا يُمَكِّنُ لِيَهُودِيٍّ أَنْ يُؤْمِنَ بِنُبُوَّةِ مُوسَى ﷺ إِنْ لَمْ يُؤْمِنَ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَا يُمَكِّنُ لِنَصْرَانِيٍّ أَنْ يَقَرَّ بِنُبُوَّةِ الْمَسِيحِ ﷺ إِلَّا بَعْدَ إِقْرَارِهِ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لِأَنَّ مَنْ كَفَرَ بِنُبُوَّةِ نَبِيٍّ وَاحِدٍ فَقَدْ كَفَرَ بِالْأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ، وَلَمْ يَنْفَعَهُ إِيمَانُهُ بِبَعْضِهِمْ دُونَ بَعْضٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ [١٥٠] أَوْلَيْكَ هُمْ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَوْلَيْكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَظِيمًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

وَلَا يَنْفَعُ أَهْلَ الْكِتَابِ شَهَادَةُ الْمُسْلِمِينَ بِنُبُوَّةِ مُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ آمَنُوا بِهِمَا عَلَى يَدِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَكَانَ إِيمَانُهُمْ بِهِمَا مِنَ الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ، فَلَوْلَا مَا عَرَفْنَا نُبُوَّتَهُمَا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِأَيْدِي أَهْلِ الْكِتَابِ عَنِ أَنْبِيَائِهِمْ مَا يُوجِبُ الْإِيمَانَ بِهِمْ؛ فَلَوْلَا الْقُرْآنُ وَمُحَمَّدٌ ﷺ مَا عَرَفْنَا شَيْئًا مِنْ آيَاتِ الْأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ، فَمُحَمَّدٌ ﷺ وَكِتَابُهُ هُوَ الَّذِي قَرَّرَ نُبُوَّةَ مُوسَى وَعِيسَى، لَا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، بَلْ نَفْسُ ظَهْوَرِهِ، وَمَجِيئُهُ تَصْدِيقًا لِنُبُوَّتِهِمَا؛ فَإِنَّهُمَا أَخْبَرَا بِظَهْوَرِهِ، وَبَشَّرَا بِظَهْوَرِهِ: ﴿ وَمُبَشِّرًا رُسُلِهِ يَأْتِي مِنْ بَدَنِ أَحْمَدٍ ﴾ [الصف: ٦]، فَلَمَّا بُعِثَ كَانَ بَعْتُهُ تَصْدِيقًا لَهُمَا، قَالَ تَعَالَى عَنِ

محمد ﷺ: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الصافات: ٢٧).

فمجيئته تصديقٌ لهما من جهتين: من جهة إخبارهم بمجيئته ومبعثه، ومن جهة إخباره بمثل ما أخبروا به وشهادته بنبوتهم، ولو كان كاذبًا لم يصدق من قبله، كما يفعل أعداء الأنبياء (١).

ومن أعظم الأدلة على صدقه ﷺ أنه قال لليهود لما بهتوا: ﴿فَتَمَنَّا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٩٤)، ولم يجسر أحدٌ منهم على ذلك - مع اجتماعهم على تكذيبه وعداوته - لما أخبرهم بحلول الموت بهم إن أجابوه إلى ذلك، فلولا معرفتهم بحالِهِ في كتبهم، وصدقِهِ فيما يُخبرهم به لَسألوا الله الموت لأيّ الفريقين أكذب، منهم أو من المسلمين على وجه السباهلة (٢)، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٦) وَلَا يَسْتَمْتُونَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧)﴾ (الجمعة: ٧).

ومن مقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله تصديقه فيما أتى به قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ (الفتح: ١٣) وفي الصحيح مسلم (٣) عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ».

(١) انظر: ذرة تعارض العقل والنقل، ٥/ ٧٨-٨٣، ودقائق التفسير لابن تيمية، (١/ ٣٤)، وإغاثة اللهفان لابن القيم، (٢/ ٣٥١، ٣٥٠)، وهداية الحيارى، (٦٣٥).

(٢) انظر: ذرة تعارض العقل والنقل لابن تيمية، ٧/ ٩٩، وتفسير ابن كثير، (١/ ١٢٩، ١٢٨)، وتفسير السعدي، (١/ ١١٤).

(٣) رواه مسلم (٢١).



والإيمانُ به ﷺ هو تصديقُ نبوتِهِ، وأنَّ اللهَ أرسلَهُ لِلجِنِّ وَالإِنْسِ، وتصديقُهُ في جميعِ ما جاءَ به وقالَهُ، ومطابَقَةُ تصديقِ القلبِ بِذلكِ شهادَةَ اللسانِ، بأنَّهُ رسولُ اللهِ، فإذا اجتمعَ التصديقُ به بالقلبِ والنُّطقُ بالشهادَةِ باللسانِ، ثم تطبیقُ ذلكِ بالعملِ بما جاءَ به ثمَّ الإيمانُ به ﷺ (١).

ومن مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله الإيمانُ بعمومِ رسالته ﷺ وختيمها لجميعِ النبواتِ.

فَيَجِبُ الإِيْمَانُ أَنَّهُ رَسولُ اللهِ إِلَى جَمِيعِ الخَلْقِ: إِنْسِهِمْ وَجَنَّتِهِمْ، عَرَبِيَّهُمْ وَعَجَبِيَّهُمْ، كِتَابِيَّهُمْ وَمَجُوسِيَّهُمْ، رَثِييَّهُمْ وَمَرْزُوسِيَّهُمْ، وَأَنَّهُ لَا طَرِيقَ إِلَى اللهِ بِغَيْرِكَ لِأَحَدٍ مِنَ الخَلْقِ إِلَّا بِمَتَابَعَتِهِ ﷺ باطنًا وظاهرًا، حتى لو أدركهُ موسى وعيسى، وغيرُهُم من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، لوجب عليهم اتباعُهُ، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآ أَتَيْتُكُمْ مِنْ حَتْمِ بَحْرٍ مَجْمُومٍ وَأَنْتُمْ كَأَنَّكُمْ كَاهِنٌ غَرَّبْتُمْ أَنْ تُصَلُّوا عَلَيْهِمْ وَقُلْتُمْ لَنْ نُؤْمِنَ بِهٖ، وَلَنْ نَحْمِلُ عَثَرَتَهُ قَالَ أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَأَشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران: ٨٢].

ولهذا جاءَ في مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدِ حَسَنٍ الألبانيُّ في الإرواءِ (٢) عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لو كان موسى حيًّا بين أظهرِكُم ما حَلَّ له إلا أن يَبْعَثَنِي».

وعمومُ رسالته ﷺ لجميعِ الإنسِ والجِنِّ في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ من بعثته إلى يومِ القيامةِ، وكونُها خاتِمَةَ الرِسالاتِ، يقضي ويدُلُّ دلالةً قاطعةً على أن النبوةَ قد انقطعتْ بانقطاعِ الوحيِ بَعْدَهُ، وأنَّهُ لا مُصدِرَ للتشريعِ والتَّعبيدِ إلا كتابُ اللهِ - تعالى -

(١) انظر: الشفا بتعريف حُقوقِ المصطفى ﷺ للقاضي عياض، (٢/ ٥٣٩).

(٢) حَسَنٌ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣/ ٣٣٨) وَحَسَنَةُ الألبانيُّ في الإرواءِ (٧٨٩).

وسنة رسوله ﷺ، وهذا يقتضي وجوب الإيمان بعموم رسالته، وإتباع ما جاء به، وفي صحيح مسلم،^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ».

والإشارة في قوله ﷺ: (هذه الأمة) لإمة محمد ﷺ، وهي كل من كان في زمنه ومن جاء أو سيجيء من بعده إلى يوم القيامة من عرب وعجم؛ لأن محمداً أُرسل خاتماً للأنبياء والمرسلين، ورسالته عامة للإنس والجن، فأمتة هم الذين كانوا في وقته، والذين يأتون من بعده من جميع الأجناس إلى يوم الدين.

وإنما خص اليهودي والنصراني بالذكر؛ لأنهما أشد الناس عدوة للإسلام، ولأنهما صاحبا كتاب.. وإذا كان صاحب الكتاب مأموراً بالإيمان بمحمد ﷺ وعمومها وشمولها لجميع الثقليين: الإنس والجن، في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة، قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ ﴿١٠١﴾ [الأنعام: ١٠٤].

اللَّهُمَّ افِئِّمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تَبْلُغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا يَهْوُنُ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا. وَمَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا. وَاجْعَلْ نَارَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمًّا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

(١) رواه مسلم (١٥٣).



نواقض الشهادتين

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٤٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَنَدٍ مَخْلُوقٍ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ ﴿١﴾ [النساء: ١]، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ﴿٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا وَكُلُّ مُخَدَّنَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي اليوم عن نواقض كلمة التوحيد

ونواقض كلمة التوحيد هي نفس نواقض الإسلام العشر التي ذكرها العلماء.

ومعنى نواقض الإسلام: وهي مفسداتُه ومُبطلاتُه، التي مَنْ فَعَلَ نَاقِضًا مِنْهَا خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَى الْكُفْرِ الْأَكْبَرِ.

فمن العلماء مَنْ أَوْصَلَهَا إِلَى أَرْبَعِمِائَةٍ نَاقِضٍ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الْعَشْرَةَ مِنْ أَعْظَمِهَا خَطَرًا، وَأَكْثَرِهَا انْتِشَارًا بَيْنَ النَّاسِ، (وهي تُعْتَبَرُ جَوَامِعَ لِأَسْبَابِ الرُّدَّةِ).

الناقض الأول: الشرك بالله، الشرك وهو تسوية غير الله بالله في شيء من خصائصه
الله، قال تعالى: ﴿ تَأْتُونَنَا لِنُكَلِّمَ بَشَرًا مِّمَّنْ ﴾ [الشعراء: ١٧].

والشرك أعظم ذنب عصى به الله -تعالى- وهو أشد نواقض الإسلام جرماً، وقد
أخذ الله على نفسه أن لا يغفر للمشرك شركه إلا أن يتوب، فلا يكفر الشرك شيء من
أنواع المكفرات المعروفة إلا أن يتوب المشرك من شركه، ولذا قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ
اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

وهو الظلم العظيم، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ
الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وفي «الصحاحين»^(١) عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية
﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ﴾ [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على أصحاب رسول الله عليه
وسلم وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: ليس كما تظنون إنما هو كما
قال لقمان لابنه: ﴿ يَبْنِي لِأَنْتَ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣].

وصاحب الشرك محرم عليه الجنة إِنَّهُ، مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ
وَمَا أُونَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ [المائدة: ٧٢].

ومحبط جميع عمله: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٨]،
وقال: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [الزمر: ٦٥]، والعمل في الآية يشمل جميع عمل
العبد، ولا يحبط جميع العمل الصالح ذنب سوى الشرك الأكبر.

(١) البخاري (٦٩٣٧)، ومسلم (١٢٤).



والمشرك حلالُ الدِّمِ والمالِ إلا ما استثناهُ الشَّرْعُ كَأَهْلِ الذَّمَّةِ والعَهْدِ: ﴿فَاتَّقُوا
الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: ٥]
وذهب العلامة ابن القيم رحمته الله إلى أنَّ الشُّركَ نوعان:

١- شركٌ أكبرُ.

٢- شركٌ أصغرُ.

والشرك الأكبر يناقض أصل التوحيد، ويشمل الشرك في الربوبية وفي الإلهية، وفي
الأسماء والصفات ولكنَّ الشُّركَ في العبادة هو الغالب على الأمم، قديمًا وحديثًا.

وحكمُ الشُّركِ الأكبر: مخرجٌ من المِلَّةِ، مُخَلَّدٌ صاحِبُهُ في النارِ، إن لقي الله غيرَ
ثائبٍ مِنْ شِرْكِهِ، وهو صَرَفٌ شيءٍ من أنواعِ العبادة لغير الخالقِ تعالى، كالذَّبْحِ لغيرِ
اللهِ، لأهلِ القبورِ من الأولياءِ والصالحينَ أو الجنِّ والشیاطينِ، رغبةً إليهم أو رهبةً
منهم، والخوفُ من أهلِ القبورِ والجنِّ الشیاطينِ أن يؤذوه ويضروه، ورجاءٌ غيرِ الله
فيما لا یقدرُ عليه إلا اللهُ من كَشْفِ الضَّرِّ، وجلبِ النَّفْعِ، وهذا ما یفعله كثيرٌ من الناسِ
عند قُبورِ الصالحينِ في هذا الوقتِ. قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا
يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ رَبُّوهُمْ هَؤُلَاءِ شُفَعَتُوا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ
فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

النوع الثاني: الشرك الأصغر:

وهو ما وَرَدَ في الشَّرْعِ أَنَّهُ شِرْكٌ ولم یصلِ الشُّركَ الأكبرَ، ولا یخُرُّجُ مرتكبُهُ من
الإسلامِ لكنَّهُ یَنْقُضُ توحيدَهُ وهو وسيلةٌ إلى الشُّركِ الأكبرِ.

والناقض الثاني من نواقيص شهادة التوحيد: مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وَسَائِطَ يَدْعُوهُمْ، وَيَسْأَلُهُمُ الشَّفَاعَةَ: ويتوكَّل عليهم، فقد كَفَرَ إجماعًا. وهذا الناقض هو الذي وَقَعَ فِيهِ مُشْرِكُو قَرِيشٍ، حَيْثُ جَعَلُوا مَعَ اللَّهِ وَسَائِطَ تُقَرِّبُهُمْ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، مَعَ إِيمَانِهِمْ بِرَبوبِيَةِ اللَّهِ، قَالَ -تعالى- حَاكِيًا عَنْهُمْ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٢٣]، وَقَالَ ﷺ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

والناقض الثالث من نواقيص كلمة التوحيد: مَنْ لَمْ يُكْفِرِ الْمُشْرِكِينَ، أَوْ شَكَ فِي كُفْرِهِمْ، أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ كُفْرًا.

وَمَنْ حَكَّمَ اللَّهُ بِكُفْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ وَغَيْرِهِمْ يَجِبُ الْقَطْعُ بِكُفْرِهِمْ وَهَذَا مِنْ لَوَازِمِ التَّوْحِيدِ، فَالتَّوْحِيدُ لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ أَمْرَيْنِ:

الأول: الكُفْرُ بِالطَّاغُوتِ.

الثاني: الإِيمَانُ بِاللَّهِ.

وهذا هو معنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) فمعناها: لا معبود بحق إلا الله. فقولنا (لا إله) نفْيٌ لِأَحَدٍ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ، وَكُفْرٌ بِالطَّاغُوتِ، وَقَوْلُنَا (إلا الله) إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَاسْتِثْنَاءٌ لِعِبَادَتِهِ وَحَدَهُ.

قَالَ -تعالى- مُبَيِّنًا هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فَمَنْ لَمْ يُكْفِرِ الْمُشْرِكِينَ أَوْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَوْ تَوَقَّفَ فِي كُفْرِهِمْ مَعَ وُضُوحِ حَالِهِمْ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ وَبِكِتَابِهِ وَبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مُكَذَّبٌ لِعُمُومِ رِسَالَتِهِ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ،



مُرْتَكِبٌ نَاقِضًا مِنْ نَوَاقِضِ الْإِسْلَامِ، بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، فَلَا بُدَّ لِلْمُسْلِمِ مِنَ الْجَزْمِ
وَاعْتِقَادِ كُفْرِهِمْ.

قَالَ الْقَاضِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١): (وَلِهَذَا نَكْفُرُ مِنْ دَانٍ بِغَيْرِ مِلَّةِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمِلَلِ، أَوْ
وَقَفَّ فِيهِمْ، أَوْ سَكَ، أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ، وَإِنْ أَظْهَرَ مَعَ ذَلِكَ الْإِسْلَامَ، وَاعْتَقَدَ إِبْطَالَ
كُلِّ مَذْهَبٍ سِوَاهُ، فَهوَ كَافِرٌ بِإِظْهَارِهِ مَا أَظْهَرَ مِنْ خِلَافِ ذَلِكَ).

وَالنَّاقِضُ الرَّابِعُ مِنْ نَوَاقِضِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ: مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ هَدْيَ غَيْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْمَلُ
مِنْ هَدْيِهِ، أَوْ أَنَّ حُكْمَ غَيْرِهِ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِهِ، وَكَالَّذِي يُفَضِّلُ حُكْمَ الطَّوَاغِيتِ عَلَى
حُكْمِهِ).

وَالَّذِي يَجِبُ أَنْ يَعْتَقِدَ الْمُسْلِمُ أَنَّ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِعْلَهُ وَتَقْرِيرَهُ وَخَبْرَ مَنْ أَلْفَى
تَعَالَى، قَالَ اللَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) ﴾ [النجم: ١-٣] -
فَكِلَاهُمَا مِنْ وَحْيِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرٌ هَدْيٍ كَمَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (٢) مِنْ
حَدِيثِ جَابِرٍ مَرْفُوعًا: «خَيْرُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ».

وَالنَّاقِضُ الْخَامِسُ مِنْ نَوَاقِضِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ: مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوْ عَمَلًا بِهِ كُفْرًا.

قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَسَاءَلْتُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٨) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (١) ﴾ [ممتد: ٨-٩]، فَسَمَّاهُمْ اللَّهُ كُفْرًا بِقَوْلِهِ: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بِسَبِّ
أَنَّهُمْ ﴿ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾، وَلِكُونَ الْكُفْرَ لَا يَبْقَى مَعَهُ مِنْ عَمَلٍ الْخَيْرِ شَيْءٌ فَإِنَّهُ يُخْبِطُهُ
بِالْكُفْرِ قَالَ: ﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾.

(١) «الشفاء» للقاضي عياض (٢/٧٧١).

(٢) رواه مسلم (٧٦٨).

والناقض السادس من نواقيص كلمة التوحيد: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه، أو عقابه، كفر. والدليل: قوله تعالى: ﴿وَلَيْنِ مَا تَسْتَهْزِئُونَ لَأَمَّا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَيَاللَّهِ وَعَآئِينِهِ، وَرَسُولِهِ، كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٧﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبُ طَآئِفَةً أُخْرَىٰ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي سُبُطٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة: ٦٧-٦٨].

وقد نوَّعَ اللهُ مَنْ اتَّخَذَ آيَاتِهِ هُزُورًا وَلَعِبًا بِالْعَذَابِ الْمُهِينِ، فقال: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُورًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١﴾﴾ [البقرة: ٢٤].

وإعدادُ العذابِ المهينِ في القرآنِ لم يأتِ إلا في حقِّ الكفَّرةِ والمُشركينَ، وآياتُ اللهِ دلائلُهُ وحُجُجُهُ وأمرُهُ ونهيُهُ.

قال ابنُ جرِّمٍ^(١): (صَحَّ بالنَّصِّ أَنَّ كُلَّ مَنْ اسْتَهْزَأَ بِاللَّهِ -تعالى-، أَوْ بِمَلَكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، أَوْ بِنَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ، أَوْ بِآيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، أَوْ بِفَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِصِ الدِّينِ، فَهِيَ كُلُّهَا آيَاتُ اللهِ -تعالى-، بَعْدَ بُلُوغِ الْحُجَّةِ إِلَيْهِ فَهُوَ كَافِرٌ).

الناقض السابع من نواقيص كلمة التوحيد: السحرُ ومِنهُ الصَّرْفُ، والعَطْفُ أما الصَّرْفُ: فهو صَرَفُ الرَّجُلِ عَمَّا يَهْوَاهُ؛ كصَرَفِهِ مَثَلًا عَنْ مَحَبَّةِ زَوْجِهِ إِلَى بُغْضِهَا، وَالْعَطْفُ: عَمَلٌ سَحَرِيٌّ كَالصَّرْفِ، وَلَكِنَّهُ عَطْفُ الرَّجُلِ عَمَّا لَا يَهْوَاهُ إِلَى مَحَبَّتِهِ، وَالسَّحَرُ مُحَرَّمٌ بِجَمِيعِ طُرُقِهِ، وَفِي جَمِيعِ الشَّرَائِعِ.

فَمَنْ فَعَلَهُ أَوْ رَضِيَ بِهِ كَفَرَ، والدليل: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَقَّ يَقُولَا إِنَّمَا خُنُّوا فَذُنُّهُمْ فَلَا تَكْفُرُ﴾ [البقرة: ٢٢].

(١) «الفصل» (٢/٢٩٩).



وكثيرٌ من السَّحْرِ لا يَتَوَصَّلُ إِلَيْهِ إِلاَّ بِالشُّرْكِ والتَّقَرُّبِ إِلَى الأرواحِ الخبيثةِ من دونِ الله، وقد جَعَلَهُ النبيُّ ﷺ من الموبقاتِ وَقَرَنَهُ بِالشُّرْكِ، فقال كما في «الصحيحين»^(١): «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الموبقاتِ»، قالوا: وما هي؟ قال: «الإشراكُ باللهِ والسَّحْرُ...» الحديثُ.

والسَّحْرُ يَدْخُلُ فِي الشُّرْكِ مِنْ جِهَتَيْنِ:

الجهةُ الأولى: ما فيه من استخدامِ الجِنِّ والشياطينِ، والتَّقَرُّبِ إِلَيْهِمْ مِنْ دُونِ اللهِ بما يريدونه، لِيُوصِلُوا السَّاحِرَ إِلَى مُبْتَغَاهُ، والسَّحْرُ مِنْ تَعْلِيمِ الشياطينِ كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الجهةُ الثانيةُ: ما فيه من ادِّعَاءِ عِلْمِ الغَيْبِ، وَمُنَازَعَةِ اللهِ فِي خُصُوصِيَّاتِهِ، ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلاَّ اللهُ﴾ [النمل: ٦٥]، ودعوى مشاركةِ اللهِ فِي ذلكِ كُفْرٌ وَضَلالٌ.

الناقضُ الثامنُ من نواقضِ كلمةِ التوحيدِ: مظاهرَةُ المُشْرِكِينَ ومعاوَنَتُهُمْ عَلَى المُسْلِمِينَ والدليلُ: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [٥١] [المائدة: ٥١].

وَمَنْ ظاهَرَ المُشْرِكِينَ وناصَرَهم عَلَى المُسْلِمِينَ فقد تَعَرَّضَ لِتهديدِ اللهِ ووَعِيدِهِ، وخَانَ اللهُ ورسولَهُ والمؤمنينَ، واستحقَّ سَخَطَ اللهِ وعذابَهُ قال تعالى: ﴿كَرِهْ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَمْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي العَذابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [٨٠] وَلَوْ كانوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ ما اتَّخَذُوهُمُ أَوْلِياءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨٠-٨١].

(١) البخاري (٢٧٦٧)، ومسلم (٨٩).

تُؤَاخِذُ النَّسَاءُ

٢٠

وَجَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ خِصَالِ الْمُنَافِقِينَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئِنَّهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء: ١٣٩].

قال الشيخ حمد بن عتيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (١) (فأما معاداة الكفار والمشركين فاعلم أن الله ﷻ قد أوجب ذلك، وأكد إيجابه، وحرم موالاتهم وشدد فيها، حتى أنه ليس في كتاب الله -تعالى- حكم فيه من الأدلة أكثر ولا آية من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده).

الناقض التاسع من نواقض كلمة التوحيد: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى ﷺ فهو كافر.

وهذا الناقض يتضمن إنكاراً لنصوص الكتاب والسنة التي تبين عموم الرسالة التي أرسل بها نبي الأمة ﷺ، وإبطالاً لها، فقد أرسله الله للناس كافة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ٨٥] أي: لا دين عند الله يقبله سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى ختموا بنبي هذه الأمة محمد ﷺ الذي سد جميع الطرق إلى الله إلا من جهته، فمن لقي الله بعد بعثته محمد ﷺ بدين غير شريعته فليس بمتقبل منه ذلك كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]

فمن رغب الخروج عن شريعة النبي ﷺ أو ظن الاستغناء عنها؛ فقد خلع ربة

(١) «سبيل النجاة» (٢١).



الإسلام من عنقه، وعيسى عليه السلام عندما نزل في آخر الزمان لا يأتي بشرع جديد؛ بل يكون مبعثاً لشريعة النبي صلى الله عليه وسلم فشريعته - عليه الصلاة والسلام - باقية إلى يوم القيامة، وعامة لجميع الناس، ولا يسع أحداً الخروج عنها؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥).

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار».

الناقض العاشر من نواقض كلمة التوحيد: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ، ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْفِقُونَ﴾ (السجدة: ٢٢).

والإعراض عن دين الله بأن لا يتعلمه ولا يعمل به، هذا هو الإعراض المخرج من الملة، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ (الأحزاب: ٢).

قال ابن القيم رحمته الله: «وأما كفر الإعراض: فأن يعرض بسمعيه وقلبه عن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يصدقُه ولا يكذبُه، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يبغي إلى ما جاء به البتة»^(٢).

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل، والجاد، والخائف، إلا المكرة، وكلها أعظم ما يكون خطراً وأكثر ما يكون وقوعاً، فيبغي للمسلم أن يحدّرها، ويخاف منها على نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه^(٣).

(١) رواه مسلم (٢٤٠).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٦٦-٣٦٧).

(٣) مجموعة التوحيد لشيخ الإسلام: محمد بن عبد الوهاب والشيخ أحمد بن نعمة - رحمهما الله - (٢٧، ٢٨)، ومؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، القسم الأول.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٢

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِنَا
وَدُنْيَانَا، وَأَهْلِنَا وَمَالِنَا، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا، اللَّهُمَّ احْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا
وَمِنْ خَلْفَتِنَا، وَعَنْ يَمِينِنَا وَعَنْ شِمَالِنَا، وَمَنْ قَوْلْنَا، وَتَعَوَّذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ نُغْتَالَ مِنْ تَحْتِنَا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ
وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَتَعَوَّذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ،
وَنَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَتَعَوَّذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ بِكَ مِنْهُ
عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَنَسْأَلُكَ مَا قَضَيْتَ لَنَا مِنْ أَمْرٍ أَنْ تَجْعَلَ عَاقِبَتَهُ رَشَدًا.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



ضويبا بـ CamScanner



المرتبة الثانية: الصلاة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٥٤) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) ﴿النساء: ١﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٦٦) ﴿الاحزاب: ٧٠-٧٦﴾.

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- وَسُرَّ الْأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا وَكُلُّ مُخَدَّنَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي اليوم عن الركن الثاني من أركان الإسلام ألا وهو «الصلاة» فقد عظم الإسلام شأنها، ورفع ذكرها، وأعلى مكانتها، فهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، ففي «الصححين»^(١) عن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَالْحَجُّ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ».

(١) رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

والصلاة أفضل الطاعات؛ ولذلك جاءت نصوص الكتاب والسنة بإقامتها والمحافظة عليها والمداومة على تأديتها في أوقاتها.

قال تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْوَسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وقال ﷺ: ﴿إِلَّا الصَّالِينَ﴾ [٢٣] الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَأْبُونَ ﴿٢٤﴾ [المعارج: ٢٣-٢٤].

وجعلها الله -تعالى- الصفة الأولى للمؤمنين المفلحين؛ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [١] الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ ﴿٢﴾ [المؤمنون: ٢-١]، وتركها يورث دخول جهنم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ﴾ [٢٨] إِلَّا أَحْسَبَ لِنَفْسٍ ﴿٢٩﴾ فِي جَنَّتٍ يَنْتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ مَا سَأَلَ كَرِيَ سَفَرٌ ﴿٣٢﴾ قَالُوا لَنْ نَكُونَ مِنَ الصَّالِينَ ﴿٣٣﴾ [المدثر: ٣٨-٤٣].

والصلاة حمل الأنبياء همها وأوصوا بها، إبراهيم ﷺ يدعو: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]؛ فالغاية الأولى هي إقامة الصلاة، ويقول بعدها: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [٤] [إبراهيم: ١٠]، والله -تعالى- يمدح بها إسماعيل ﷺ: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [١١] وَكَانَ بِأَمْرٍ أَهْلَهُ، بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ [مريم: ٥٤-٥٥]، وموسى ﷺ يؤمر بها في اللقاء الأول: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [١١] [طه: ١٤]، والمسيح ﷺ ينطق بها في مهديه: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [٣] وَجَعَلَنِي مَبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٦١﴾ [مريم: ٣٠-٣١]، ولقمانُ يجعلها في مقدمة ما يوصي به ابنة: ﴿يَبْنِي أَقِيمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [١٧] [لقمان: ١٧]، أما الرسول ﷺ فقد كلف



بها من فوق سبع سماوات دون واسطة، جاءه جبريل عليه السلام وشق صدره الشريف، ثم غسله بماء زمزم، كما ورد في الحديث الصحيح ثم أخذ بيده فخرج به إلى السماوات. وارتقى من سماء إلى سماء وهكذا إلى أن وصل إلى هذا الموضع الذي تحدث عنه في قوله كما روى البخاري: «ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صرير الأقلام» ثم قال: «فقرض الله على أمي خمسين صلاة، وظل يخفف الله منها إلى أن صارت خمسا».

والصلاة هي أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة، كما عند الطبراني في «الأوسط» بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيح»^(١) عن عبد الله بن قرط رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت، صلح سائر عمله، وإن فسدت، فسدت سائر عمله».

والصلاة هي الفارق بين المسلم والكافر؛ قال تعالى: ﴿إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَتَفْصِلُ الْآيَاتُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ١١].

وفي «صحيح مسلم»^(٢) عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة».

والصلاة حاجز بين العبد والمعاصي؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [التكوير: ١٥].

وكان من آخر وصايا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يُعالج سكرات الموت؛ ففي سنن ابن ماجه

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (١٨٥٩)، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيح» (١٣٥٨).

(٢) رواه مسلم (٨٢).

بُورِخَانُ النِّسَاءِ

٣٦

بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي الْإِرْوَاءِ (١) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ آخِرُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُعْرِغُ بِهَا فِي صَدْرِهِ وَمَا كَانَ يَفِيضُ بِهَا لِسَانَهُ: «الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ! اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ». وَلَهَا فَضَائِلٌ عَظِيمَةٌ:

منها: أَنَّهَا كَفَّارَةٌ لِلْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكْرِينَ﴾ (١١٤) ﴿مود: ١١٤﴾.

وَفِي «الصَّحِيحِينَ» (٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ تَهْرَأَ بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِيهِ شَيْءٌ؟»، قَالُوا: «لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِيهِ شَيْءٌ»، قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا».

وَمِنْهَا: أَنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ نُورٌ لِلْعَبِيدِ، وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (٣) عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الطَّهْوَرُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لله تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لله تَمْلَأَنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بَرَهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ، فَمَعْتَقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا».

وَمِنْهَا: أَنَّ الْمُسْلِمَ يَبْلُغُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ مَقَامَ الصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءِ؛ فَقِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ

(١) (صحيح) «أخرجه ابن ماجه» (٣٦٩٧)، وصحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي الْإِرْوَاءِ (٢١٧٨).

(٢) رواه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧).

(٣) رواه مسلم (٢٢٣).

(٤) (صحيح) «أخرجه أحمد» (٣٢٣/٢)، وصحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٢٥٩١).



رجلان من بني فضاة أسلما مع رسول الله ﷺ، واستشهد أحدهما، وأخر الآخر سنة، قال طلحة بن عبيد الله: فأريت الجنة، فرأيت فيها المؤخر منهما أذخِل قبل الشهيد، فعجبت لذلك، فأصبحت فذكرت ذلك للنبي ﷺ، أو ذكّر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «ليس قد صام بعدة رمضان، وصلى سبعة آلاف ركعة، أو كذا وكذا ركعة صلاة السّنة؟».

والصلاة يجب أن تؤدّى في أوقاتها المحددة شرعاً؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ٧٣].

قال البخاري: مؤقتا وقته عليهم.

وأداء الصلاة في وقتها من أحب الأعمال إلى الله؛ ففي «الصحيحين»^(١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها»، قال: ثم أي؟ قال: «ثم بر الوالدين»، قال: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله».

ومما جاء في الترهيب من تأخير الصلاة عن وقتها، حديث رؤيا النبي ﷺ الطويل^(٢)، وجاء فيه: «أتاني الليلة آتبان، وإنيهما ابنتان، وإنيهما قالتا لي: انطلق، وإني انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيبلغ رأسه، فيتدحذه الحجر ما هنا، فيبيع الحجر فيأخذ، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل به في المرة الأولى، ثم قال له: أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يبلع رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ القرآن، فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة».

وهذه الصلاة يجب أن تؤدّى في بيوت الله ﷻ؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا

(١) رواه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥).

(٢) البخاري (٧٠٤٧).

بُورَانُ النِّسَاءِ

٢٨

مِنَ وِرَائِكُمْ وَلَنَاتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ
وَأَسْلِحَتْهُمْ وَاذَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَو تَفَقَّلْتُمْ عَنَ آسَلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَبِيلُونَكُمْ عَلَيْنَكُمْ مَيْلَةً
وَإِحْدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْنَكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضًا أَن تَضَعُوا
أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٤﴾ [النساء: ٢٤].

فِيَسْتُ الْآيَةُ رَجُوبَ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ فِي حَالِ الْحَرْبِ، فِي حَالِ السَّلَامِ مِنْ بَابِ أَوْلَى.

فَقِي «الصَّحِيحِينَ» (١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَثْقَلَ الصَّلَاةِ عَلَى
الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْمَشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ
هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَّ بِالصَّلَاةِ فَتُحَامَ، ثُمَّ أَمُرَّ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِيَ بِرِجَالٍ مَعَهُمْ
حُزْمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ».

قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا هَمَّ بِذَلِكَ إِلَّا أَنْ هُوَلَاءِ الْمُتَخَلِّفِينَ قَدْ
ارْتَكَبُوا ذَنْبًا عَظِيمًا.

وَجَاءَ فِي ذِكْرِ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظْلِمُهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: فِي «الصَّحِيحِينَ» (٢)
مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطَّوِيلِ، وَفِيهِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «وَرَجُلٌ مَعَلَّقٌ
بِالْمَسَاجِدِ، وَالْمَسَاجِدُ بِيُوتِ اللَّهِ، مَنْ دَخَلَهَا فَقَدْ حَلَّ ضَيْفًا عَلَى رَبِّهِ، فَلَا قَلْبَ أَطِيبُ،
وَلَا نَفْسَ أَسْعَدُ مِنْ ضَيْفِ حَلِّ عَلَى رَبِّهِ فِي بَيْتِهِ وَتَحْتِ رِعَايَتِهِ، وَفِي الطَّبْرَانِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنٍ
حَسَنَةُ الْأَلْبَانِيِّ فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ (٣) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ: «الْمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ نَفْسٍ، وَتَكْفَلُ اللَّهُ لِمَنْ كَانَ الْمَسْجِدُ بَيْتَهُ بِالرُّوحِ وَالرَّحْمَةِ
وَالجَوَازِ عَلَى الصَّرَاطِ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ إِلَى الْجَنَّةِ».

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٥٧)، وَمُسْلِمٌ (٤٥٤).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٦٠)، وَمُسْلِمٌ (١٠٣١).

(٣) (صَحِيحٌ)، الطَّبْرَانِيُّ «الْأَوْسَطُ» (٦٧٤٣) وَحَسَنَةُ الْأَلْبَانِيِّ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ (٢٣).



وهذه الضيافة تكون في الدنيا بما يحصل في قلوبهم من الاطمئنان والسعادة والراحة، وفي الآخرة بما أعد لهم من الكرامة والنعيم.

والجماعة واجبة على الرجال فقط أما النساء فالرسول ﷺ فضل أن تصلّي المرأة في بيتها وجعل أجر صلاتها تلك أفضل من صلاتها في المسجد.

ففي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» (١) عَنْ أُمِّ حَمِيدٍ امْرَأَةِ أَبِي حَمِيدٍ السَّاعِدِيِّ: «أَنَّهَا جَاءَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَحِبُّ الصَّلَاةَ مَعَكَ قَالَ: «قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تُحِبِّينَ الصَّلَاةَ مَعِي وَصَلَاتِكَ فِي بَيْتِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ فِي حُجْرَتِكَ خَيْرٌ مِنْ صَلَاتِكَ فِي دَارِكَ وَصَلَاتِكَ فِي دَارِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكَ وَصَلَاتِكَ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ فِي مَسْجِدِي»، قَالَ: فَأَمَرْتُ قُبَيْبِي لَهَا مَسْجِدًا فِي أَقْصَى شَيْءٍ مِنْ بَيْتِهَا وَأَظْلَمِهِ فَكَانَتْ تُصَلِّي فِيهِ حَتَّى لَقِيََتْ اللَّهَ ﷻ».

اللَّهُمَّ فَقْهِنَا فِي الدِّينِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مُتَقِيِي الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا وَاغْفِرْ لَوَالِدِينَا وَارْحَمْنَاهُمْ وَارزُقْهُمْ الْجَنَّةَ وَحَرِّمْنَاهُمْ عَلَى النَّارِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ.

وسبحانك الله وبحميدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



(١) (صحيح)، رواه أحمد (٢٦٥٥)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/١٣٥).

صِفَةُ الصَّلَاةِ

الصَّلَاةُ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) ﴿١﴾
 عمران: ٧٢، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِلْدٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) ﴿النساء: ١﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَبَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) ﴿الأحزاب: ٧٠-٧١﴾.

أما بعد: فإنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي معكم اليوم عن صِفَةِ صَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ (١) إِلَى كُلِّ مَنْ يُجِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عَمَلًا بِقَوْلِهِ ﷺ: كَمَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» (٢) مِنْ حَدِيثِ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي».

(١) مستفادة من «صِفَةِ الصَّلَاةِ» للعلامة عبد العزيز بن باز -رَحِمَهُ اللَّهُ وَغَفَرَ لَهُ-.

(٢) رواه البخاري (٧٢٤٦).



يُسَبِّحُ الرُّضُوءَ، وهو أن يَتَوَضَّأَ كما أمرَهُ اللهُ عَمَلًا بقوله ﷺ: ﴿يَتَأْتِيَا الذَّيْرَ
ءَامِنُونَ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا
بُرُءُومِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]، وقول النبي ﷺ كما في «صحيح
مسلم» (١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «لا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طَهْوَرٍ».

يَتَوَجَّهُ الْمُصَلِّي إِلَى الْقِبْلَةِ وهي الكعبةُ أينما كان بجميعِ يَدَيْهِ قاصِدًا بِقَلْبِهِ فَعَلَّ
الصَّلَاةَ التي يريدُها من فريضةٍ أو نافلةٍ، ولا يَنْطِقُ بلسانِهِ بالنية؛ لأنَّ النطقَ باللسانِ
غَيْرُ مشروعٍ، لكونِ النبي ﷺ لم يَنْطِقْ بالنيةِ ولا أصحابُهُ رضي الله عنهم، وَيُسَنُّ أنْ يَجْعَلَ له
سُتْرَةً يَصَلِّي إليها إنْ كَانَ إمامًا أو مُنفردًا، لِأمرِ النبي ﷺ بذلك.

ثم يُكَبِّرُ تكبيرةَ الإحرامِ قائلًا: (اللهُ أَكْبَرُ) ناظرًا بِبَصَرِهِ إلى مَنْحَلِ سُجُودِهِ.

ثُمَّ يَرْفَعُ يَدَيْهِ عِنْدَ التَّكْبِيرِ إلى حَذْوِ مَنْكِبَيْهِ أو إلى حِيَالِ أُذُنَيْهِ، ثُمَّ يَضَعُ يَدَيْهِ على
صدرِهِ، اليُمْنَى على كَفِّهِ اليُسْرَى.

يُسَنُّ أنْ يَقْرَأَ دعاءَ الاستفتاحِ ففي «صحيح البخاري» (٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه
قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَبَيْنَ الْقِرَاءَةِ إِسْكَاتَةً، فَقُلْتُ: يَا
رَسُولَ اللهِ، إِسْكَاتُكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: «أَقُولُ: اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ
خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنْقَى الثَّوْبُ
الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اهْجِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ».

وإن شاء قال بدلًا من ذلك ما جاء في سنن أبي داود بسند صحيح صححه الألباني

(١) رواه مسلم (٢٢١).

(٢) رواه البخاري (٧١١)، ومسلم (٥٩٨).

تذكرة النساء

٤٢

في «صحيح الجامع»^(١): «كَانَ إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلَاةَ قَالَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتِبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ» ثُمَّ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» وَيَقْرَأُ سُورَةَ الْفَاتِحَةِ، فِيهِ «الصَّحِيحِينَ»^(٢) عَنِ عَبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ».

ويقول بعدها: (آمين) جهراً في الصلاة الجهرية، ثم يقرأ ما تيسر من القرآن.

ثم يركع مكبراً رافعاً يديه إلى حذو منكبيه أو أذنيه، جاعلاً رأسه حياًل ظهره، واضعاً يديه على رُكبتيه، مُفَرِّقاً أصابعه، وَيَطْمِئِنُّ فِي رُكُوعِهِ وَيَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، وَالْأَفْضَلُ أَنْ يُكْرَرَهَا ثَلَاثًا أَوْ أَكْثَرَ، وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ مَعَ ذَلِكَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي».

ثم يرفع رأسه من الركوع، رافعاً يديه إلى حذو منكبيه أو أذنيه قائلاً: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ» إِنْ كَانَ إِمَامًا أَوْ مُنْفَرِدًا، وَيَقُولُ بَعْدَ قِيَامِهِ: «كَمَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(٣) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى. قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ مِلءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلءَ الْأَرْضِ، وَمِثْلَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ» وَإِنْ زَادَ بَعْدَ ذَلِكَ: «أَهْلُ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ وَكُنَّا لَكَ عَبْدٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ» فَهُوَ حَسَنٌ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ قَدْ ثَبَّتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ. أَمَا إِنْ كَانَ مَأْمُومًا فَإِنَّهُ يَقُولُ عِنْدَ الرَّفْعِ: «رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ» إِلَى آخِرِ مَا تَقَدَّمَ. وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَضَعُ

(١) رواه مسلم (٢٢٤).

(٢) رواه البخاري (٧٣٣)، ومسلم (٣٩٤).

(٣) رواه مسلم (٤٧٩).



كُلُّ مِنْهُمْ يَدِيهِ عَلَى صَدْرِهِ، كَمَا فَعَلَ فِي قِيَامِهِ قَبْلَ الرُّكُوعِ؛ لِثَبُوتِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ حَدِيثِ وَاثِلِ بْنِ حَجَرٍ وَسَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ثُمَّ يَسْجُدُ مُكَبِّرًا وَاضِعًا رُكْبَتَيْهِ قَبْلَ يَدَيْهِ إِذَا تَبَسَّرَ ذَلِكَ، فَإِنْ شَقَّ عَلَيْهِ قَدَمَ يَدَيْهِ قَبْلَ
رُكْبَتَيْهِ، مُسْتَقْبِلًا بِأَصَابِعِ رِجْلَيْهِ وَيَدَيْهِ الْقِبْلَةَ، ضَامًا أَصَابِعَ يَدَيْهِ، وَيَكُونُ عَلَى أَعْضَائِهِ
السَّبْعَةِ: الْجَبْهَةِ مَعَ الْأَنْفِ، وَالْيَدَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ، وَبُطُونِ أَصَابِعِ الرُّجْلَيْنِ.

وَيَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى» وَيُكْرَرُ ذَلِكَ ثَلَاثًا أَوْ أَكْثَرَ. وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ مَعَ
ذَلِكَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» وَيُكْتَبَرُ مِنَ الدُّعَاءِ فَقِي «صَحِيحِ
مُسْلِمٍ»^(١) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظَمُوا فِيهِ
الرَّبَّ وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ فَقِيمُونَ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ».

وَيَسْأَلُ رَبَّهُ لَهُ وَلِغَيْرِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، سِوَاءِ أَكَاثِبِ
الصَّلَاةِ قَرُضًا أَوْ نَفْلًا، وَيُجَانِي عَضُدَيْهِ عَنِ جَنْبَيْهِ، وَيَطْنُهُ عَنِ فَخْدَيْهِ، وَفَخْدَيْهِ عَنِ
سَاقَيْهِ، وَيَرْفَعُ ذِرَاعَيْهِ عَنِ الْأَرْضِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «اعْتَدِلُوا فِي السُّجُودِ وَلَا يَسُطُّ
أَحَدُكُمْ ذِرَاعِيهِ انِّسَاطَ الْكَلْبِ».

ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ مُكَبِّرًا، وَيَفْرُسُ قَدَمَهُ الْيُسْرَى وَيَجْلِسُ عَلَيْهَا، وَيَنْصُبُ رِجْلَهُ
الْيُمْنَى، وَيَدْعُ يَدَيْهِ عَلَى فَخْدَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ وَيَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي، اللَّهُمَّ
اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَارْزُقْنِي وَهَافِنِي وَاهْدِنِي وَاجْبُرْنِي»، وَيَطْمَئِنُّ فِي هَذَا الْجُلُوسِ حَتَّى
يَرْجِعَ كُلُّ فَقَارٍ إِلَى مَكَانِهِ كَاعْتِدَالِهِ بَعْدَ الرُّكُوعِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُطِيلُ اعْتِدَالَهُ بَعْدَ
الرُّكُوعِ وَبَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ.

(١) رواه مسلم (٤٧٨).

بُورَانُ الرَّسَائِلِ

٤٤

ثم يسجدُ السجدةَ الثانيةَ مُكَبَّرًا، ويفعلُ فيها كما فعلَ في السجدةِ الأولى.
ثم يرفعُ رأسَهُ مُكَبَّرًا، ويجلسُ جَلْسَةً خفيفةً مثلَ جُلُوسِهِ بين السجدةِ وتُسَمَّى
جَلْسَةً الاستراحةِ، وهي مستحبةٌ في أصحِّ قَوْلِي العُلَمَاءِ. وَإِنْ تَرَكَهَا فلا حَرَجَ، وليسَ
فيها ذِكْرٌ ولا دَعَاءٌ.

ثم ينهضُ قائمًا إلى الركعةِ الثانيةِ مُعْتَمِدًا على رُكْبَتَيْهِ إِنْ تَيَسَّرَ ذَلِكَ، وَإِنْ شَقَّ عَلَيْهِ
اعْتِمَادُ عَلَى الْأَرْضِ.

ثم يقرأُ الفاتحةَ وما تيسَّرَ له من القرآنِ بعد الفاتحةِ.

ثم يَفْعَلُ كما فَعَلَ في الركعةِ الأولى، ولا يجوزُ للمأمومِ مُسَابِقَةُ إِمَامِهِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ
ﷺ حَدَّرَ أُمَّتَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَتَكَرَّرَ موافقتهُ للإمامِ، والسُّنَّةُ لَهُ أَنْ تَكُونَ أفعالُهُ بعد إمامِهِ
مِنْ دُونِ تَرَاحٍ وبعْدَ انقطاعِ صَوْتِهِ ففِي «الصحيحين» (١) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَإِذَا
قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَإِذَا صَلَّى
جَالِسًا، فَصَلُّوا جُلُوسًا أَجْمَعُونَ».

إِذَا كَانَتِ الصَّلَاةُ ثُنَائِيَّةً، أَي رَكَعَتَيْنِ كصلاةِ الفَجْرِ والجُمُعَةِ والعِيدِ، جَلَسَ بَعْدَ
رَفْعِهِ مِنَ السَّجْدَةِ الثَّانِيَةِ نَاصِبًا رِجْلَهُ الْيُمْنَى، مَفْتَرِشًا رِجْلَهُ الْيُسْرَى، وَأَضْعَا يَدَهُ الْيُمْنَى
عَلَى فَخِذِهِ الْيُمْنَى، قَابِضًا أَصَابِعَهُ كُلَّهَا إِلَّا السَّبَابَةَ، فَيُشِيرُ بِهَا إِلَى التَّوْحِيدِ، وَيَضَعُ يَدَهُ
الْيُسْرَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُسْرَى وَرُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقْرَأُ التَّشَهُدَ فِي هَذَا الْجُلُوسِ. وَهُوَ «التَّحِيَّاتُ
لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا

(١) رواه البخاري (٦٥٧)، ومسلم (٤١٧).



وعلى عبادِ الله الصالحين، أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأشهدُ أن مُحَمَّدًا عبدهُ ورسولهُ ثم يقولُ: «اللهمَّ صَلِّ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ، كما صليتَ على إبراهيمَ وآلِ إبراهيمَ، إنك حميدٌ مجيدٌ، وباركْ على محمدٍ، وعلى آلِ محمدٍ، كما باركتَ على إبراهيمَ، وآلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ». ويستعيدُ باللهِ من أربعٍ فيقولُ: «اللهمَّ إني أعوذُ بك من عذابِ جَهَنَّمَ، ومن عذابِ القَبْرِ، ومن فِتْنَةِ المحيا والمَمَاتِ، ومن فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَالِ»، ثم يدعو بما شاء من خَيْرِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ، وإذا دعا لوالديه أو غيرهما من المسلمين فلا بأسَ، سواءَ أَكَانَتِ الصَّلَاةُ فريضةً أو نافلةً.

ثُمَّ يَسْلُمُ عن يمينه وشماله قائلاً: السلامُ عليكم ورحمةُ الله، السلامُ عليكم ورحمةُ الله.

إن كانتِ الصَّلَاةُ ثَلَاثِيَّةً كالمغربِ، أو رِباعِيَّةً كالظُّهْرِ والعَصْرِ والعِشاءِ، قرأَ التَّشَهُدَ المذكورَ آنفاً، مع الصَّلَاةِ على النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ نَهَضَ قائماً معتمداً على رِكْبَتَيْهِ، رافعاً يَدَيْهِ إلى حَذْوِ مَنْكِبَيْهِ قائلاً: (اللهُ أكبرُ) وَيَضَعُهُمَا أي يَدَيْهِ على صَدْرِهِ، كما تَقَدَّمَ ويقرأُ الفاتحةَ فَقَطْ.

وإن قرأَ في الثالثةِ والرابعةِ من الظُّهْرِ زيادةً على الفاتحةِ في بعضِ الأحيان فلا بأسَ، لثبوتِ ما يَدُلُّ على ذلك عن النَّبِيِّ ﷺ من حديثِ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ثُمَّ يَتَشَهُدُ بعد الثالثةِ من المغربِ، وبعد الرابعةِ من الظُّهْرِ والعَصْرِ والعِشاءِ، وَيُصَلِّي على النَّبِيِّ، وَيَتَعَوَّذُ باللهِ من عذابِ جَهَنَّمَ ومن عذابِ القَبْرِ، ومن فِتْنَةِ المحيا والمَمَاتِ، ومن فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَالِ، وَيُكثِرُ من الدعاءِ، ومن ذلك «اللهمَّ أَعِنِّي على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عبادَتِكَ» كما تَقَدَّمَ ذلك في الصَّلَاةِ الثَّانِيَةِ.

لكنْ يَكُونُ في هذا الجُلوسِ مُتَوَرِّكاً واضعاً رِجْلَهُ اليُسْرَى تحتَ رِجْلِهِ اليُمْنَى، ومِقْعَدَتَهُ على الأرضِ ناصباً رِجْلَهُ اليُمْنَى، لحديثِ أَبِي حَمِيدٍ السَّاعِدِيِّ في ذلك. ثم

أدعية النساء

٤٦

يُسَلِّمُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ قَائِلًا: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ... السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ.
 وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ ثَلَاثًا وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ
 وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ،
 لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الشَّاءُ
 الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُخْلِصِينَ لِمَنْ دِينَهُ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ». وَيُسَبِّحُ اللَّهَ ثَلَاثًا
 وَثَلَاثِينَ وَيَحْمَدُهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَكْبِّرُهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَقُولُ تَمَامَ الْمِائَةِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
 وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» وَيَقْرَأُ آيَةَ
 الْكُرْسِيِّ، وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ بَعْدَ كُلِّ
 صَلَاةٍ. وَيُسْتَحَبُّ تَكَرُّرُ هَذِهِ السُّورِ الثَّلَاثِ، ثَلَاثَ مَرَاتٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَصَلَاةِ
 الْمَغْرِبِ، لَوْزُودِ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ بِذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، كَمَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يَزِيدَ بَعْدَ
 الذِّكْرِ الْمَتَّقِدِّمِ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْمَغْرِبِ قَوْلَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ
 لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُخَيِّبُ وَيُؤَيِّبُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» عَشْرَ مَرَّاتٍ لِثَبُوتِ
 ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. وَإِنْ كَانَ إِمَامًا انصَرَفَ إِلَى النَّاسِ وَقَابَلَهُمْ بِوَجْهِهِ بَعْدَ اسْتِغْفَارِهِ
 ثَلَاثًا، وَبَعْدَ قَوْلِهِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، ثُمَّ
 يَأْتِي بِالْأَذْكَارِ الْمَذْكُورَةِ، كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمِنْهَا
 حَدِيثُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ. وَكُلُّ هَذِهِ الْأَذْكَارِ سُنَّةٌ وَلَيْسَتْ بِفَرِيضَةٍ.
 وَيُسْتَحَبُّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، أَنْ يُحَافِظَ عَلَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي حَالِ الْحَضَرِ،
 وَهِيَ: أَرْبَعٌ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَاثْنَتَانِ بَعْدَهَا، وَاثْنَتَانِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَاثْنَتَانِ بَعْدَ صَلَاةِ
 الْعِشَاءِ، وَاثْنَتَانِ قَبْلَ صَلَاةِ الصُّبْحِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُحَافِظُ عَلَيْهَا، وَتُسَمَّى

ضويب بـ Calligrapher

الرَّوَاتِبَ. وَقَدْ ثَبَّتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ تَطَوُّعًا بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ». وَقَدْ فَسَّرَهَا الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ فِي رَوَايَتِهِ لِهَذَا الْحَدِيثِ بِمَا ذَكَرْنَا. أَمَا فِي السَّفَرِ فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتْرُكُ سُنَّةَ الظَّهْرِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، وَيُحَافِظُ عَلَى سُنَّةِ الْفَجْرِ وَالْوُتْرِ، وَلَنَا فِيهِ أُسُوءٌ حَسَنَةٌ، لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسُوءٌ حَسَنَةٌ﴾ [الاحزاب: ٢١] وَقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي».

اللَّهُمَّ فَهَّنَا فِي الدِّينِ وَاجْعَلْنَا هِدَاةَ مُهْتَدِينَ.

اللَّهُمَّ زِدْنَا عِلْمًا وَهُدًى وَصَلَاحًا.

اللَّهُمَّ عَلَّمْنَا مَا جَهِلْنَا وَذَكَّرْنَا مَا نَسِينَا وَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرَفَةَ عَيْنٍ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

«اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّاتِكَ، وَمِنْ الْبَقِيَّةِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتَّنَّا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا تَبْلُغْ عَلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا».

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُ وَبِحَمْدِكَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



المرتبة الثالثة: الزكاة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

﴿بَيِّنَاتٍ لِّلنَّاسِ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١).

﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧) ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) ﴿[الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُخَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي معكم عن الزكاة: الرُّكْنُ الثَّالِثُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، وَأَحَدُ مَبَانِيهِ الْعِظَامِ؛ فَفِي «الصَّحِيحِينَ»^(١) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ». وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: عَلَى أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ وَيُكْفَرَ بِمَا دُونَهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ».

(١) رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).



والزكاة: قرينة للصلاة في كتاب الله تعالى، فقد جمع الله بينهما وبين الصلاة في مواضع كثيرة في كتابه الكريم، وهذا يدل على عظم مكانتها عند الله ﷻ، وعظم شأنها، قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال سبحانه: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وليعظم شأن الزكاة ذكرها الله تعالى في شرائع من كان قبلنا، فقال ﷺ حينما تكلم عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣]. وقال ﷺ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة، الآية: ٨٣] وقال الله ﷻ عن عيسى - عليه الصلاة والسلام -: ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١].

ومدح الله القائمين بها في آيات كثيرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرِي الْكُتُبَ إِنشِعِلْ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [٥١] وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مَرْضِيًّا ﴿[مريم: ٥١ - ٥٥].

وقال ﷺ: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧].

أولاً: أوصاف النساء



وَدَمَّ اللَّهُ تَعَالَى التَّارِكِينَ لَهَا، وَتَوَعَّدَهُم بِالْهَلَاكِ فَقَالَ ﷺ: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾﴾ [فصلت: ٦-٧].

وَدَمَّ اللَّهُ مَنْ لَمْ يُطْعِمِ الْمَسْكِينَ فَقَالَ ﷺ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَيْبَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَنْحَبَاتِيبِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّتِ يَنْسَاءُلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ فَأَلْوِ الزَّنَاكِمِينَ الْمُصَلِّينِ ﴿٤٣﴾ وَلَتَرْكُ نُطْعِمُ الْمَسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْفَاطِمِيِّينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانَ كَذِبُ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ [المؤذن: ٣٨-٤٦].

بَلْ إِنَّهُ ﷺ ذَكَرَ أَنَّ عَدَمَ الْحَضِّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ مِنْ أَسْبَابِ الْعَذَابِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿خُذُوهُ فَنُلَوُّهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَوُهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِآيَةِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٤﴾﴾ [الحاقة: ٣٠-٣٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْضُرُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾ [الفجر: الآيتان: ١٧، ١٨].

وَيَبَيِّنُ ﷺ أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ الْعِنَايَةَ بِالسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ، فَقَالَ تَعَالَى فِي أَوْصَافِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتَمَنِّينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِمَّنْ أَلْبَسَ مَا يَهْتَمُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَفِيرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات: ١٦-١٨].

وَيَبَيِّنُ تَعَالَى أَنَّ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقًّا مَعْلُومًا لِّلْسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ، فَقَالَ مَبْحَانُهُ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرْجُوعَا ﴿٢٠﴾ وَإِنَّمَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلْسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [المعارج: ١٩-٢٥].

وَيَدُلُّ عَلَى عُلُوِّ مَنَزَلَةِ الزَّكَاةِ أَنَّ مَنْ مَنَعَهَا يُقَاتَلُ؛ فَنَفِي «الصَّحِيحِينَ»^(١) مِنْ حَدِيثِ

(١) رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).



عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أَمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ - تَعَالَى -» وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما تُوفِّي رسول الله ﷺ واستُخلف أبو بكر رضي الله عنه بعدَهُ وكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالُهُ وَنَفْسُهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحَسَابُهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى». فقال أبو بكر: والله لا أقاتلنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ؛ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهُ لَوْ مَنَعَنِي عَقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِيهِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ سَرَّحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ. وفي «لفظ البخاري»: «أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه قَالَ: «وَاللَّهِ لَوْ مَنَعَنِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِيهَا».

ومما يُؤكِّدُ عِظَمَ مَنْزِلَةِ الزَّكَاةِ فِي الْإِسْلَامِ أَنَّ مَنْ جَحَدَ وَجُوبَهَا كَفَرَ: إِنْ كَانَ مُسْلِمًا نَاشِئًا بِبِلَادِ الْإِسْلَامِ بَيْنَ أَهْلِهِ فَإِنَّهُ يَكُونُ مُرْتَدًّا تَجْرِي عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْمُرْتَدِّ، وَيُسْتَأْبُ ثَلَاثًا فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ؛ لِأَنَّ أَدْلَةَ وَجُوبِ الزَّكَاةِ ظَاهِرَةٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ، فَلَا تَكَاذُ تُخْفَى عَلَى مَنْ هَذِهِ حَالُهُ، فَإِذَا جَحَدَهَا لَا يَكُونُ إِلَّا لِتَكْذِيبِهِ: الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَكُفْرَهُ بِهِمَا، أَمَا مَنْ كَانَ جَاهِلًا: إِمَّا لِحِدَايَةِ عَهْدِهِ بِالْإِسْلَامِ، أَوْ لِأَنَّهُ نَشَأَ بِبَادِيَةِ نَائِيَةِ عَنِ الْأَمْصَارِ، فَإِنَّهُ يُعَرَّفُ وَجُوبَهَا، وَلَا يُحْكَمُ بِكُفْرِهِ حَتَّى يَعْلَمَ ثُمَّ يَجْحَدَ وَجُوبَهَا^(١). وَلَا يُكْفَرُ مَا نَعِيَ الزَّكَاةَ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَتَى كَبِيرَةً عَظِيمَةً، وَالذَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ لَا

(١) انظر: المعنى لابن قدامة، (٤/٦)، والمجموع للنووي (٤/٣٣٤).

يُكَفِّرُ مَا جَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ صَاحِبٍ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ فَأُخِيِمِي عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيَكْوَى بِهَا جَنْبَهُ وَجَبِينَهُ وَظَهْرَهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ».

قال ابن عثيمين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وإذا كان يُمكنُ أن يَرَى له سبيلاً إلى الجنة؛ فإنه ليس بكافر؛ لأن الكافر لا يُمكنُ أن يَرَى سبيلاً له إلى الجنة، ولكن على ما نبيها من الإثم العظيم ما ذكره الله تعالى...» (٢).

ولعظيم منزلة الزكاة جاءت النصوص من الكتاب والسنة في بيان عقوقية تاركها، مما تَقْشِرُ منه الجلود المسلمة، وتَدْمَعُ له العيونُ المؤمنة، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٦﴾ يَوْمَ يُخْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَفَرْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [التوبة: ٣٦ - ٣٧] وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنْتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ مَبْدُؤُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨﴾﴾ [ال عمران: ١٨].

وفي «الصحيحين» (٣) من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ

(١) رواه مسلم (٩٨٧).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، (١٨ / ١٤)، وانظر: الشرح المنبج له، (٦ / ٧-٩).

(٣) رواه البخاري (١٤٢) ومسلم (٩٨٧) واللفظ له.



صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ فَأُحْيِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يَقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ؛ وَلَا صَاحِبِ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا وَمِنْ حَقَّهَا حَلْبُهَا يَوْمَ وُرُودِهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُطِخَ لَهَا بِقَاعٍ قَرَقِرٍ أَوْ قَرٍ مَا كَانَتْ لَا يَفْقِدُ مِنْهَا فِصْبًا وَلَا وَاحِدًا تَطْوُهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعْمَسُهُ بِأَفْوَاهِهَا كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أَوْ لَهَا رُدٌّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يَقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ، وَلَا صَاحِبِ بَقَرٍ وَلَا عَنَمٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُطِخَ لَهَا بِقَاعٍ قَرَقِرٍ لَا يَفْقِدُ مِنْهَا لَا يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئًا لَيْسَ فِيهَا عَفْصَاءٌ وَلَا جَلْحَاءٌ وَلَا عَضْبَاءٌ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطْوُهُ بِأظْلَافِهَا كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أَوْ لَهَا رُدٌّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يَقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ.

وفي «صحيح البخاري»^(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مِثْلَ لَهُ مَالَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سُجَّاعًا أَقْرَعَ لَهُ رَيْبَتَانِ يُطَوِّفُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْزِمَتَيْهِ - يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ - ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالِكٌ، أَنَا كَنْزُكَ.» ثُمَّ تَلَا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ الآية. وفي «الصحيحين»^(٢) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ يَقُولُ: «هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ، هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ.» قُلْتُ: مَا شَأْنِي أُبْرَى فِي شَيْءٍ، مَا شَأْنِي؟ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ، فَمَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَسْكُتَ وَتَعَشَّابِي مَا شَاءَ اللَّهُ. فَقُلْتُ: مَنْ هُمْ، يَا رَسُولَ

(١) رواه البخاري (١٤٠٣).

(٢) رواه البخاري (١٤٦٠)، ومسلم (٩٩٠).

الله؟ قَالَ: «الْأَكْثَرُونَ أَمْوَالًا إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا».

«اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ. نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيئِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ».

«اللَّهُمَّ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ».

وسبحانك الله ويحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



أحكام الزكاة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُوبِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُونَّ إِلَّا بِاللَّهِ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٢٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣-٢٠].

أما بعد: فإنَّ أصدقَ الحديثِ كلامُ اللهِ، وخَيْرُ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صلى اللهُ عليه وعلى آله وسلم - وَشَرُّ الأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا وَكُلُّ مُخَدَّنَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي اليومَ عن أحكامِ الزكاةِ لِأَنَّهَا عِبَادَةٌ وَالْعِبَادَةُ لَهَا شَرْطَانِ الشَّرْطُ الأَوَّلُ الإِخْلَاصُ وَالشَّرْطُ الثَّانِي المِتَابَعَةُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَفْضَلُ مَا أَوْجَبَ عَلَيْنَا هِيَ الزَّكَاةُ الَّتِي هِيَ نَالِثُ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ وَقَرِينَةُ الصَّلَاةِ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ، وَجَاءَ فِي مَنَعِهَا وَالبُخْلِ بِهَا الوَعِيدُ بِالنِّيرانِ، قال اللهُ ﷻ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ - هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ، يَوْمَ الثَّيَمَةِ وَاللَّهُ يَبْذُرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ٧٥] بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ هَذِهِ الآيَةُ بِمَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ البَخَارِيِّ» (١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ

(١) رواه البخاري (٤٣٨٤).

أحكام الزكاة

٥٦

زَكَاتُهُ مِثْلُ لَهُ مَالُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ رَبِيبَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ
بِلَهْرَمَتَيْهِ - يَعْنِي بِشِدْقَتَيْهِ - ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالِكُ، أَنَا كَنْزُكَ. ثُمَّ تَلَا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ
يَسْخُلُونَ بِعَاءِ أَهْلِهِمْ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ سَرٌّ لَّهُمْ مَسْخَرُونَ مَا يَحْتَلُونَ بِهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَاللَّوْمِيرَاتُ الَّتِي تَحْمِلُ الْأَرْضَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ٧٥].

وقال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُلْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ
وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كَنْزْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة: ٣٤-
٣٥] قال النبي ﷺ في بيان هذه الآية ما جاء في «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة
الطَّوِيلِ: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ».

وعلينا أن نعرف الأموال التي تجب فيها الزكاة وأنصبتها^(٢).

فإن الله ﷻ بِحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ لَمْ يَجْعَلِ الزَّكَاةَ وَاجِبَةً فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَإِنَّمَا جَعَلَ الزَّكَاةَ
فِي الْأَمْوَالِ النَّامِيَةِ حَقِيقَةً أَوْ حَكْمًا، إِنَّ الزَّكَاةَ وَاجِبَةٌ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ عَلَى أَيِّ حَالٍ
كَانَتْ، سِوَاءَ كَانَتْ جُنَيْهَاتٍ وَرِبَالَاتٍ، أَمْ قِطْعًا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، أَمْ خُلِيًّا مِنْ
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ سِوَاءَ كَانَ ذَلِكَ لِلْبَيْسِ أَوْ لِلْبَيْعِ أَوْ لِلتَّاجِيرِ، فَالذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ جَاءَتْ
نصوصُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِوَجوبِ الزَّكَاةِ فِيهِمَا عَمومًا بِدُونِ تَفْصِيلِ فَمَنْ ادَّعَى خُرُوجَ
شَيْءٍ مِنْ أَفْرَادِ هَذِهِ الْعُمُومَاتِ فَعَلِيهِ الدَّلِيلُ وَالْأَقْدَقُ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ لِأَنَّ الْعَامَّ
يَشْمَلُ جَمِيعَ أَفْرَادِهِ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِلصَّحَابَةِ: «إِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ: السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى

(١) رواه مسلم (٦٨٤).

(٢) انظر «فريضة الزكاة» (٥-١٢) لابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ بِتَصَرُّفِ تَبْيِيرِهِ.

عبادِ الله الصالحين فقد سَلَّمْتُمْ عَلَى كُلِّ عِبْدٍ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ فَإِذَا جَاءَتْ
النُّصُوصُ عَامَةً فِي وَجُوبِ زَكَاةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَمَنْ أَخْرَجَ الحُلَيْيَّ مِنْهَا فَعَلِيهِ الدَّلِيلُ
مِنْ كَلَامِ اللَّهِ أَوْ مِنْ كَلَامِ رَسُولِهِ ﷺ. وَأَمَّا إِخْرَاجُ الحُلَيْيِّ بِالْأَقْيَسَةِ الضَّعِيفَةِ فَإِنَّهُ لَا
عِبْرَةَ بِهِ، وَإِنِّي أَقُولُ: هُنَاكَ نُّصُوصٌ مِنَ السَّنَةِ خَاصَّةٌ فِي إِجَابِ الزَّكَاةِ فِي الحُلَيْيِّ فَفِي
سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ بِسَنَدِ حَسَنِ حَسَنَةَ الألبَانِيِّ فِي «صَحِيحِ أَبِي
دَاوُدَ» (١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،
وَمَعَهَا ابْنَةٌ لَهَا، وَفِي يَدِ ابْنَتِهَا مِسْكَتَانِ غَلِظَتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ لَهَا: «أَتَعْطِينَ زَكَاةَ
هَذَا؟»، قَالَتْ: لَا. قَالَ: «أَيَسْرُكَ أَنْ يُسَوِّرَكَ اللَّهُ (بِهِمَا) يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسُورَيْنِ مِنْ نَارٍ؟»،
قَالَ: فَخَلَعَتْهُمَا فَأَلْقَتْهُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، (وَقَالَتْ): هُمَا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ».

وَإِذَا كَانَ هَذَا الحَدِيثُ عَلَى هَذِهِ القُوَّةِ وَمُؤَيِّدًا بِعُمُومَاتِ الكِتَابِ وَالسَّنَةِ فَمَا بَالُنَا
نَتَّبِعُ الرُّخَصَ فِي هَذَا الأَمْرِ العَظِيمِ. إِنَّ العُلَمَاءَ إِذَا اخْتَلَفُوا فِي مَسْأَلَةٍ فَإِنَّ مَرَجِعَهُمْ إِلَى
كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ لَا إِلَى قَوْلِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، وَلَيْسَ قَوْلُ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ حُجَّةً
عَلَى الآخَرِينَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُؤَيِّدًا بِكِتَابِ اللَّهِ أَوْ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بِقَوْلِ اللَّهِ ﷻ:
﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى: ١٧].

وَيَقُولُ ﷻ: ﴿ فَإِنْ لَنُزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ
ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

وَلَيْتِنِ سَأَلْتُمْ: هَلْ تَجِبُ الزَّكَاةُ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ سِوَاءَ كَانَتْ قَلِيلَةً أَمْ كَثِيرَةً؟

(١) (حسن) رواه أبو داود (١٥٦٣) والترمذي (٦٣٧)، والنسائي (٥/ ٢٨)، وحسنه الألباني في
«صحيح أبي داود» (١٣٩٦).

فإن الجواب على ذلك: أن جميع الأموال الزكوية لا تجب فيها الزكاة إلا إذا بلغت نصاباً، نصاب الفضة مائة وأربعون مثقالاً. ووزن ستة وخمسين ريالاً سعودياً من الفضة، فما دون ذلك لا زكاة فيه. أما نصاب الذهب فإنه عشرون مثقالاً. ووزن خمسة وثمانين غراماً فما دون ذلك فلا زكاة فيه. ومقدار الزكاة في الذهب والفضة ربع العشر، وطريق ذلك أن تقسم ما عندك على أربعين فما خرج بالقسمة فهو الزكاة، وتجب الزكاة أيضاً في الأوراق النقدية إذا بلغت ما يساوي ستة وخمسين ريالاً سعودياً من الفضة وفيها ربع العشر. وتجب الزكاة كذلك في الديون التي في ذمم الناس إذا كانت من الذهب أو الفضة أو الأوراق النقدية، وبلغت نصاباً بنفسيها أو يضمها إلى ما عنده من جنسها سواء أكانت حالة أم مؤجلة، ولكن الديون على الفقراء لا زكاة فيها إلا إذا استلمها الإنسان فإنه يزكها لمدة سنة واحدة. وكذلك الديون عند شخص أو جهة لا يمكنك مطالبها فإنه لا زكاة فيها حتى تقبضها ثم تزكها سنة واحدة. وتجب الزكاة في عروض التجارة وهي ما أعدّه الإنسان للتكسب من عقار أو أثاث أو مواش أو سيارات أو مكائن أو أطعمة أو أقمشة أو غيرها فتجب فيها الزكاة وهي ربع عشر قيمتها عند تمام الحول، فإذا تم الحول وجب على التاجر أن يضمن ما عنده من العروض ويخرج ربع عشر قيمتها سواء كانت القيمة مثل الثمن أو أقل أو أكثر، فإذا اشترى سلعة بألف ريال مثلاً، وكانت تساوي عند تمام الحول ألفين وجب عليه زكاة ألفين، وإذا كانت لا تساوي عند الحول إلا خمسمائة لم يجب عليه إلا زكاة خمسمائة، وإذا كان لا يدري هل تزيد عن ثمنها الأول أو تنقص فإنه يعتبر الثمن الأول، وذلك لأن الزيادة والنقص مشكوك فيهما وما شك فيه فإنه يرجع فيه إلى اليقين. ولا زكاة في المال حتى يحول عليه الحول، فلو نقد المال قبل



تمام الحولِ بِنَقْصٍ أو تَلْفٍ أو نَقْصٍ عن النصابِ فلا زكاة فيه، ولو مات المالك قبل تمام الحولِ ولو بأيامٍ فلا زكاة عليه، وإنما تَجِبُ الزكاة على الوَرَثة بعد تمام الحولِ من موتِ مَوْرَثِهِمْ إذا تَمَّتْ شُرُوطُ الوجوبِ في حَقِّهِمْ، وَيُسْتَثْنَى من ذلك عروضُ التجارة، فإن ربحها تابع لأصلها، لأنَّ الفَرْعَ يَتَّبِعُ الأَصْلَ كما قَرَرناهُ فيما سَبَقَ، وكذلك لو استبدلَّ العروضُ بَعْضُها ببعضٍ فإنَّ المعتبرَ حَوْلَ الأَوَّلِ، مثاله: إذا اشترتَ سلعةً بألفِ ريالٍ مثلاً، وبيعتَ عندك وقبل أن يَتِمَّ الحَوْلُ بِعَتِّها واشترتِ سلعةً أُخرى للتجارة، فإنك تُزَكِّي السلعةَ الثانيةَ إذا تَمَّ حَوْلُ السلعةِ الأولى؛ لأنَّ عُرُوضَ التجارة يقومُ بَعْضُها مقامَ بعضٍ. وإذا كان الشَّخْصُ يملكُ المالَ شيئاً فشيئاً مثل الرواتبِ الشهرية فلا زكاة على شيءٍ منه حتى يحولَ عليه الحولُ، أما إذا كان يُنْفِقُ رواتبه كُلَّ شَهْرٍ بِشَهْرِهِ، فإنه لا يَجِبُ عليه شيءٌ من الزكاة في هذه الرواتبِ لأنها تُنْفَقُ، ولكن إن كانَ عنده أموالٌ أُخرى فَلْيُزَكِّها. أما إذا كان لا يُنْفِقُ جميعَ الراتبِ في الشَّهْرِ فإنه إذا تَمَّ الحَوْلُ يخرجُ زكاةً ما عنده والأحسنُ والأزْيَجُ له أن يُخْرِجَ زكاةَ الجميعِ وتكونُ بالنسبةِ لما لا يَتِمُّ حوله مُعَجَّلَةً. وإذا كان للإنسانِ عقارٌ يَسْكُنُهُ أو سيارةً يركبُها أو مكيئةً لفلاحيته أو عقاراتٌ يُؤَجِّرُها فإنه ليس فيها زكاة، ولكنَّ الزكاةَ فيما يَحْصُلُ منها من الأجرة. وإذا كان للإنسانِ أرضٌ يريدُ أن يَبْنِيَ عليها مسكناً له أو للإيجارِ فلا زكاة عليه فيها. وكذلك إذا أبقاها للحاجة يقولُ: إن احتجتُ بِعَتِّها وإلا أَبْقَيْتُها فلا زكاة عليه فيها، وكذلك إذا أبقاها متردداً فيها هل يبيعُها أو لا فلا زكاة عليه فيها. وكذلك إذا كان عنده عقارٌ انتهت حاجتُه منه فعرضه للبيع فلا زكاة عليه فيه؛ لأنَّ هذا ليس من عُرُوضِ التجارة، ولكنه من الأموالِ التي انتهت حاجتُه منها وأرادَ يَبْعَها.

مصارف الزكاة:

الزكاة لا تَبْرَأُ بِهَا الذُّمَّةُ وَلَا تَكُونُ مَقْبُولَةً عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا إِذَا وَصَعَهَا الْإِنْسَانُ فِي مَوَاضِعِهَا الَّتِي قَرَضَ اللَّهُ أَنْ تُوَضَعَ فِيهَا، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَفَةِ فَلُوْبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْفَدْرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠] هذه الآية - كما يعرف علماء البلاغة واللغة - جاءت عن طريق الحَضْرِبِ «إِنَّمَا» فَقَدْ حَصَرَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ الصَّدَقَاتِ فِي هَذِهِ الْأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ لَا تُجْزَى فِي غَيْرِهَا، فَلَا يَجُوزُ إِخْرَاجُ الزَّكَاةِ فِي بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ، وَلَا يَجُوزُ إِخْرَاجُ الزَّكَاةِ فِي إِصْلَاحِ الطَّرِيقِ، وَلَا يَجُوزُ إِخْرَاجُ الزَّكَاةِ فِي بِنَاءِ الْمَسَاكِينِ لِلْفُقَرَاءِ، وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ، اللَّهُمَّ إِلَّا فَقِيرًا مُّعَيَّنًا تُلَدِّسُ حَالَهُ وَيُنْظَرُ فِيهِ. هَذِهِ الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَضَابِطُ هَذَيْنِ الصَّنْفَيْنِ أَلَّا يَكُونُوا قَادِرِينَ عَلَى نَقَقَاتِهِمْ وَنَفَقَاتِ عَوَائِلِهِمْ لِمُدَّةٍ عَامٍ كَامِلٍ، فَإِذَا قَدَّرْنَا أَنَّ شَخْصًا مِنَ النَّاسِ لَهُ رَاتِبٌ قَدْرُهُ ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَعِنْدَهُ عَائِلَةٌ لَا يَكْفِيهِمْ فِي الشَّهْرِ إِلَّا أَرْبَعَةُ آلَافٍ فَإِنَّا نُعْطِيهِ مِنَ الزَّكَاةِ اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا لِأَنَّهُ يَحْتَاجُ كُلَّ شَهْرٍ لِإِسْدَادِ نَفَقَتِهِ أَلْفًا، فَتُعْطِيهِ مَا يَسُدُّ نَفَقَتَهُ، وَلَكِنَّا إِذَا خِفْنَا إِذَا أُعْطِيَنَاهُ الْمَبْلَغَ كَامِلًا أَنْ يَفْرُطَ فِيهِ وَيُفْسِدَهُ، فَلَا بَأْسَ أَنْ نَقْطَعَهُ عَلَيْهِ بِكُلِّ شَهْرٍ حِمَايَةً لَهُ مِنَ الْفَسَادِ. وَهَنَا مَسْأَلَةٌ يَجِبُ أَنْ أُنَبِّهَ عَلَيْهَا وَأَنْ تَسْتَبْهَرُوا لَهَا: وَهِيَ أَنَّ بَعْضَ الْفُقَرَاءِ يَرِيدُ أَنْ تَكُونَ نَفَقَتُهُ كَنَفَقَةِ الْأَغْنِيَاءِ؛ فَتَجِدُهُ يَرِيدُ أَنْ يُكْمِلَ النَّقْصَ فَيُنْفِقَ مِنَ الْأَطْعَمَةِ وَيُنْفِقَ مِنَ الْأَكْسِيَةِ وَيُنْفِقَ مِنَ الْكَمَالِيَّاتِ مَا يُنْفِقُهُ الْأَغْنِيَاءُ وَهُوَ فِي هَذِهِ الْحَالِ مُسْرِفٌ وَاللَّهُ لَا يُجِبُّ الْمُسْرِفِينَ، وَالْوَاجِبُ أَنْ يَعْرِفَ الْإِنْسَانُ حَالَهُ وَأَلَّا يُنْفِقَ إِلَّا بِقَدْرِ مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ ﷻ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ. وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ﴾ [الطلاق: ٧]. وَمِنَ الْأَمْثَالِ الْعَامِيَّةِ الْمَطَابِقَةِ لِلْحِكْمَةِ



تمامًا: (مُدَّ رِجْلَكَ عَلَى قَدْرِ لِحَافِكَ) فلا ينبغي بل ولا يجوزُ للفقير أن يصرفَ من النفقاتِ مثلما يصرفُهُ الأغنياءُ بل يصرفُ على قدرِ حاله، ومن يستعفف يُعفَّهُ اللهُ. وأما الغارمون: فالغارمون هم الذين عليهم ديونٌ للناسِ، سواء كانتَ ثَمَنَ مبيعٍ أو أَجْرَةَ سَكْنٍ أو غيرَ ذلك، فهؤلاء إذا لم يَكُنْ عندهم ما يكفيهم لسدادِ الديونِ فلا حَرَجَ أن تُقْضِيَ عنهم الديونُ من الزكاةِ، ولكن هل نُعْطِيهِ هو لِيُوفِي عَن نَفْسِهِ، أو نَذْهَبُ نَحْنُ إِلَى صَاحِبِ الدَّيْنِ وَنُسَدِّدُ الدَّيْنَ عَمَّنْ هو عليه؟ نقولُ في هذا: يُنْظَرُ إِلَى المصلحةِ؛ فإذا كان المُسْتَدِينُ رَجُلًا حَرِيصًا على إِبْرَاءِ ذِمَّتِهِ رَشِيدًا في تَصَرُّفِهِ فإننا نُعْطِيهِ لِيُوفِي حَتَّى لا يَكُونَ لَنَا مَنَّةٌ عَلَيْهِ أَمَامَ النَّاسِ، أما إذا كان رَجُلًا أُخْرَقَ سَفِيهًا لا ييالي بِاشْتِغَالِ ذِمَّتِهِ بِالديونِ فإننا نَذْهَبُ لِي صَاحِبِ الدَّيْنِ وَنُسَدِّدُ الدَّيْنَ عَمَّنْ هو عليه حَتَّى تَبْرَأَ بِذَلِكَ ذِمَّتُهُ، ولا تَخْفِرُوا شَيْئًا مِنَ المَعْرُوفِ، لا نقولُ: هذا مَدِينٌ بِدْيُونِ كَثِيرَةٍ وَزَكَاتُنَا قَلِيلَةٌ، فَإِنَّ الكَثِيرَ مِنَ القَلِيلِ كَثِيرٌ وَإِنَّ مِنَ الحَاجَةِ المُلِحَّةِ حَاجَةَ الشَّابِّ أو غيرِ الشَّابِّ إِلَى الزَّوْجِ إذا كَانَ لَيْسَ عِنْدَهُ ما يُعْفُهُ وإذا كَانَ لَيْسَ قَادِرًا على المَهْرِ، فلا حَرَجَ أن نُعِينَهُ مِنَ الزَّكَاةِ فِي مَهْرِهِ حَتَّى يَتَزَوَّجَ؛ لِأَنَّ الزَّوْجَ مِنْ أَهَمِّ الأُمُورِ، وَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِهِ فِي قَوْلِهِ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ! مِنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ» فإذا عَرَفْنَا أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ مَحْتَاجٌ إِلَى الزَّوْجِ وَلَيْسَ عِنْدَهُ مِنَ المَهْرِ ما يَكْفِيهِ فلا حَرَجَ أن نُعْطِيَهُ مِنَ الزَّكَاةِ مِنْ أَجْلِ اسْتِكمالِ المَهْرِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ حَاجَةٌ مُلِحَّةٌ وَلا تُنْسَى أَنَّ مَنْ أَدَّى الزَّكَاةَ فِي غيرِ مَحَلِّهَا فَهُوَ كَمَنْ صَلَّى الصَّلَاةَ فِي غيرِ وَقْتِهَا لا تَبْرَأُ بِهَا ذِمَّتُهُ وَلا يَسْقُطُ عَنْهُ الوَاجِبُ، فَعَلِينَا أَنْ نَخْرِصَ غَايَةَ الحِرْصِ على وَضْعِهَا فِي مَحَلِّهَا وَأَلَّا نُحَابِي بِهَا قَرِيبًا وَلا صَدِيقًا وَلا بَعِيدًا وَلا شَرِيفًا وَلا أَحَدًا مِنَ النَّاسِ إِلا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِهَا، وَإِذَا

اجتمع عندنا رجلانِ كلاهما مُسْتَحِقٌّ ولكنَّ أَحَدَهُمَا قَرِيبٌ فَإِنَّ الْقَرِيبَ أَوْلَى؛ لِأَنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى الْقَرِيبِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ الْقَرِيبُ مِمَّنْ تَجِبُ نَفَقَتُهُ عَلَيْكَ وَكَانَ مَالُكَ يَتَحَمَّلُ الْإِنْفَاقَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ تُعْطِيَهُ لِلْإِنْفَاقِ مِنْ زَكَاتِكَ، لِأَنَّكَ إِذَا أُعْطِيَتْ ذَلِكَ فَإِنَّكَ بِهَذَا تَحْمِي مَالَكَ مِنَ النِّفْقَةِ. أَمَّا قِضَاءُ الدَّيْنِ عَنِ الْمَدِينِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ وَفَاءَهُ وَهُوَ مِنْ قَرَابَتِكَ فَلَا بَأْسَ أَنْ تُقْضِيَهُ مِنْ زَكَاتِكَ وَلَوْ كَانَ ابْنُكَ أَوْ أَبَاكَ أَوْ أَخَاكَ؛ لِأَنَّ الدَّيْنَ لَا يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ قِضَاؤُهُ وَلَوْ كَانَ عَلَى أَبِيهِ أَوْ ابْنِهِ أَوْ أَخِيهِ. فَإِذَا سَدَّدَهُ مِنْ زَكَاتِهِ فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ وَلَكِنْ بِشَرْطِ الْأَيْكُونِ عِنْدَهُ مَا يُؤْتِي بِهِ.

اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي الدِّينِ وَاجْعَلْنَا هِدَاةً مُهْتَدِينَ.

اللَّهُمَّ زِدْنَا عِلْمًا وَهَدًى وَصَلَاحًا.

اللَّهُمَّ عَلَّمْنَا مَا جَهِلْنَا وَذَكَّرْنَا مَا نَسِينَا وَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

«اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تَبَلَّغْنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتَّنَّا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ نَارَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا».

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ: نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



المرتبة الرابعة: صيام رمضان

صيام رمضان

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) ﴿[آل عمران: ٧٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) ﴿[النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) ﴿[الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإنَّ أصدقَ الحديثِ كلامُ اللهِ، وخَيْرُ الهدي هديُّ مُحَمَّدٍ - صلى اللهُ عليه وعلى آله وسلم - وَشَرُّ الأمورِ مُخَدَّنَاتُهَا وَكُلُّ محدثَةٍ بدعة، وَكُلُّ بدعة ضلالة، وَكُلُّ ضلالةٍ في النار.

أما بعدُ فحديثي اليوم عن صيامِ رمضانِ الركنِ الرابعِ من أركانِ هذا الدينِ الحنيفِ، فلا يستقيمُ بناءُ الإسلامِ إلَّا بِهِ، وَلَا يَثْبُتُ إيمانُ امرئٍ حتَّى يُقَرَّ بفرضيَّته. ففي «الصحيحين» (١) من حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهما قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: بُنِيَ الإسلامُ على خَمْسٍ: شهادةُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللهِ، وإقامُ الصلاةِ، وإيتاءُ

(١) رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

بؤلظف النساؤ

٦٤

الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت^(١). وفي لفظ لمسلم: «بني الإسلام على خمس: على أن يُعبد الله ويُكفر بما دونه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان».

وقد جعل الله ﷻ صيام رمضان وسيلة إلى التقوى: فقال ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُيْبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُيْبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ تَنفُقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣).

قال البيهقي: ﴿لَمَّا كُنْتُمْ تَنفُقُونَ﴾ يعني بالصوم؛ لأن الصوم وصلة إلى التقوى لما فيه من قهر النفس وكسر الشهوات^(١).

وقال ابن كثير: «لأن الصوم فيه تزكية للبدن وتضييق لمساكك الشيطان»^(٢).

ولصيام فضائل عظيمة لا تكاد تُحصَرُ فمن فضائل الصيام أنه إذا حلَّ شهر رمضان فُتِحَتْ أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وصفدت الشياطين:

ففي «الصحيحين»^(٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل شهر رمضان فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلِّسَتْ الشَّيَاطِينُ».

وفي رواية: «فُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ».

ومن فضائل الصيام أن الله ﷻ أضافه لنفسه تشريفاً لقدره وتعريفاً بعظيم أجره: ففي «الصحيحين»^(٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللهُ: كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ».

(١) معالم التنزيل (١/ ١٩٦).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٣١٨).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (١٨٩٩) و(١٨٩٨) واللفظ له، ومسلم (١٧٧٩).

(٤) رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١).



وفي رواية لمسلم: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَّا سَبْعِمِائَةَ ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ بِرَبِّكَ: «إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أُجْزِي بِهِ، يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي».

قال العلماء - رحمهم الله -: أن إضافة الصوم لله تعالى هو إضافة تشريف وتعظيم كما يقال: «ناقته الله» و«بيت الله». ومن فضائل الصيام أنه أفضل الأعمال عند الله تعالى.

ومن فضائل الصيام أنه ليس له مثل في الأجور.

ففي مسند أحمد بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع» (١) عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرْنِي بِأَمْرٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ، قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ».

ومن فضائل الصيام أنه من أسباب مغفرة الذنوب.

ففي «صحيح مسلم» (٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». ومن فضائل الصيام أنه سبب من أسباب دخول الجنة، مع الإيمان بالله تعالى وإقامة الصلاة وأداء الزكاة.

ففي «الصحيحين» (٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ذُلِّي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ. قَالَ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتَقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ». قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا.

(١) (صحيح) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥١) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١: ٤٤).

(٢) رواه مسلم (٧٦٠).

(٣) رواه البخاري (١٣٩٧)، ومسلم (١٤).

فَلَمَّا وَلَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا».

ومن فضائل الصيام أنه سبب لدخول الجنة من باب من أبواب الجنة لا يدخل منه غير الصائمين، يُقال له الرِّيَّانُ وهذا يدلُّ على أهمية الصيام وعظم مكانته في دين الله تعالى.

ففي «الصحيحين»^(١) عَنْ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرِّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ أَيْنَ الصَّائِمُونَ يَقُومُونَ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ، فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ».

وفي «الصحيحين»^(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ فِي الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ. فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ». قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَى أَحَدٍ يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ».

قال النووي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قال العلماء: سُمِّيَ بابُ الرِّيَّانِ تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّ الْعَطْشَانَ بِالصَّوْمِ فِي الْهَوَاجِرِ سَيَّرَوِي وَعَاقِبَتُهُ إِلَيْهِ وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الرِّيِّ»^(٣).

ومن فضائل الصيام أن الصيام قاطعٌ مؤقتٌ لشهوة النكاح، وسببٌ للعِفَّةِ والطهارة؛ قال

(١) رواه البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١٧٥٢).

(٢) رواه البخاري (١٨٩٧)، ومسلم (٣٣٧).

(٣) شرح مسلم للنووي (١١٦ / ٧).



النبي ﷺ موصياً شباب أمتيه، وأكثرم به من موصي كما في «الصحيحين»^(١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء».

و«الباءة»: القدرة على مؤنة النكاح، و«وجاء»: أي: قاطع للشهوة.

ومن فضائل الصيام أنه مهذبٌ لنفسي الصائم، مُمسِكٌ عليه لسانه وجوارحه عن قولٍ زورٍ، أو عملٍ به، مصبِّرٌ له على أذى الناس؛ كما في «الصحيحين»^(٢) قال النبي ﷺ: «إذا أصبح أحدكم يوماً صائماً، فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤ شاتمته أو قاتله، فليقل: إني صائم، إني صائم».

ومن فضائل الصيام أن الصيام جنةٌ وحضنٌ من النار:

ففي «الصحيحين»^(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الصيام جنة»^(٤).

وقد ذكّر بعض العلماء أن الصوم إنما كان جنةً من النار؛ لأنه إمساكٌ عن الشهوات، والنارُ محفوفةٌ بالشهوات، فالحاصلُ أنه إذا كفَّ نفسه عن الشهوات في الدنيا كان ذلك ساتراً له من النار في الآخرة^(٥).

(١) رواه البخاري (١٩٥)، ومسلم (٦٥٠)، واللفظ لمسلم.

(٢) رواه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١٦٥١)، واللفظ لمسلم.

(٣) رواه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١).

(٤) رواه البخاري (١٨٩٤)، ومسلم (١٦٥١).

(٥) «فتح الباري لابن حجر» (١/ ٦٤).

ومن فضائل الصيام سعادة الصائم حين فطره وحين لقاء ربه:

ففي «الصحيحين»^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... لِلصَّائِمِ فَرَحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا، إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ».

قيل معناه: فَرِحَ بزوالِ جوعِهِ وعطشه حيثُ أُبِيحَ له الفِطْرُ، وهذا الفَرِحُ طبعيٌّ وهو السابقُ للفهم. وقيل: إنَّ فَرَحَهُ بفطره من حيثُ أنه تَمَّ صومه وخاتمةُ عبادته وتخفيفٌ من ربه ومعونةٌ على مستقبلِ صومِهِ^(٢).

وقوله: وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ، أي بجزائه وثوابه وقيل الفَرِحُ الذي عند لقاء ربه إما لسرويه بربه أو بثواب ربه، على الاحتمالين^(٣).

ومن فضائل الصيام أن خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ أَطِيبُ عند الله تعالى من ريحِ المِسْكِ: ففي «الصحيحين»^(٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... وَالَّذِي نَفَسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطِيبُ عند الله من ريحِ المِسْكِ...».

قال ابنُ عبد البر: (وخلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ ما يَعتَرِيهِ في آخِرِ النِّهارِ من التَّغْيِيرِ وأكثَرُ ذلكَ في شِدَّةِ الحَرِّ. ومعنى قولِهِ: لخلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطِيبُ عند الله من ريحِ المِسْكِ؛

(١) رواه البخاري (١٩٥٤)، ومسلم (١١٥١).

(٢) قال ابنُ حجر: (ولا مانع من الخُلُوفِ على ما هو أعمُّ مما ذُكِرَ، ففَرِحُ كُلُّ أَحَدٍ بِحَسْبِهِ لاختلافِ مقاماتِ الناسِ في ذلكَ فمنهم من يكونُ فَرَحُهُ مباحًا وهو الطبعيُّ ومنهم من يكونُ مستحبًّا...) «فتح الباري» (١/ ١١٨).

(٣) «فتح الباري» (١/ ١١٨).

(٤) رواه البخاري (١٩٥٤)، ومسلم (١١٥١).



يريد أركن عند الله وأقرب إليه وأرفع عنده من ربح المسك^(١).

قال بعض أهل العلم في شرح ذلك: لأنها من آثار الصيام فكانت طيبة عند الله سبحانه ومحبوبة له، وهذا دليل على عظيم شأن الصيام عند الله^(٢).

«اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ بِكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ بِكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَنَسْأَلُكَ مَا قَضَيْتَ لَنَا مِنْ أَمْرٍ أَنْ تَجْعَلَ عَاقِبَتَهُ رَشَدًا».

وسبحانك الله ويحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



(١) «التمهيد» (١٩ / ٥٧).

(٢) «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (٢٠ / ٢٠٠).

كيف نستقبل شهر رمضان؟

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١١٢] ﴿[١]﴾
 عمران: ١١٢، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿[١]﴾
 الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ [الأحزاب: ٣٠-٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كلامُ الله، وخَيْرُ الهدي هديُ مُحَمَّدٍ - صلى الله عليه وسلم - وشَرُّ الأمور مُحدثاتها وكلُّ مُحدثَةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

أما بعدُ فحديثي اليوم عن كيف نستقبل شهر رمضان؟

فها هو ضيفٌ كريمٌ قد نزلَ علينا، إنه ضيفٌ عزيزٌ مباركٌ قد هلَّ علينا بأنفاسِهِ إنه شهرُ القرآن، إنه شهرُ القيامِ والصَّيامِ، إنه شهرُ الجودِ والبِرِّ والإحسانِ والعتقِ من النيرانِ، إنه شهرُ رمضانَ، ففي «الصَّحيحين»^(١) من حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَتُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ»، وفي لفظٍ لمسلم: «فُتِحَتْ

(١) رواه البخاري (١٨٩٨)، ومسلم (٢٧٧٩).



أبواب الجنّة، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشرّ أقصر، والله عتقاء من النار، وذلك في كلّ ليلة حتى ينتقضي رمضان».

فنحن نبشّر الجميع بقدوم الضيف الكريم الذي يأتي بعد طول غيابٍ ويُقدِّد بعد فراقٍ، نبشركم كما كان المصطفى ﷺ يبشّر أصحابه فيقول: كما في مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسْنَدِ صَحِيحِ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك كتب الله عليكم صيامه، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغْلَى فِيهِ مَرَدَّةُ الشَّيَاطِينِ، لَّهُ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ».

قال العلماء: هذا الحديث أصلٌ في تهنئة الناس بعضهم بعضاً بشهر رمضان.

فعلينا أن نستقبل هذا الشهر الكريم بما يأتي:

بشكرِ نعمةِ بُلُوغِ الشَّهْرِ وتذكُّرِ نعمةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وتوفيقِهِ وذلك بأنَّ يَسْتَحْضِرَ الصَّائِمُ نعمةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ إِذْ مَكَّنَهُ مِنَ الصِّيَامِ، وَوَفَّقَهُ لَهُ وَأَتَمَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ كَثُرَ مِنَ النَّاسِ حُرْمُوا الصِّيَامِ إِمَّا بِمَوْتِهِمْ قَبْلَ حُلُولِ الشَّهْرِ، أَوْ بِعَجْزِهِمْ عَنْهُ لِمَرَضٍ أَوْ غَيْرِهِ، أَوْ بِضَلَالِهِمْ وَإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْقِيَامِ بِهِ، فَلْيَحْمَدِ الصَّائِمُ رَبَّهُ عَلَى نعمةِ الصِّيَامِ الَّتِي هِيَ سَبَبٌ لِمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ وَتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ، وَرَفْعِ الدَّرَجَاتِ فِي دَارِ النِّعَمِ.

فعندما يهَلُّ هلالُ رَمَضَانَ يَسْتَشْعِرُ الْعَبْدُ نعمةَ اللَّهِ عَلَيْهِ بِأَنْ مَدَّ فِي عُمْرِهِ وَبَلَغَهُ رَمَضَانَ، فَإِذَا رَأَيْتَ هلالَ رَمَضَانَ فَقُلْ كَمَا عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، كَمَا عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ فِي الْكَبِيرِ بِسْنَدِ حَسَنِ حَسَنَةَ الْأَلْبَانِيِّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»^(٢) من حديثِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ

(١) (صحيح). أخرجه أحمد (٢/ ٢٣٠) والنسائي (٤/ ٣٦) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٥).

(٢) رواه الطبراني (١٣٣٠) (حسن) الألباني في صحيح الجامع (٤٧٣٦).

الله أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: «اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ربي وربك الله».

وهذا الدعاء في كل شهر، وهو في رمضان ألزم.

قوله: (أهله) أي: أطلعه علينا، وأرانا إيّاه، والمعنى: اجعل رؤيتنا له مقترنة بالأمن والإيمان.

قوله: (بالأمن) أي: مقترناً بالأمن من الآفات والمصائب.

قوله: (والإيمان) أي: ويثبت الإيمان فيه.

قوله: (والسلامة) أي: السلامة عن آفات الدنيا والدين.

فهنيئاً لمن أدرك رمضان، وشريئاً لمن بلغه الله رمضان، قال ابن رجب: «كيف لا يُشَرُّ المؤمنُ بفتح أبواب الجنان؟ كيف لا يُشَرُّ المذنبُ بفتح أبواب النيران؟ كيف لا يُشَرُّ العاقلُ بوقت يُغلُّ فيه الشيطان؟ من أين يُشبهُ هذا الزمانَ زماناً؟»^(١).

ولأن السلف الصالح خبروا قيمة رمضان؛ فقد كانوا ينتظرونه بفارغ الصبر، ويسألون الله - تعالى - أن يعيشوا رمضان المُقبِل، حتى يُعبُوا من الخير والفضل، قال معلّى بن الفضل: «كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم»، وكان يحيى بن أبي كثير يقول: «اللهم سلّمنا إلى رمضان، وسلّم لنا رمضان، وتسلّمه منا متقبلاً».

فمن فضل الله عليك، ومحبيته لك: أن نسا في حياتك، حتى تزود من خير رمضان

(١) لطائف المعارف (٤٨).



هذه السنة؛ ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، فلا يظفروا بنعمة إدراك رمضان، والاعتراف من خيراته، إلا المبشرون برحمة الله.

ففي الكبير للطبراني بسند حسن حسنه الألباني في «صحيح الترهيب» (١) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ صعد المنبر فقال: «آمين، آمين، آمين»، قيل: يا رسول الله، إنك صعدت المنبر فقلت: «آمين، آمين، آمين»؟ فقال: «إن جبريل ﷺ أتاني فقال: من أدرك رمضان فلم يغفر له، فأبعده الله، فقلت: آمين، قال: ومن أدرك والديه أو أحدهما فدخل النار، فأبعده الله، فقلت: آمين، قال: ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك، فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين».

فمرحبا بزائر قد طال غيبته، وعظمت مكاتته، له في النفس شوق، وكيف لا وهو طريق الجنة؟! أجوره مضاعفة، وأعماله مباركة، ففي «الصحيحين» (٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أُجْزِي بِهِ، وَلِخَلُوفٍ فِي الصَّائِمِ، أَطِيبُ حِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ».

ونستقبل هذا الشهر الكريم بالإخلاص لله في الصيام: قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ﴾ [الكهف: ١١٠].

والإخلاص روح الطاعات، ومفتاح لقبول الباقيات الصالحات، وسبب لمعونة الله ﷻ وتوفيقيه.

(١) (حسن) أخرجه الطبراني (٩/ ١٤٤ / ٣٦٥)، وقال الهيثمي (١٠/ ١٦٩): الطبراني رجاله ثقات. وقال الألباني في صحيح الترغيب (٩٩٥): صحيح لغيره.
(٢) رواه البخاري (٥١٢) واللفظ له، ومسلم (١١٥١).

الحفاظ على النساء

٧٤

ونستقبل شهر رمضان بالعلم واليقين بإحكام رمضان، فيجب على المؤمن أن يعبد الله على علم، ولا يُعذرُ بِجَهْلِ الفرائض التي فرضها الله على العباد، ومن ذلك صوم رمضان فينبغي للمسلم أن يتعلم مسائل الصوم وأحكامه قبل مجيئه، ليكون صومه صحيحاً مقبولاً عند الله - تعالى - قال الله ﷻ: ﴿فَسَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

ونستقبل هذا الشهر الكريم بالعموم على التماس في الخيرات:

فنستقبل رمضان بينة أن نصومه إيماناً واحتساباً، وأن نفتح في أول ساعة منه صفحة جديدة في سجل أعمالنا، ومعنا العزم الأكيد على التزود فيه بصالح الأعمال؛ إذ إن من أذركه رمضان ولم يُغفر له فقد خاب وخسر ففي سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الْكَبِيرَ فَلَمْ يُدْخِلْهُ الْجَنَّةَ».

ونستقبل هذا الشهر الكريم بكثرة الاستغفار؛ وذلك حتى يتم تعديل ما في الصحيفة من (معاصي، وغفلة، وتقصير في الأعمال الصالحة وغير ذلك)، فيتم إصلاح النقص الذي فيها قبل أن تُعرض على الله، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]، وأخرج الطبراني في «الأوسط» بسند حسن حسنه الألباني في «صحيح الجامع»^(٢) عن الزبير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَسْرَهُ صَحِيفَتُهُ فَلْيُكْثِرْ فِيهَا مِنَ اسْتِغْفَارِهِ».

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٧).

(٢) (حسن) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨٣٩) وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩٥٥).

وفي سُتْنِ ابْنِ مَاجَةَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الترهيب» والترهيب» (١) عَنْ عَبْدِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «طُوبَى لِمَنْ وُجِدَ فِي صَحِيْفَتَيْهِ اسْتِغْفَارٌ كَثِيرٌ» وَعَلَيْنَا أَنْ نَسْتَقْبَلَ هَذَا الشَّهْرَ الْكَرِيمَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ وَالْقَلْبُ السَّلِيمُ هُوَ الَّذِي سَلِمَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ، بَدَأَ بِالشَّرِكِ بِاللهِ تَعَالَى مَرُورًا بِالشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، وَمِنْ كُلِّ خَصَلَةٍ مَذْمُومَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُوْلِهِ ﷺ كَالغِلِّ وَالْحِقْدِ وَالْحَسَدِ وَالشُّحِّ وَالْكِبْرِ وَحُبِّ الدُّنْيَا، وَالْقَلْبُ السَّلِيمُ كَذَلِكَ هُوَ الَّذِي خَلَصَتْ عِبُوْدِيَّتُهُ لَهِ اللهُ تَعَالَى، فَيَعْرِفُ حَقُوْقَ اللهِ ﷻ وَيُوَدِّيْهَا عَلَيَّ أَكْمَلِ وَجْهِ.

* القَلْبُ السَّلِيمُ عَلَيْهِ المَدَارُ يَوْمَ القِيَامَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

* صَلاَحُ هَذَا العُضْوِ يَعْنِي صَلاَحَ حَالِ العَبْدِ وَبِفَسَادِهِ يَفْسُدُ، قَالَ ﷺ كَمَا فِي «الصحيحين» (٢) عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «... أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ».

فَإِذَا كَانَ القَلْبُ صَالِحًا فَتَبَعًا لِذَلِكَ تَصْلُحُ الجَوَارِحُ فَلَا تَرَى العَيْنُ إِلَّا الحَلَالَ وَلَا تَسْمَعُ الأذُنُ إِلَّا الحَلَالَ وَلَا يَقُولُ اللِّسَانُ إِلَّا مَا يُرِضِي اللهُ تَعَالَى، وَإِذَا كَانَ القَلْبُ فَاسِدًا فَتَبَعًا لِذَلِكَ تَفْسُدُ الجَوَارِحُ فَتَرَى العَيْنَ تَنْظُرُ إِلَى الحَرَامِ والقَنَوَاتِ المُحَرَّمَةِ والأذُنُ تَسْمَعُ الغِنَاءَ والحَرَامَ وَكَذَلِكَ اللِّسَانُ تَجِدُهُ يَفْرِي فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ صَبَاحَ مَسَاءً والقُلُوبُ مَشَاكِي الأَنْوَارِ، فَمَنْ خَلَطَ زَيْنَتَهُ اضْطَرَبَ أَمْرُهُ، وَعَمِيَ عَلَيْهِ السَّبِيلُ.

(١) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ (٣٨٨) وَصَحَّحَهُ الألبانيُّ فِي «صحيح الترهيب والترهيب» (١٦٨).

(٢) رَوَاهُ البخاريُّ (٢٥١)، ومسلمٌ (١٢٥).

أدعية خزانة النساء

٧٦

قال ابن القيم رحمته الله: كلما كانت حياة القلب أتمَّ كان غضبه لله ولرسوله أقوى، وانتصاره للدين أكمل (١).

وقال رحمته الله: كلُّ إناءٍ فارغٍ إذا دَخَلَ فيه شيءٌ ضاقَ بهِ إلا القلبَ اللَّيِّنَ، فكلما أفرغَ فيه الإيمانُ والعِلْمُ اتَّسعَ وانفَسَحَ، وهذا من آياتِ قُدْرَةِ الرَّبِّ سبحانه (٢).

وقال أبو المظفر السمعاني رحمته الله: اللهم اجعل قلوبنا خزائن توحيدك، وألسنتنا مفاتيح تمجيدك، وجوارحنا خدَم طاعتك؛ فإنه لا عزَّ إلا في الدُّلِّ لك، ولا غنى إلا في الفقر إليك، ولا أمن إلا في الخوف منك، ولا قرار إلا في القلقِ نحوك، ولا رَوْح إلا في النظرِ إلى وجهك، ولا راحة إلا في الرضا بقسمك، ولا عيش إلا في جوار المقربين عندك (٣).

«اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ نَرْجُو، فَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنًا كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ.»

«اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغَنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ.»

وسبحانك الله ويحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

(١) إعلام الموقعين (١/ ٤٣٠).

(٢) شفاء العليل (٣٦٧).

(٣) العود الهندي (٢/ ٣٥٦).

آداب الصيام ومُستحباته

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَجَدَكُمْ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) [الاحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا وَكُلُّ مُخَدَّنَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعدُ فحديثي اليوم عن آدابِ الصيامِ ومُستحباتِهِ.

فمن آدابِ الصيامِ ومُستحباتِهِ السَّحُورُ^(١).

وهو كُلُّ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ يَتَعَدَّى بِهِ آخِرَ اللَّيْلِ فِي السَّحَرِ مِنْ أَرَادَ الصِّيَامَ^(٢).

(١) استُفِدْتُ هَذَا الْمَبْنَحْتَ مِنْ مَوْسُوعَةِ (الصِّيَامِ فِي الْإِسْلَامِ - د. سَعِيدُ بْنُ وَهَبِ الْقَحْطَانِيُّ) بِتَمْرِفٍ وَابْتِصَارٍ.

(٢) قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي جَامِعِ الْأَصُولِ ٢/ ٣٤٧: «... الْمَحُورُ... وَهُوَ بِالْفَتْحِ اسْمٌ مَا يُتَسَحَّرُ بِهِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَبِالضَّمِّ مَصْدَرٌ وَالْفِعْلُ نَفْسُهُ، وَأَكْثَرُ مَا يُرَى بِالْفَتْحِ، وَقِيلَ: إِنْ الصَّوَابُ بِالضَّمِّ؛ لِأَنَّهُ بِالْفَتْحِ الطَّعَامُ. وَبِالرُّكَّةِ وَالْأَجْرُ وَالثَّوَابُ فِي الْفِعْلِ لَا فِي الطَّعَامِ.»

أول عشاء النساء



وحكمه سنة مؤكدة، وليس بواجب، وقد نقل الحافظ ابن حجر الإجماع على نذب السحور واستحبابه^(١).

ووقته من بداية ثلث الليل الآخر إلى طلوع الفجر الثاني والأفضل تأخيرهُ إلى قبيل الفجر الثاني. ففي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يمنعن أحدكم - أو قال: أحدًا منكم - أذان بلال [أو قال: نداء بلال] من سحوره؛ فإنه يؤذن - أو ينادي - بليل؛ ليُرَجَعَ قائمكم، ولينبئه نائمكم، وليس أن يقول الفجر أو الصبح - وقال بأصابعه ورفعها إلى فوق، وطأطأ إلى أسفل - حتى يقول هكذا»، وقال زهير بسبأتيه إحداهما فوق الأخرى ثم مدهما عن يمينه وشماله»، والحكمة من السحور، منها مخالفة أهل الكتاب؛ فإنهم لا يتسحرون؛ لحديث عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر»^(٣).

قال النووي: (معناه: الفارق والمميز ما بين صيامنا وصيامهم السحور؛ فإنهم لا يتسحرون ونحن نستحب لنا السحور، وأكلة السحر: هي السحور)^(٤).

ومما جاء في فضل السحور حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تسحروا فإن في السحور بركة»، وهو في «الصحيحين»^(٥).

(١) فتح الباري، لابن حجر (٦ / ١٣٩).

(٢) مسلم، برقم (١٩٩٦).

(٣) مسلم، برقم (١٩٩٦).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٧ / ٢١٤ - ٢١٥).

(٥) رواه البخاري، ١٩٢٣، ومسلم، ٢٩٥.



وَيُسْتَحَبُّ فِي السَّحُورِ أَنْ يَكُونَ عَلَى ثَمَرٍ:

ففي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحْحَةُ الْأَلْبَانِيِّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «نِعْمَ سَحُورُ الْمُؤْمِنِ الثَّمَرُ» (١).

كَمَا يُسْتَحَبُّ تَأْخِيرُ السُّحُورِ فِي «الصَّحِيحِينَ» (٢) مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ تَسَحَّرَا فَلَمَّا قَرَّخَا مِنْ سَحُورِهِمَا قَامَ نَبِيُّ اللَّهِ إِلَى الصَّلَاةِ فَصَلَّى»، [قَالَ قَتَادَةُ]: قُلْتُ لِأَنَسٍ: كَمْ كَانَ بَيْنَ فَرَاغِهِمَا مِنْ سَحُورِهِمَا وَدُخُولِهِمَا فِي الصَّلَاةِ؟ قَالَ: قَدَّرَ مَا يَقْرَأُ الرَّجُلُ خَمْسِينَ آيَةً.

وَمِنْ آدَابِ الصِّيَامِ وَمُسْتَحْبَاتِهِ تَعْجِيلُ الْإِنْفَاطِرِ: فِي «الصَّحِيحِينَ» (٣) مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفُطْرَ».

وَمِنْ آدَابِ الصِّيَامِ وَمُسْتَحْبَاتِهِ أَثْنَاءَ الصِّيَامِ؛ فَإِنَّ دَعْوَةَ الصَّائِمِ لَا تَرُدُّ حَتَّى يُفْطِرَ، فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحْحَةُ الْأَلْبَانِيِّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ: دَعْوَةُ الصَّائِمِ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ».

قَالَ ابْنُ عَشِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ أَحْكَامَ الصَّوْمِ، وَمَنْ لَا يَسْتَطِيعُهُ لِسَفَرٍ أَوْ مَرَضٍ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتِ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾

(١) (صحيح) أبو داود، (٢٣٤٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٥٥).

(٢) رواه: البخاري (١٩٢١)، ومسلم (١٩٧).

(٣) رواه البخاري (١٩٥٧)، ومسلم (١٠٩).

(٤) (صحيح) أخرجه الترمذي (٢/ ٢٥٦) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٣٠).

أدب الصائم



فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٧٨﴾ [البقرة: ١٧٨] لَأَنَّ الصَّوْمَ زَمَنُ
إجابة الدعاء.

وقد جاء في الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ للصائِمِ دعوة لا تُردُّ»
وهذه فرصة؛ لأنه ذَكَرَ إجابة الدعاء بعد ذِكْرِ الصَّوْمِ؛ لَكِنَّ قال: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾
[البقرة: ١٧٨] بماذا؟ بما فرضت عليهم من الصوم والتقوى: ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ
يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٨] (١).

ومن آداب الصيام ومستجاباته تفضير الصائمين: ولو كانوا أغنياء، ففي «سنن
الترمذي» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢) من حديث زيد بن
خالد الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من فطَّر صائِمًا كان له مثل أجره، خَيْرَ
أنه لا يُنْقِصُ من أجر الصائم شيئاً».

قال ابن تيمية: «والمراد بتفطيره أن يُسبِّغَهُ» (٣).

ومن آداب الصيام ومستجاباته كثرة العبادة: من قراءة القرآن والذكر، والدعاء،
والصلاة، والصدقة، والعمرة، فيُسْتَحَبُّ للصائم أن يُكثِرَ من تلاوة القرآن الكريم،
ويذكر الله تعالى على كل أحيائه، ويحافظ على أذكار الصباح والمساء والأذكار في
مواطنها، ويكثِرَ من صلاة التطوع وخاصة صلاة الليل، ويدعو الله تعالى؛ فإن الصائم
لا تُردُّ دعوته حتى يُفطِرَ، ويكثِرَ من الصدقة وأبواب الخير؛ ففي «الصحيحين» (٤) من

(١) جلسات رمضانية للعثيمين ص (١١).

(٢) (صحيح) الترمذي (٨٧)، وابن ماجه (١٧٤٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/ ٤٩٤).

(٣) الاختيارات (١٩٤)، وقال البعض يُؤجَّر ولو بشق تمرّة.

(٤) رواه البخاري (٤٩٩٧)، ومسلم (٤٣٠٨).



حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجودَ الناسِ، وكان أجودَ ما يكونُ في رمضانَ، حين يلقاهُ جبريلُ، وكان يلقاهُ في كُلِّ ليلةٍ من رمضانَ يُدارسُهُ القرآنَ، فَلَرسولُ الله ﷺ أجودُ بالخيرِ من الريحِ المُرسَلَةِ»، وفي لفظٍ: «فإذا لقيَهُ جبريلُ كان رسولُ الله ﷺ أجودَ بالخيرِ من الريحِ المُرسَلَةِ» وفي «صحيح البخاري»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان يُعرضُ على النبي ﷺ القرآنُ كُلَّ عامٍ مرَّةً، فَعرضَ عليه مرَّتينِ في العامِ الذي قبضَ فيه، وكان يُعتكفُ في كُلِّ عامٍ عَشْرًا فاعتكفَ عِشرينَ في العامِ الذي قبضَ فيه».

وكان جودُهُ ﷺ يَجْمَعُ أنواعَ الجودِ كُلِّها: من بذلِ العلمِ، والنَّفْسِ، والمالِ لله ﷻ في إظهارِ دينِهِ، وهدايةِ عبادهِ، وإيصالِ النفعِ إليهم بكلِّ طريقٍ، من تعليمِ جاهلِهِم، وقضاءِ حوائجِهِم، وإطعامِ جائِعِهِم، وكان جودُهُ يتضاعفُ في رمضانَ؛ لِشَرَفِ وَقْتِهِ، ومضاعفةِ أجرِهِ، وإعانةِ العابدين فيه على عبادتِهِم، والجمَعُ بين الصيامِ وإطعامِ الطعامِ من أسبابِ دخولِ الجَنَّةِ^(٢).

وُستَحَبُّ صلاةُ التراويحِ مع الجماعةِ، لقولِ النبي ﷺ: كما في سننِ النسائيِّ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ النسائيِّ»^(٣) من حديثِ أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ قامَ مع الإمامِ حتى يُنصرفَ كَتَبَ اللهُ له قيامَ ليلةٍ»، وفي لفظٍ: «كُتِبَ له قيامُ ليلةٍ».

(١) البخاريُّ، (٢٠٤٤)، و(٤٩٩٨)، وهي: العَشْرُ الأواسطُ والأواخرُ.

(٢) مجموعُ فتاوى ابنِ عثيمين (٢٠ / ٢٦٢).

(٣) (صحيح) أحمد، (٥ / ١٥٩)، وأبو داودَ، (١٣٧٥)، والنسائيُّ، (١٦٠٥)، والترمذيُّ، (٨٠٩)، وابنُ

ماجَه، (١٣٣٧)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في صحيحِ النسائيِّ، (١ / ٣٥٣).

أوقات الصائم

٨٢

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

وُستَحَبُّ للصائم إذا شتمه أحدٌ أو سابه أن يقول: إني صائم؛ ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وإذا كان يومٌ صومٍ أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحدٌ أو قاتله، فليقل: إني امرؤ صائم».

وُستَحَبُّ للصائم كَفُّ الجوارح عن فُضُولِ: الكلام، والنظر، والنوم، والمخالطة فإن تركه والنوم، من أسباب شرح الصدر، ونعيم القلب، وزوال همِّه وغمِّه، وإعانة مَنْ تَرَكَ ذلك لله على الطاعات.

وُستَحَبُّ السَّوَأُكُ في جميع الأوقات للصائم وغير الصائم: سواء أكان ذلك قبل الزوال أو بعده قال البخاري في كتاب الصوم: «ويُذَكَّرُ عن عامر بن ربيعة قال: رأيتُ النبي ﷺ يَسْتَأْذِنُ ما لا أَحْصِي ولا أَعُدُّ»^(٣).

وأخرج النسائي بسند صحيح صححه الألباني في الإرواء^(٤)، من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «السَّوَأُكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِّ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ».

ويُذَكَّرُ للصائم بعض الأمور التي قد تؤذي إلى نقص كمال الأجر، ومنها المبالغة في المضمضة والاستنشاق؛ وذلك خشية أن يذهب الماء إلى جوف الصائم؛ لقول النبي ﷺ ليلقيط بن صبرة: «وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً» والحديث

(١) رواه البخاري، (٢٣٨)، ومسلم، (٧٥٩).

(٢) رواه البخاري، (١٩٥)، ومسلم، (١١٥١).

(٣) ذكره البخاري قبل الحديث (١٩٣٤).

(٤) (صحيح) أخرجه النسائي (٥)، وصححه الألباني في الإرواء (٦٦٤).



أخرجهُ أبو داودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ وَصَحَّحَهُ الألبانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي داودَ»^(١) وَيُكْرَهُ لِلصائِمِ القُبْلَةَ، وَخاصَّةً متى خَشِيَ على نَفْسِهِ الوقوعَ فيما يُبْطِلُ صِيامَهُ، ففي سُنَنِ أَبِي داودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الألبانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي داودَ»^(٢) من حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ المباشِرَةِ لِلصائِمِ فَرَخَّصَ لَهُ، وَأناهُ آخِرُ نِساءِهِ، فَنِساءُهُ، فإذا الَّذِي رَخَّصَ لَهُ سُنَّيْخٌ، وَالَّذِي نِهاهُ شَابٌّ.

وَيُكْرَهُ بَلْعُ النخامةِ؛ لِأَنَّها مُستَقْدَرَةٌ، وَفِيها ضَرَرٌ على الصائِمِ وَغَيرِ الصائِمِ، وَالصائِمُ أَوْلَى، قال ابنُ عِثِمِينَ: (بَلْعُ النخامةِ حَرَامٌ على الصائِمِ وَغَيرِ الصائِمِ، وَذلك لِأَنَّها مُستَقْدَرَةٌ، وَرَبِّما تَحْمِلُ أَمراضًا خَرَجَتْ مِنَ البَدَنِ)^(٣)، وَقال ابنُ بازٍ: (أما النخامةُ وَهي ما يَخْرُجُ مِنَ الصَّدْرِ أو مِنَ الأنفِ، وَيُقَالُ لَهَا النُّخَاعَةُ، وَهي البَلْعُ الغليظُ الَّذِي يَحْصُلُ لِلإنسانِ تارةً مِنَ الصَدْرِ، وَتارةً مِنَ الراسِ، فَهذه يَجِبُ على الرَجُلِ وَالمراةِ بَصْقُهُ وإِخراجُهُ وَعَدَمُ ابتِلاعِهِ، أما اللعابُ العادي الَّذِي هو الريقُ، فَهذا لا خَرَجَ فِيهِ، وَلا يَضُرُّ الصائِمَ: لا رَجُلًا، وَلا امراةً)^(٤). ذوقُ شَيْءٍ بِلا عُدْرٍ، لَمَّا فِيهِ من تَعْرِيفِ الصومِ لِلفسادِ فَإِنْ كانَ مَحْتَاجًا لِذلك، كانَ يَكُونُ طَبَّاحًا يَحْتَاجُ لِذوقِ مِلْحِهِ، أو حلاوَتِهِ، أو ما أَشَبَّهُ ذلكَ، ثُمَّ يَبْصُقُهُ فلا يَأْسُ لِلحاجةِ مَعَ الحَدْرِ مِنَ وَصولِ شَيْءٍ مِنَ ذلكَ إِلى حَلْقِهِ)^(٥).

(١) (صحيح) أخرجهُ أبو داودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ وَصَحَّحَهُ الألبانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي داودَ» (٢٩).

(٢) أبو داودَ (٢٣٨٧)، وَقال الألبانِيُّ فِي صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي داودَ (٢ / ٦٥): (حَسَنٌ صَحِيحٌ).

(٣) الشرحُ الممتعُ (٦ / ١٤٨).

(٤) مجموعُ فتاوى ابنِ بازٍ (١٥ / ٣١٣).

(٥) الشرحُ الكبيرُ مَعَ الممتعِ وَالإنصافِ (٧ / ١٧٩).

(ومن العُذْرِ مَضْعُ الطَّعَامِ لِلوَكِيدِ، إِذَا لَمْ تَجِدِ الْأُمَّ مِنْهُ بُدًّا، فَلَا بَأْسَ بِهِ، وَيُكْرَهُ إِذَا كَانَ لَهَا مِنْهُ بُدٌّ.

وليس من العُذْرِ، ذَوْقُ اللَّبَنِ وَالْعَسَلِ لِمَعْرِفَةِ الْجَيِّدِ مِنْهُ وَالرَّذِيءِ عِنْدَ الشَّرَاءِ، فَيُكْرَهُ ذَلِكَ. وَكَذَا ذَوْقُ الطَّعَامِ، لِيَنْظُرَ اعْتِدَالَهُ^(١).

وَيُبَاحُ لِلصَّائِمِ الْأُمُورُ الْآتِيَةُ:

أَنْ يُصْبِحَ جُنُبًا؛ ففِي «الصَّحِيحِينَ» (٣٥) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُدْرِكُهُ الْفَجْرُ وَهُوَ جُنُبٌ مِنْ أَهْلِهِ ثُمَّ يَغْتَسِلُ وَيَصُومُ»، وَكَذَلِكَ الْحَائِضُ وَالنَّفْسَاءُ إِذَا رَأَتِ الطُّهْرَ وَانْقَطَعَ الدَّمُ مِنَ اللَّيْلِ.

وَيُبَاحُ لِلصَّائِمِ الْمَضْمُضَةُ وَالِاسْتِشْقَاقُ فِي الْوَضُوءِ وَالغُسْلُ بِدُونِ مِبَالِغَةٍ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِلْقَيْطِ بْنِ صَبْرَةَ: «أَسْبِغِ الْوَضُوءَ، وَخَلِّلْ بَيْنَ الْأَصَابِعِ، وَبَالَغْ فِي الْاسْتِشْقَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا»^(٢). وَالحَدِيثُ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ».

وَيُبَاحُ اغْتِسَالُ الصَّائِمِ، وَصَبُّ الْمَاءِ الْبَارِدِ عَلَى الرَّأْسِ مِنَ الْعَطَشِ أَوْ الْحَرِّ، قَالَ الْبُخَارِيُّ: «بَابُ اغْتِسَالِ الصَّائِمِ: وَبَلُّ ابْنِ عُمَرَ ثَوْبًا فَأَلْقَاهُ عَلَيْهِ وَهُوَ صَائِمٌ، وَدَخَلَ الشَّعْبِيُّ الْحَمَامَ وَهُوَ صَائِمٌ، وَقَالَ الْحَسَنُ: لَا بَأْسَ بِالْمَضْمُضَةِ وَالتَّبَرُّدِ لِلصَّائِمِ»^(٣).

(١) الموسوعة الفقهية (٢٨ / ٦٨).

(٢) (صحيح) أحمد (٤ / ٣٢، ٢١١)، وأبو داود (٢٣٦٦)، والترمذي (٧٨٨)، والنسائي (٨٧)، وابن

ماجة (٤٠٧)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢ / ٩١).

(٣) البخاري (١٩٣٠).



وعن أبي بكرٍ عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْعَرَجِ يَصُبُّ عَلَى رَأْسِهِ الْمَاءَ وَهُوَ صَائِمٌ مِنَ الْعَطَشِ أَوْ مِنَ الْحَرِّ» (١). والحديثُ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ».

وَيُبَاحُ تَذْوِيقُ الطَّعَامِ لِلصَّائِمِ عِنْدَ الْحَاجَةِ لِذَلِكَ، وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: «لَا بَأْسَ أَنْ تَطْعَمَ الْقِدْرَ أَوْ الشَّيْءَ» (٢).

وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: «وَأَمَّا إِذَا ذَاقَ طَعَامًا وَلَفْظَهُ، أَوْ وَضَعَ فِي فِيهِ عَسَلًا وَمَجَّهَ فَلَا بَأْسَ بِهِ، لِلْحَاجَةِ كَالْمُضْمَضَةِ وَالِاسْتِشَاقِ» (٣).

وَيُبَاحُ الْقُبْلَةُ وَالْمُبَاشَرَةُ لِلصَّائِمِ إِذَا وَثِقَ بِتَقْيِيهِ وَأَمِنَ الرَّقُوعَ فِي مَا حَرَّمَ اللَّهُ؛ فَفِي «الصَّحِيحِينَ» (٤) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْبَلُ وَيُبَاشِرُ وَهُوَ صَائِمٌ، وَكَانَ أَمْلَكُكُمْ لِزَيْبِهِ» وَيُبَاحُ شَمُّ الرِّوَائِحِ الطَّيِّبَةِ لَا بَأْسَ بِهِ لِلصَّائِمِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَسْتَنْشِقُ دَخَانَ الْبَخُورِ؛ لِأَنَّ لَهُ أَجْزَاءَ (٥).

وَإِذَا أَكَلَ الصَّائِمُ أَوْ شَرِبَ نَاسِيًا، فَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ وَلَا كَفَّارَةَ؛ فَفِي «الصَّحِيحِينَ» (٦) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ نَسِيَ وَهُوَ صَائِمٌ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ فَلَيْمَ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ».

(١) (صحيح) أبو داود، (٢٣٦٥)، وصحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٢/ ٦١).

(٢) رواه البخاري (١٩٣٠)، قال الحافظُ فِي الْفَتْحِ (٤/ ١٥٤): «وَصَلَّهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ».

(٣) الاختياراتُ الْفَقْهِيَّةُ (١٦٠)، وانظر: مجموع فتاوى اللجنة الدائمة (٧/ ٣٣٢).

(٤) رواه البخاري (١٩٤٧، ١٩٤٨)، ومسلم (١١٠٦).

(٥) الاختياراتُ الْفَقْهِيَّةُ لِابْنِ تَيْمِيَّةَ (١٦٠).

(٦) رواه البخاري (١٩٣٣)، ومسلم (١١٥٥).

وأما ما يَعرَضُ للصائم بِغَيرِ اختيارِهِ، كَمَنْ اسْتَشْرَفَ فَدَخَلَ المَاءُ فِي حَلْقِهِ مِن غَيرِ قَصْدِهِ، أَوْ دَخَلَ حَلْقَهُ ذُبَابٌ، أَوْ حَصَلَ لَهُ جِرَاحٌ أَوْ جُرْحٌ، أَوْ رُعَافٌ، أَوْ قَيْءٌ، أَوْ دَخَلَ مَاءٌ أَوْ بَيَّزِينٌ، أَوْ عُبَارٌ بِغَيرِ اختيارِهِ فلا حَرَجَ فِي ذَلِكَ (١) انظر صحيح البخاري، قال عطاء: (إن استشر فدخل الماء في حلقه لا بأس إن لم يملك). وقال الحسن: (إن دخل حلقه الذباب فلا شيء عليه)، قبل الحديث رقم ١٩٣٣.

تحليل الدَّمِ، لكنَّ تَأخِيرَ ضَرْبِ الإِبْرِ والتَّحْلِيلِ إِلَى اللَّيْلِ أَوْلَى وَأَحْوَطٌ إِذَا تَسَّرَ ذَلِكَ؛ فَقِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الألبانيُّ فِي صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ (٢) عَنِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: «دَعْ مَا يُرِيكَ إِلَى مَا لَا يُرِيكَ» وَأَمَّا البَخُّ فِي النِّمِّ أَوْ الأَنْفِ لِأَصْحَابِ مَرَضِ الرِّبْوِ، فلا بأسَ بالبَخِّ المَعْرُوفِ الَّذِي يَحْتَوِي عَلَى الأَكْسِجِينِ أَوْ غَيرِهِ مِن أنواعِ الهَوَاءِ.

وَلَا بِأَسَ بِتَنْظِيفِ الأَسْنَانِ بِالمَعْجُونِ؛ فَإِنَّهُ لَا يُفْطِرُ الصَّائِمَ كَالسَّوَالِكِ، وَلَكِنْ عَلَى الصَّائِمِ التَّحَرُّرٌ مِن ذَهَابِ شَيْءٍ مِنْهُ إِلَى جَوْفِهِ، فَإِنْ غَلَبَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ بِدُونِ قَصْدٍ فلا قَضَاءَ عَلَيْهِ قَالَ ذَلِكَ ابنُ بَارِزٍ رضي الله عنه (٣).

«اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا، وَعَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَزِدْنَا عِلْمًا».

«اللَّهُمَّ احْفَظْنَا بِالإِسْلَامِ قَائِمِينَ، وَاحْفَظْنَا بِالإِسْلَامِ قَاعِدِينَ، وَاحْفَظْنَا بِالإِسْلَامِ

(١) انظر صحيح البخاري، قال عطاء: (إن استشر فدخل الماء في حلقه لا بأس إن لم يملك). وقال

الحسن: (إن دخل حلقه الذباب فلا شيء عليه)، قبل الحديث رقم ١٩٣٣.

(٢) (صحيح) أخرجه الترمذي (٢٥١٨)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢/ ٦١١).

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن باز (١٥/ ٢٦٠).



رَاقِدِينَ، وَلَا تُشْمِتْ بِنَا عَدُوًّا وَلَا حَاسِدًا، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ،
وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ.

«اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَمَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا
بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا. وَمَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا
مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَيَّ مَنْ ظَلَمَنَا، وَانصُرْنَا عَلَيَّ مَنْ عَادَانَا،
وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّمْنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ
عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا».

وسبحانك الله وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



فضل قراءة القرآن في رمضان

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران: ١٤٢]، ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الاحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإنَّ أصدقَ الحديثِ كلامُ اللهِ، وخَيْرُ الهدي هديُّ مُحَمَّدٍ - صلى اللهُ عليه وعلى آله وسلم - وَشَرُّ الأمورِ مُخَدَّنَاتُهَا وَكُلُّ مُخَدَّنَةٍ بدعةٌ، وَكُلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وَكُلُّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أما بعد:

فحديثي اليومَ عن قراءةِ القرآنِ في رمضانَ وَمِنْ اللهُ تَسْتِمِدُّ التوفيقَ.

والحديثُ عن تلاوةِ القرآنِ الكريمِ في رمضانَ وغيرِ رمضانَ ذو شجونٍ وماذا نقولُ وقد استفاضَ القرآنُ الكريمُ والسُّنةُ المطهرةُ في الحديثِ عن فضلِ تلاوةِ القرآنِ الكريمِ بما لا مزيدَ ولا جديدَ.

قال اللهُ ﷻ: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ، فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [سورة البقرة: ١٢١].

ضويب ب. Calicut



وقال الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ، وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [٢٤] ﴿ [الأعراف: ٢٤].

وقال الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٢٥] ﴿ [الأنفال: ٢].

وقال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ﴾ [٢٦] ﴿ [فاطر: ٢٩].

وقال الله ﷻ: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَابِيًا يَتَّبِعُهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلْ اللَّهُ فَآلَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [٢٧] ﴿ [الزمر: ٢٣].

وقال الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ نَسَرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدْكِرٍ ﴾ [٢٨] ﴿ [القمر: ١٧].

واستفاضت السنة في ذكر فضل تلاوة القرآن الكريم بما يشفي صدور قوم مؤمنين، فأخبر ﷺ أن الماهر بالقرآن مع الملائكة الكرام في الحفظ والمنزلة.

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتبع فيه وهو عليه شاق له أجران».

قال النووي رحمته الله: الماهر: أي الحاذق، والمراد هنا جودة التلاوة مع حسن الحفظ. والمراد بالسفرة: الكتبة.

والبررة: أي المطيعين المطهرين من الذنوب.

(١) البخاري (٤٩٣٧)، مسلم (٧٦٨).

أول عرض للنساء



يَتَمَتَّعُ فِيهِ: أَي الَّذِي يَتَرَدَّدُ فِي تِلَاوَتِهِ لِضَعْفِ حِفْظِهِ فَلَهُ أَجْرَانِ: أَجْرٌ بِالْقِرَاءَةِ وَأَجْرٌ
يَتَمَتَّعُهُ فِي تِلَاوَتِهِ وَمَشَقَّتِهِ.

وَلَيْسَ مَعْنَاهُ: الَّذِي يَتَمَتَّعُ عَلَيْهِ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ أَكْثَرُ مِنَ الْمَاهِرِ بِهِ، بَلِ الْمَاهِرُ أَفْضَلُ
وَأَكْثَرُ أَجْرًا (١).

وَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ تَعَلُّمَ آيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ خَيْرٌ مِنْ نَفَائِسِ الدُّنْيَا.

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (٢) مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: «إِيكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلُّ يَوْمٍ إِلَى بَطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِي
مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِيْمٍ وَلَا قَطِيعَةٍ رَحِمٍ؟» فَقُلْنَا: كُلُّنَا نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفَلَا
يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَتَعَلَّمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ،
وِثَلَاثِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ، وَأَرْبَعِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعِ وَمِنْ أَهْلَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ».

وَالكُومَاءُ: النَّاقَةُ الْعَظِيمَةُ السَّنَامِ.

وَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ الْقَارِيَّ لِكِتَابِ اللَّهِ يَكْتَسِبُ جِبَالًا مِنَ الْحَسَنَاتِ.

فَفِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٣) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
«مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ: أَلَمْ حَرْفٌ
وَلَكِنْ: أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَا مٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ».

(١) شرح النووي على مسلم (٦ / ٨٥).

(٢) مسلم (٨٠٣).

(٣) (صحيح) أخرجه الترمذي (٢٩٧). وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤٦٩).



قال ابن عثيمين رحمه الله: هذه نعمة من الله ﷻ في هذا الشهر المبارك، تقرأ القرآن كل حرف من حروف القرآن فيه عشر حسنات. قال ابن عصفور ويروي مرفوعاً عن النبي ﷺ: «لا أقول: (الم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» يعني: ثلاثة حروف تُعتبر ثلاثين حسنة، وهذا أمر لا يدرك عدده إلا الله ﷻ، كل هذا لأنك تقرأ كلام رب العالمين ﷻ، خالق السماوات والأرض الذي هو أحب حبيب إليك، ما ظنك لو جاءتك رسالة من صديق لك، كل ساعة تطلعها من جيبك وتقرأها، كأنما تواجه صديقك أو حبيبك، أليس كذلك؟ أنت إذا قرأت كلام الله لا شك أن المؤمن أحب شيء عنده هو الله ﷻ، يقرأ كلام الله ﷻ، من جهة التعظيم ولذلك فإن النبي ﷺ كان يُكثر من قراءة القرآن في رمضان. وكان جبريل يُدارسه القرآن وكان يقرأ في كل سنة مرة، إلا السنة التي توفي فيها رسول الله ﷺ، فإنه قرأه عليه مرتين، لماذا؟ من أجل الاستجابات، وأن القرآن والله الحمد محفوظ إلى آخر حياة الرسول عليه الصلاة والسلام، لم يتغير، لا ينقص، ولا يزداد، ولهذا قال العلماء: من أنكر حرفاً منه وهو عالم به فهو كافر^(١).

وشبه رسول الله ﷺ المؤمن الذي يقرأ القرآن بالأترجة يستلذ الناس بطعمها ويستريحون بريحتها.

ففي «الصحيحين»^(٢) عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ

(١) جلسات وفتاوى ابن عثيمين ١/ ١٢.

(٢) البخاري (٥٠٦٨)، ومسلم (٧٩٧).

بعض النشأ

٩٢

القرآن مثل تربخانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنايق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر.

وفي رواية: (مثل الفاجر، بذل المنايق). وقال البخاري في بعض طرق هذا حديث: المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمر طعمها طيب ولا ريح لها.

وأخبر النبي ﷺ أن القرآن يُشع في أصحابه، وأصحاب القرآن هم الذين كانوا يتلونه ويتروونه في الدنيا ويعملون به ففي صحيح مسلم،^(١) عن أبي أمامة بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه.

وهذه الشفاعة لا تختص بمن حفظه بل هي عامة تشمل تلاوته والعمل به.

وأخبر النبي ﷺ أن القرآن حجة لصاحبه يوم القيامة.

ففي صحيح مسلم،^(٢) من حديث الثوري بن سنان بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا، تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما.

وأخبر النبي ﷺ بأن من تعلم القرآن وعلمه للناس فهو خير الناس وأفضلهم منزلة.

ففي صحيح البخاري،^(٣) من حديث عثمان بن عفان بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: خيركم من تعلم القرآن وعلمه.

(١) رواه مسلم (٨٩).

(٢) رواه مسلم (٨٥).

(٣) رواه البخاري (٥٢٧).



وأخبر ﷺ أن الغيبة الحقيقية لا تكون إلا لرجلين قارئ القرآن وصاحب الصدقة.

وأخبر ﷺ بأربع فضائل لمن وفقه الله للقعود مع قوم يذكرون الله تعالى؛ ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «لا يقعد قوم يذكرون الله ﷻ إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده».

وبين النبي ﷺ أن قراءة القرآن بالليل من النعم التي يغبط عليها المؤمن.

ففي «الصحيحين»^(٢) عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلا على اثنتين: رجل آتاه الله هذا الكتاب، فقام به آتاء الليل وآتاء النهار، ورجل آتاه الله مالا فصداق به آتاء الليل وآتاء النهار».

وفي لفظ آخر: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل أعطاه الله القرآن، فهو يقوم به آتاء الليل وآتاء النهار، ورجل آتاه الله مالا، فهو يتفقه آتاء الليل وآتاء النهار».

ومعنى قوله ﷺ: «لا حسد» أي لا غيبة، وهي تمنى مثل النعمة التي عند الغير من غير زوالها عن صاحبها، بخلاف الحسد الذي هو تمنى مثل النعمة التي عند الغير مع تمنى زوالها والغيبة محمودة والحسد مذموم.

وأخبر أن الصيام والقرآن يشفعان لصاحبهما ففي مسند أحمد بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(٣) عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «الصيام

(١) مسلم (٢٧٠).

(٢) رواه البخاري (٥٢٢٥)، ومسلم (٨١٥).

(٣) صحيح (أخرجه أحمد (٦٦٢٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٨٢).

يوم عرفة النساء

٩٤

والقرآن يُشْفَعَانِ لِلْعَبِيدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ الصَّيَامُ: أَي رَبِّ مَنَعْتَهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفَعْنِي فِيهِ. وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتَهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفَعْنِي فِيهِ. قَالَ: يُشْفَعَانِ».

وأخبر عليه السلام أَنَّ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ فِي اللَّيْلِ مُنْجَاةٌ مِنَ الْعَقَلَةِ فِي مَسْتَدْرِكِ الْحَاكِمِ بِسَنَدِ حَسَنِ حَسَنَةَ الْأَبَانِيِّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ»^(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ».

وَأَخْبَرَ عليه السلام بِأَنَّ مَنْ جَعَلَ الْقُرْآنَ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ جَعَلَ الْقُرْآنَ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ.

ففي «الكبير» للطبراني بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»^(٢) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشْفَعٌ وَمَا جَلَّ مُصَدِّقٌ مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ».

فتلك المترلة وتلك الأجور إنما هي لقارئ القرآن العايل به وهي قليل من كثير وقطرة من مطرة ولا فضائل تلاوة القرآن والعمل به كثيرة فعلينا أن نغتيم الفرص وخاصة في هذا الشهر المبارك اقتداءً بالنبي ﷺ.

ففي «الصحيحين»^(٣) عن ابن عباس قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيْلُ وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ».

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ (٢٩٤٢) وَقَالَ الْأَبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (٦٤٠) صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ.

(٢) (صَحِيحٌ) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ (٨٦٥٥) وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (٤٣١٩).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦)، وَمُسْلِمٌ (٢٣٠٨).



قال الإمام ابن رجب: دَلَّ الحديثُ على استحبابِ دراسةِ القرآنِ في رمضانَ والاجتماعِ على ذلك، وعَرْضِ القرآنِ على من هو أَحَقُّظُ له... وفيه دليلٌ على استحبابِ الإكثارِ من تلاوةِ القرآنِ في شَهْرِ رَمَضانَ، وفي «الصحيحين»^(١) من حديثِ فاطمةَ رضي الله عنها عن أبيها رضي الله عنه أَنَّهُ أَخْبَرَهَا أَنَّ جَبْرِيْلَ عليه السلام كَانَ يُعَارِضُهُ الْقُرْآنَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً وَأَنَّهُ عَارِضُهُ فِي عَامٍ وَقَاتِيَهُ مَرَّتَيْنِ^(٢).

وأفضلُ أوقاتِ مُدَارَسَةِ الْقُرْآنِ فِي اللَّيْلِ؛ لِأَنَّ مُدَارَسَةَ جَبْرِيْلَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم كَانَتْ لَيْلًا.

قال ابن رجب رحمته الله: وفي حديثِ ابنِ عباسٍ أَنَّ المُدَارَسَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَبْرِيْلَ كَانَتْ لَيْلًا يَدُلُّ عَلَى اسْتِحْبَابِ الْإِكْتِثَارِ مِنَ التَّلَاوَةِ فِي رَمَضانَ لَيْلًا فَإِنَّ اللَّيْلَ تَنْقَطِعُ فِيهِ الشَّوَاغِلُ وَيَجْتَمِعُ فِيهِ الْهَمُّ، وَيَتَوَاطَأُ فِيهِ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ عَلَى التَّدْبِيرِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ نَافِثَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦]^(٣).

اللهم أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ.

رَبِّ أَعِنَّا وَلَا تُعِنْ عَلَيْنَا، وَأَنْصُرْنَا وَلَا تَنْصُرْ عَلَيْنَا. وَأَمْكُرْ لَنَا وَلَا تَمْكُرْ عَلَيْنَا، وَاهْدِنَا وَسِّرِ الْهُدَى إِلَيْنَا، وَأَنْصُرْنَا عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيْنَا. رَبِّ اجْعَلْنَا لَكَ شُكَّارِينَ، لَكَ ذُكَّارِينَ، لَكَ رَهَابِينَ، لَكَ مَطْوَاعِينَ، إِلَيْكَ مُخْبِتِينَ أَوْاهِينَ مُنِيبِينَ، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتَنَا، وَاغْسِلْ حَوْبَتَنَا، وَأَجِبْ دَعْوَتَنَا، وَثَبِّتْ حُجَّتَنَا، وَاهْدِ قُلُوبَنَا، وَسَدِّدْ لِسَانَنَا، وَامْلَأْ سَخِيمَةَ قُلُوبِنَا.

وسبحانك الله وبحمديك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نسْتَغْفِرُكَ ونتوبُ إليك.

(١) رواه البخاري (٣٦٢٤)، ومسلم (٢١٥٠).

(٢) لطائف المعارف (٣٥٤ - ٣٥٥).

(٣) المرجع السابق (٣٥٥).

آداب قراءة القرآن

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]،
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَقَدْ قَانَ فَزَازًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وشَرُّ الأمور مُخَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُخَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي اليوم عن آداب قراءة القرآن الكريم وهي آداب يجب أن يتحلى بها قارئ القرآن؛ ترفيرا وتبجيلا لمكانة هذا القرآن الكريم فمن تلك الآداب:
الإخلاص لله تعالى:

قال النووي رحمه الله: «أول ما ينبغي للمقري والقاري أن يقصدا بذلك رضا الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البقرة: ١٧٥]. أي: المِلَّةُ المستقيمة، وفي «الصحيحين»^(١) من حديث عمر رضي الله عنه

(١) رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).



عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» (١).

ومن آداب تلاوة القرآن الكريم تعظيمُ كلامِ الله ﷻ:

ينبغي أن يَمْتَكِلَ التالي والسامعُ كلماتِ التنزيلِ وآياته التي يَنْطِقُ بها جبريلُ ﷺ حينَ يُبَلِّغُ رسالةَ رَبِّهِ إلى أَفْضَلِ أَنْبِيَائِهِ ثم حينَ يَقْرؤها بعده رسولُ الله ﷺ بلسانِهِ، ثم يُبَلِّغُهَا الصَّحَابَةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَإِنِ اسْتَحْضَرَ ذَلِكَ خَشَعَ قَلْبُهُ وَخَشَعَتِ جَوَارِحُهُ، وَاسْتَوَلَتْ عَلَى حَوَاسِهِ مَخَافَةُ اللَّهِ وَخَشْيَتُهُ وَجَلَالُهُ وَعَظَمَتُهُ.

وإذا استحضَرَ عظمةَ القرآنِ، وَأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ ﷻ، اسْتَشْعَرَ نِعْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَفَضْلَهُ وَلُطْفَهُ بِخَلْقِهِ أَنْ يَسَّرَ لَهُمْ قِرَاءَتَهُ وَفَهْمَهُ.

قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَمَنْ قَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ فَلْيَقْدِرْ نَفْسَهُ كَأَنَّمَا يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ يُخَاطِبُهُ بِهِ» (٢).

ومن آدابِ تلاوةِ القرآنِ حُضُورُ الْقَلْبِ:

بأن يَطْرُدَ حَدِيثَ النَّفْسِ أَثْنَاءَ تِلَاوَتِهِ لِلْقُرْآنِ، وَيَتَوَلَّدُ مِنْ هَذَا التَّعْظِيمِ، فَإِنَّ الْمُعْظَمَ لِكَلَامِ اللَّهِ يَسْتَبِشِرُ بِهِ، وَيَأْتِسُّ لَهُ، وَلَا يَغْفُلُ عَنْهُ، وَعَلَى الْقَارِئِ أَنْ يَسْتَحْضِرَ فِي ذَهْنِهِ أَنَّهُ بَيْنَ يَدَيْ مَوْلَاهُ، وَيُنَاجِيهِ بِتِلَاوَةِ كَلَامِهِ، وَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِقِرَاءَةِ كِتَابِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَقْرَبُ إِلَى الْخُشُوعِ وَالتَّوْبِيرِ.

قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ (٣): «قَاعِدَةٌ جَلِيلَةٌ: إِذَا أَرَدْتَ الْإِنْتِفَاعَ بِالْقُرْآنِ، فَاجْمَعْ قَلْبَكَ

(١) التبيان في آداب حملة القرآن (ص ١٧).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٤٩٩).

(٣) الفوائد (٢).

عند تلاوته وسماعه، وألقى سمعك، واحضُر حضورَ مَنْ يُخاطِبُهُ بِهِ من تكلم به سبحانه مِنْهُ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ يَخْطُبُ مِنْهُ لِكَ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (٣٧) [ق: ٢٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ الْمُرَادُ بِهِ: الْقَلْبُ الْحَيُّ الَّذِي يَعْقِلُ عَنِ اللَّهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ (٦) يُنذِرُ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٦٩، ٧٠]؛ أَي: حَيُّ الْقَلْبِ، وَقَوْلُهُ: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾؛ أَي: وَجَّهَ سَمْعَهُ، وَأَصْفَى حَاسَةً سَمْعِيهِ إِلَى مَا يُقَالُ لَهُ، وَهَذَا شَرْطُ التَّأثيرِ بِالْكَلامِ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾؛ أَي: شَاهِدُ الْقَلْبِ، حَاضِرٌ غَيْرُ غَائِبٍ؛ قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: اسْتَمَعَ كِتَابَ اللَّهِ وَهُوَ شَاهِدُ الْقَلْبِ وَالْفَهْمِ لَيْسَ بِغَافِلٍ وَلَا سَاهٍ، وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى الْمَنَاعِ مِنْ حَصُولِ التَّأثيرِ، وَهُوَ سَهْوُ الْقَلْبِ وَعَيْتُهُ عَنِ تَعَقُّلِ مَا يُقَالُ لَهُ، وَالتَّنْظِيرُ فِيهِ وَتَأْمُلِهِ.

ومن آدابِ تلاوةِ القرآنِ الطهارةُ:

قال النوويُّ: «يُسْتَحَبُّ أَنْ يُقْرَأَ وَهُوَ عَلَى طَهَارَةٍ، فَإِنْ قَرَأَ مُخْدِنًا جَازَ بِاجْتِمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وَالْأَحَادِيثُ فِيهِ كَثِيرَةٌ مَعْرُوفَةٌ»^(١).

ومن آدابِ تلاوةِ القرآنِ الاِسْتِيَاكُ:

قال النوويُّ: «وَيَنْبَغِي إِذَا أَرَادَ الْقِرَاءَةَ أَنْ يُنْظَفَ فَاهُ بِالسَّوَالِكِ وَغَيْرِهِ»^(٢).

ومن آدابِ تلاوةِ القرآنِ حُسْنُ الْهَيْئَةِ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ:

ومن آدابِ تلاوةِ القرآنِ نِظَافَةُ الْمَكَانِ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ:

قال النوويُّ: «وَيُسْتَحَبُّ أَنْ تَكُونَ الْقِرَاءَةُ فِي مَكَانٍ نَظِيفٍ مُخْتَارٍ، وَلِهَذَا اسْتَحَبَّ

(١) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ (ص ٢٨).

(٢) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ (ص ٣٧).



جماعة من العلماء القراءة في المسجد لكونه جامعاً للنظافة وشرف البقعة^(١).

ومن آداب تلاوة القرآن الاستعاذة عند بداية القراءة:

أَنْ يَسْتَعِذَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ عند إرادة القراءة؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، أما البسملة، فإذا ابتدأ قراءته من أول السورة وَجَبَ الإتيانُ بالبسملة، إلا في سورة التوبة فإنه ليس في أولها بسملة، وأما إذا ابتدأ من وَسَطِ السورة، فإنه يُخَيَّرُ بين الإتيانِ بالبسملة وتركها.

ومن آداب تلاوة القرآن الترتيل:

قال تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

قال ابن جرير: «يقول جل ثناؤه ويُنِ الْقُرْآنَ إِذَا قَرَأْتَهُ تَبِيئًا وَتَرْمَلُ فِيهِ تَرْسُلًا»^(٢).

وقال ابن كثير: «أي: اقرأه على تمهل، فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره»^(٣).

وعن قتادة قال: سُئِلَ أَنَسٌ، كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ ﷺ؟ قال: كانت مَدًّا، ثم قرأ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ، يَمُدُّ بِسْمِ اللّٰهِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحْمٰنِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحِیْمِ^(٤).

والله سبحانه من سعة رحمته وكرمه جلّ وعلا يُضَاعِفُ الأَجْرَ للعبادِ فَضلاً منه

ونعمة وأن الأجر يقع على الحرف وأن الحسنات تتضاعف.

(١) التبيان (ص ٤٠).

(٢) تفسير ابن جرير (١٢ / ٤٨٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٤٦٣).

(٤) رواه البخاري (٥٤٦).

أداب تلاوة القرآن



قال ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى: والصواب أن يقال: إن ثواب قراءة الترتيل والتدبير أجل وأرفع قَدْرًا، وثواب كثرة القراءة أكثر عددًا فالأول: كَمَنْ تَصَدَّقَ بجوهرة عظيمة أو أعتق عبدًا قيمته نقيسة جدًا، والثاني: كَمَنْ تَصَدَّقَ بعدد كثير من الدراهم أو أعتق عددًا من العبيد فيمتهم رخيصةً وفي صحيح البخاري عن قتادة قال: سألت أنسًا عن قراءة النبي ﷺ فقال: كان يمدُّ مَدًّا. اهـ. زاد المعاد (١/ ٢٥٢).

ومن آداب تلاوة القرآن تحسين الصوت بالقرآن:

وهو أمرٌ مُسْتَحَبٌّ؛ لكونه أَوْقَعَ في القلوبِ وأشدَّ تأثيرًا وأرقَّ للسامعين.

عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «يا أبا موسى لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود»^(١).

وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ما أذن الله لشيءٍ ما أذن لئبي حسن الصوت يتغنّى بالقرآن يجهرُ به»^(٢).

قال أبو بكر الأجري: «ينبغي لمن رزقه الله حُسن الصوت بالقرآن أن يعلم أن الله قد خصه بخير عظيم، فلْيَعْرِفْ قَدْرَ ما خصه الله به، وليقرأ الله لا للمخلوقين، وليأخذ من الميل إلى أن يُسْتَمَعَ منه ليحظى به عند السامعين رغبةً في الدنيا، فمن مالت نفسه إلى ما نهته عنه خفته أن يكون حُسنُ صورته فتنه عليه، وكان مراده أن يُسْتَمَعَ منه القرآن لينتبه أهل العفلة عن غفلتهم، فيرغبوا فيما رغبهم الله ﷻ، ويستهووا عما نهاهم، فمن كانت هذه صفة انتفع بحُسنِ صورته وانتفع به الناس»^(٣).

(١) رواه البخاري (٥١٨)، ومسلم (٧٩٣).

(٢) رواه البخاري (٥٢٣)، ومسلم (٧٩٢).

(٣) أخلاق حَمَلَةِ القرآن (ص ٣٠).



وتحسينُ الصوت عند تلاوة القرآن يكون بحسبِ طبيعِهِ وما جُبلَ عليه؛ لا باتباعِ الأنغامِ الموسيقيَّة التي تُعرَفُ (بالمقاماتِ).

قراءةُ القرآنِ الكريمِ بالألحانِ والأنغامِ الموسيقيَّة والمقاماتِ المُستَمَدَّة من عِلْمِ الموسيقى أمرٌ محرَّمٌ وبدعةٌ، لم يفعلها النبي ﷺ، ولا أصحابُه رضِيَ اللهُ عنهم، ولا نَزَلَ بها جبريلُ ﷺ.

قال القرطبيُّ رحمه الله: «قال علماءنا: إن قراءة القرآن بَلَغْتنا متواترة عن كافة المشايخ جيلًا فجيلًا إلى العصرِ الكريمِ إلى رسولِ الله ﷺ، وليس فيها تلحينٌ ولا تطريبٌ، ثم إنَّ في الترجيعِ والتطريبِ هَمَزٌ ما ليس بهموزٍ، ومدٌّ ما ليس بممدودٍ، فترجعُ الألفُ الواحدةُ ألفاتٍ والواوُ الواحدةُ واوَاتٍ؛ فيؤدِّي ذلك إلى زيادةٍ في القرآن، وذلك ممنوعٌ هـ (١).

ومن آدابِ تلاوة القرآن الجهر بالفراءة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال في تفسير الآية: نزلت ورسولُ الله ﷺ متوارٍ بمكة فكان إذا صلَّى بأصحابِهِ رَفَعَ صوتهُ بالقرآن، فإذا سَمِعَ ذلك المشركون سَبُّوا القرآنَ ومَن أنزلهُ ومَن جاء به، فقال اللهُ تعالى لِنبيِّه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ فَيَسْمَعُ المشركونَ قراءتَكَ ﴿وَلَا تُخَافُتْ بِهَا﴾ عن أصحابِكَ، أَسْمِعُهُمُ القرآنَ، وَلَا تَجْهَرُ ذَلِكَ الجهرُ ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [١١٠] يقولُ بينَ الجهرِ والمُخافتَةِ (٢).

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٤)، ومسلم (٤٤٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، الجزء الأول، ص (٢٣٠).

تلاوة القرآن

١٠٢

وفي سنن أبي داود بسند صحيح صححه الألباني في «الصحیحة»^(١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد، فسَمِعَهُمْ يَجْهَرُونَ بالقراءة، فكشفت الستر وقال: «ألا إن كلُّكم مُتَاجِرٌ رَبِّهِ، فلا يُؤذِنَنَّ بعضُكم بعضًا، ولا يرفع بعضُكم على بعضٍ في القراءة» أو قال: «في الصلاة».

قال بعض أهل العلم: «وَرَجْهُ الْجَمْعِ أَنَّ الإسْرَارَ أَبْعَدُ عَنِ الرِّيَاءِ وَالتَّصَنُّعِ، فهو أفضلُ في حَقِّ مَنْ يَخَافُ ذَلِكَ على نَفْسِهِ، فإن لم يَخَفْ ولم يَكُنْ في الجَهْرِ ما يُشَوِّشُ الوقتَ على مُصَلٍّ آخَرَ فالجَهْرُ أَفْضَلُ؛ لأنَّ العملَ فيه أَكْثَرُ، ولأنَّ فائِدَتَهُ أيضًا تَتَعَلَّقُ بغيرِهِ، فالخَيْرُ الْمُتَعَدِّي أَفْضَلُ من اللازِمِ، ولأنَّهُ يوقِظُ قَلْبَ القَارِي، ويجمعُ هَمَّهُ إلى الفِكْرِ، ويصرفُ إليه سَمْعَهُ، ولأنَّهُ يطرُدُ النَّوْمَ في رَفْعِ الصَّوْتِ، ولأنَّهُ يزيدُ في نشاطِهِ للقراءة وَيَقْلِلُ من كَسَلِهِ»^(٢).

ومن آدابِ تلاوةِ القرآنِ تَدَبُّرُ الآيَاتِ بأن يتدبَّرَ ما يقرأ وَيَتَمَهَّمُ معانيه؛ إذ لا خَيْرَ في قراءةٍ لا تَدَبَّرُ فيها، فيحاولُ استيعابَ المعاني وفهْمَها لأنها أوامرُ رَبِّ العالمين التي يَجِبُ أَنْ يَنْشِطَ العبدُ لتنفيذِها بعد فهمِها وتدبُّرِها.

قال تعالى: ﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَتَدَبَّرُوا آيَاتِهِ، وَلِيَذْكُرُوا الْأَلْبَابَ ﴾ ﴿٢١﴾ [ص: ٩].

قال ابنُ جريرٍ: «يقولُ تعالى ذِكرُهُ لِنَبِيِّ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم؛ وهذا القرآنُ كتابٌ أنزلناه إليك يا محمدُ مُبَارَكٌ لِيَتَدَبَّرُوا آيَاتِهِ، يقولُ: لِيَتَدَبَّرُوا حُجَجَ اللَّهِ التي فيه وما شَرَعَ فيه من شرائعِهِ، فَيَتَعَبَّرُوا وَيَعْمَلُوا به»^(٣).

(١) رواه أبو داود (١٣٣٢)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٨٣)، وفي الصحیحة (٤٩٧)، (١٦٠٣).

(٢) إحياء علوم الدين (١/ ٣٧٠).

(٣) جامع البيان (٢١/ ١٩٠).



وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: ٢٤).

قال القرطبي: «دلّت هذه الآية على وجوب التدبّر في القرآن ليُعرَفَ معناه» (١).

ومن آداب تلاوة القرآن مراعاة حَقِّ الآيات:

عن حذيفة رضي الله عنه قال: صَلَّيْتُ مع النبي صلى الله عليه وآله ذات ليلة فَانْتَحَ البقرة، فقلتُ: يركعُ عند المائة، ثم مَضَى، فقلتُ: يُصَلِّي بها في رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فقلتُ: يركعُ بها، ثم افتتح النساءَ فقرأها، ثم افتتح آلَ عمرانَ فقرأها، يقرأ مُسْتَرَسِلًا: إذا مرَّ بآية فيها تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وإذا مرَّ بسؤالٍ سَأَلَ، وإذا مرَّ بتعوذٍ تَعَوَّذَ...» (٢).

قال الأجرى: «وأحب إذا درَسَ فَمَرَّتْ به آيةٌ رحمةٌ سأل مولاةَ الكريمِ، وإذا مَرَّتْ به آيةٌ عذابٍ استعاذَ بالله عز وجل من النارِ، وإذا مرَّ بآيةٍ تَنزِيهِه اللهُ عز وجل عما قال أهلُ الكُفْرِ سَبَّحَ اللهُ وَعَظَّمَهُ» (٣).

٦ البكاء عند قراءة القرآن؛ قال تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (الإسراء: ٦٩).

ففي سُنَنِ أَبِي داوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الترمذ» والترهيب» (٤) عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: «أُتِيتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وهو يُصَلِّي، وفي صدره أزيزٌ كأزيزِ المِرْجَلِ من البكاء».

والمِرْجَلُ - بكسر الميم -: القِدْرُ، وأزيرُ المِرْجَلِ: صوتُ غليانه.

(١) تفسير القرطبي (٥/ ٤٩٠).

(٢) رواه مسلم: صلاة المسافرين (٢٧٢).

(٣) أخلاق حَمَلَةَ القرآن (ص ٢٠١).

(٤) رواه أبو داود (٩٠٤)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الترمذ» (٥٤٤).

تلاوة القرآن

١٠٤

وفي «الصحيحين»^(١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: «قال لي النبي ﷺ: «اقرأ عَلَيَّ»، قلت: يا رسول الله، اقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال: «نعم»، فقرأت سورة النساء، حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، قال: «حَسْبُكَ الآن»، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان».

ومن آداب تلاوة القرآن المحافظة على سجود التلاوة:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

قال ابن كثير: «أي إذا سمعوا كلام الله المتضمن حُجَجَهُ ودلائله وبراهينه سجدوا لرَبِّهم خضوعًا واستكانةً، حمدًا وشكرًا على ما هم فيه من النعم العظيمة، فهذا أجمع العلماء على شرعية السجود ههنا اقتداء بهم واتباعًا لِمَنُوالِهِمْ»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان بيكي، يقول: يا ويله، أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار»^(٣).

قال الأجرى: «وأجِبُّ للقارئ أن يأخذ نفسه بسجود القرآن كلما مرَّ بسجدة سجَدَ فيها، وفي القرآن خمس عشرة سجدة، وقد قيل أربع عشرة سجدة، وقد قيل إحدى عشرة سجدة، والذي أختار له أن يسجد كلما مرَّت به سجدة، فإنه يُرضي ربه ﷻ، وَيَغِيظُ عَدُوَّهُ الشيطان»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٤٥٥)، واللفظ له، ومسلم (٨٠٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٣٤) بتصرف يسير.

(٣) أخرجه مسلم: الإيمان (٨١) ولكن قال (فأيتت) بدل (تَعْصَيْتُ).

(٤) أخلاق حملة القرآن (ص ١٩٨).



ومن آداب تلاوة القرآن الاجتماع عند التلاوة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله، ويمدّارُ سونته بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحففتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»^(١).

وعن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من قوم يذكرون الله إلا حففت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده»^(٢).

قال النووي: «اعلم أن قراءة الجماعة مجتمعين مستحبة بالدلائل الظاهرة وأفعال السلف والخلف المتظاهرة»، ثم ذكر الحديثين السابقين فقال: «وروى ابن أبي داود فعل الدراسة مجتمعين عن جماعات من أفاضل السلف والخلف وقضاة المتقدمين»^(٣).

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكُرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ.

اللَّهُمَّ قِنَا شِعْ أَنْفُسِنَا وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُفْلِحِينَ.

اللهم آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

وسبحانك الله وبحمديك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٣).

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن (ص ٥١).

قيام رمضان

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٠] ﴿١١﴾
 عمران: [٧٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿١٢﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] ﴿١٣﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] ﴿١٤﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإنَّ أصدقَ الحديثِ كلامُ اللهِ، وخَيْرُ الهديِ هديُّ مُحَمَّدٍ - صلى اللهُ عليه وعلى آله وسلم - وَشَرُّ الأمورِ مُخَدَّنَاتُهَا وَكُلُّ مُخَدَّنَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي اليومَ عن فَضْلِ قيامِ رمضانَ.

ولقيامِ رمضانَ فضائلٌ عظيمةٌ وصفةٌ يتَّصِفُ بها المؤمنُ.

قال اللهُ ﷻ: ﴿أَمِنْ هُوَ قَلْبِي أَنَاةَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزُّمَرُ: ١٩].

وقال اللهُ ﷻ: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [١٦] ﴿١٧﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٧] ﴿١٨﴾ [السجدة: ١٦-١٧].



فَعِنْدَمَا هَدَأَتِ الْأَصْوَاتُ وَمَسَكْنَ الْحَرَكَاتُ قَامُوا لِرَبِّهِمْ ﷻ يَتَمَلَّقُونَهُ وَيَدْعُونَهُ
رَغَبًا وَرَهَبًا، فَكَمَا أَخْفُوا الْعَمَلَ وَاسْتَرَوْا بِظُلْمَةِ اللَّيْلِ عِنْدَ ذَلِكَ أَخْفَى اللَّهُ ﷻ لَهُمُ
الثَّوَابَ، ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٧) [السجدة: ١٧].
وقال ﷻ في وَصْفِ الْمُحْسِنِينَ: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ النَّاسِ وَلَئِن أَسْأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا نَعْمَلُ
بِمَا كُنَّا نُنْهَىٰ عَنِ الْعَمَلِ ﴾ [الذاريات: ١٧-١٨].

وهذا الذي ذكرناه في رمضان وغير رمضان وقيام رمضان اختص بمغفرة الذنوب.
ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ
قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

فدَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ لِلْإِخْلَاصِ تَأْثِيرًا فِي الثَّوَابِ لِقَوْلِهِ: «إِيمَانًا» فَلَمْ يَقُمْ عَادَةً.
وَدَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَحْصُلُ هَذَا الثَّوَابُ الْعَظِيمُ إِلَّا لِمَنْ جَمَعَ بَيْنَ الرَّصْفَيْنِ
(الإيمان والاحتساب) وَأَكْثَرَ النَّاسِ يَغْفُلُ عَنِ الْإِحْتِسَابِ بَلْ يَقُومُونَ بِالْعَمَلِ لِأَنَّهُ
عَمَلٌ صَالِحٌ لَكِنَّ الْإِحْتِسَابَ قَلِيلٌ.

وَدَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ قِيَامَ رَمَضَانَ تُغْفَرُ بِهِ الذُّنُوبُ الصَّغَائِرُ وَالْكَبَائِرُ وَأُخِذَ مِنَ الْعَمُومِ.
وَهَلِ الْمُرَادُ الذُّنُوبُ السَّابِقَةُ غَيْرَ الشَّرِكِ أَوْ الصَّغَائِرُ فَقَطْ؟
أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ عَلَى الثَّانِي وَهَذَا ظَاهِرٌ فِيمَا إِذَا كَانَ الْعَمَلُ وَاحِدًا ثُمَّ ذُكِرَ ثَوَابُهُ مُطْلَقًا
فِي مَكَانٍ وَمَقِيدًا فِي مَكَانٍ.

مثال: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر» وهذا صريح في أن رمضان يدخل فيه صيامه وقيامه

(١) صحيح البخاري (٢/ ٦٠) برقم (٢٥٩)، صحيح مسلم (١/ ٥٢٣) رقم (٧٥٩).

مكفر بشرط اجتناب الكبائر.

قال ابن عثيمين رحمته الله: «وقيام رمضان شامل للصلاة من أول الليل وآخره، وعلى هذا فالتراويح من قيام رمضان، فينبغي الحرص عليها، والاعتناء بها، واحتساب الأجر والثواب من الله عليها، وما هي إلا ليال معدودة يتجهزها المؤمن العاقل قبل فواتها». ١. هـ (١).

وقيام رمضان سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حجة لمن قال إنه فعل عمر رضي الله عنه والصواب أن عمر رضي الله عنه عمل على إحياء السنة التي فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحث عليها.

قال الشيخ الألباني رحمته الله: «وتشرع الجماعة في قيام رمضان، بل هي أفضل من الانفراد لإقامة النبي صلى الله عليه وسلم لها بنفسه وبيانه لفضلها بقوله كما في حديث عن أبي ذر قال: صُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَمَضَانَ فَلَمْ يَقُمْ بِنَا شَيْئًا مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى يَبْقَى سَبْعَ فَنَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ فَلَمَّا كَانَتِ السَّادِسَةُ لَمْ يَقُمْ بِنَا فَلَمَّا كَانَتِ الْخَامِسَةُ قَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ سَطْرُ اللَّيْلِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ نَقَلْنَا قِيَامَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ. قَالَ فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرَفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ اللَّيْلَةِ». قَالَ: فَلَمَّا كَانَتِ الرَّابِعَةُ لَمْ يَقُمْ فَلَمَّا كَانَتِ الثَّالِثَةُ جَمَعَ أَهْلَهُ وَنِسَاءَهُ وَالنَّاسَ فَقَامَ بِنَا حَتَّى خَشِينَا أَنْ يَفُوتَنَا الْفَلَاحُ. قَالَ قُلْتُ: وَمَا الْفَلَاحُ؟ قَالَ: السَّحُورُ. ثُمَّ لَمْ يَقُمْ بِنَا بَقِيَّةَ الشَّهْرِ (٢).

وأما عدد ركعات قيام رمضان فقد رجح الشيخ الألباني عدد ركعات صلاة القيام إحدى عشر ركعة، وقال ونختار أن لا يزيد عليها اتباعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لم يزيد عليها حتى فارق الدنيا فقد سُئِلَتْ عائشة رضي الله عنها عن صلاته صلى الله عليه وسلم في رمضان؟

(١) مجالس شهر رمضان (ص ١٨).

(٢) قيام رمضان (٢٢) للألباني وقال: صحيح أخرجه أصحاب السنن، راجع صحيح أبي داود ١٢٤٥ والإرواء ٤٤٧.



فَقَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَ رَكْعَةٍ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسَلُّ عَنْ حُسْنِيَّهِنَّ وَطَوِيلِيَّهِنَّ ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسَلُّ عَنْ حُسْنِيَّهِنَّ وَطَوِيلِيَّهِنَّ ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثًا»، والحديث في «الصحيحين»^(١).

قال ابنُ حَجَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في: «هذا مع كونها أُعْلِمَ بحالِ النبي ﷺ لَيْلًا مِنْ غَيْرِهَا»^(٢).

وَمَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ.

ففي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»^(٣) عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ».

قال الألبانيُّ: «الشَّاهِدُ قَوْلُهُ: «مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ...» فَإِنَّهُ ظَاهِرُ الدَّلَالَةِ عَلَى فَضِيلَةِ قِيَامِ رَمَضَانَ مَعَ الْإِمَامِ»^(٤).

وقال ابنُ عَشِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «... وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْجَمَاعَةَ فِي صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ تَرَكَهَا خَوْفًا مِنْ أَنْ تُفْرَضَ عَلَى أُمَّتِهِ...»

وكان السَّلَفُ الصَّالِحُ يَطِيلُونَهَا جِدًّا، ففي حديثِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ الْقَارِيُّ يَقْرَأُ بِالْمِثْبِينِ يَعْنِي بِمِثَابِ الْآيَاتِ حَتَّى كُنَّا نَعْتَمِدُ عَلَى الْعِصِيِّ مِنْ طَوْلِ الْقِيَامِ، وَهَذَا خِلَافُ مَا كَانَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الْيَوْمَ حَيْثُ يُصَلُّونَ التَّرَاوِيحَ بِسُرْعَةٍ عَظِيمَةٍ لَا يَأْتُونَ فِيهَا بِوَجِبِ الْهُدُوءِ وَالطَّمَأْنِينَةِ الَّتِي هِيَ رَكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الصَّلَاةِ لَا

(١) البخاريُّ (١١٤٧)، ومسلمٌ (٧٣٨).

(٢) الفتح ١/ ٥٤ وانظر (قيام رمضان ص ٢٢) للألباني.

(٣) (صحيح) رواه أبو داود ١٣٧٥ وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٢٤١٧).

(٤) قيام رمضان (٢٣) للألباني.

تصح الصلاة بدونها فيخلون بهذا الركن ويحبون من خلفهم من الضعفاء والمرضى وكبار السن فيجتنون على أنفسهم ويحبون على غيرهم، وقد ذكر العلماء رحمهم الله أنه يكره للإمام أن يسرع سرعة تمنع المأمومين فعل ما يسن، فكيف بسرعة تمنعهم فعل ما يجب، نسأل الله السلامة^(١).

وقال رحمته: ولا ينبغي للرجل أن يتخلف عن صلاة التراويح، لينال ثوابها وأجرها، ولا ينصرف حتى ينتهي الإمام منها ومن الوتر ليحصل له أجر قيام الليل كله^(٢).

وهنا فائدتان: ذكرهما ابن عثيمين رحمته الفائدة الأولى: (هل الإمامان في مسجد واحد يُعتبر كل واحد منهما مُستقلاً، أو أن كل واحد منهما نائب عن الثاني؟ قال: الذي يظهر الاحتمال الثاني، أن كل واحد منهما نائب عن الثاني مكمل له، وعلى هذا فإن كان المسجد يُصلي فيه إمامان فإن هذين الإمامين يُعتبران بمتزلة إمام واحد، فيبقى الإنسان حتى ينصرف الإمام الثاني؛ لأننا تعلم أن الثانية مكملَةٌ لصلاة الأول)^(٣).

الفائدة الثانية: سئل ابن عثيمين: إذا كان الرجل في رمضان يصلي أول الليل في مسجد وآخر الليل في مسجد هل يكون الأجر مثله؟ فأجاب بقوله: (قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: من قام مع الإمام حتى ينصرف - يعني: في قيام رمضان - كتبت له قيام ليلة. فإذا صلى مع الإمام الأول ثم صلى مع الثاني لم يصدق عليه أنه صلى مع الإمام حتى ينصرف؛ لأنه جعل قيامه بين رجلين، فيقال له: إما أن تقوم مع هذا من أول الليل إلى آخره، وإما أن يفوتك الأجر)^(٤).

(١) مجالس شهر رمضان (١٩).

(٢) المرجع السابق (٢٥).

(٣) «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (١٤ / ٢٠٧).

(٤) «لقاء الباب المفتوح» (اللقاء رقم ١٧٦).



وقال ﷺ: ويجوزُ للنساء حضورُ التراويح في المسجد إذا أمنت الفتنةُ منهنَّ
وبينَ لقولِ النبي ﷺ: «لا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ»^(١) ولأنَّ هذا مِنْ عَمَلِ السَّلَفِ
الصالحِ ﷺ، لَكِنْ يَجِبُ أَنْ تَأْتِيَ مَسْتَرَةً مُتَحَجِّبَةً غَيْرَ مَتْرُجَةٍ وَلَا مَتَطِيئَةٍ وَلَا رَافِعَةٍ
صَوْتًا وَلَا مُبْدِيَةً زِينَةً لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَلَا يَبْدِيَنَّ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا» أَي: لَكِنْ
مَا ظَهَرَ مِنْهَا فَلَا يُمَكِّنُ إِخْفَاؤُهُ وَهُوَ الْجِلْبَابُ وَالْعِبَاءَةُ وَنَحْوُهُمَا، وَلِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «لَمَّا
أَمَرَ النَّسَاءَ بِالخُرُوجِ إِلَى الصَّلَاةِ يَوْمَ الْعِيدِ قَالَتْ أُمُّ عَطِيَّةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَانَا لَا
يَكُونُ لَهَا جِلْبَابٌ. قَالَ: «الْتَلْبِسْهَا أُخْتُهَا مِنْ جِلْبَابِهَا»^(٢). وَتَكُونُ صَلَاةُ الْمَرْأَةِ فِي
الْمَسْجِدِ أَفْضَلَ وَخَاصَّةً إِذَا خَشِيَتْ التَّفْرِيطَ فِي الْقِيَامِ أَوْ ضِيَاعَهُ، أَوْ كَانَتْ صَلَاتُهَا فِي
الْمَسْجِدِ أَخْشَعَ لَهَا وَأَنْشَطَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٣).

ففي «صحيح مسلم»^(٤) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لا تَمْنَعُوا
نِسَاءَ كَمِ الْمَسَاجِدِ، وَبِوُجُوهُنَّ خَيْرٌ لِهِنَّ».

وفي سنن أبي داودَ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح أبي داود»^(٥) عن
أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: «صُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَمَضَانَ فَلَمْ يَنْقُمْ بِنَا سَيِّئًا مِنْ الشَّهْرِ حَتَّى
يَقِي سَبْعَ، فَقَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ، فَلَمَّا كَانَتِ السَّادِسَةُ لَمْ يَنْقُمْ بِنَا، فَلَمَّا كَانَتِ
الْخَامِسَةُ قَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ سَطْرُ اللَّيْلِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ نَقَلْتَنَا قِيَامَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ؟

(١) رواه البخاري (٩٠٠)، ومسلم (١٤٢).

(٢) مجالس شهر رمضان (٢٤ - ٢٥) للعثيمين.

(٣) انظر تعليقات العثيمين على الكافية لابن قدامة (٢/ ٢٧٨).

(٤) رواه مسلم (١٤٢).

(٥) (صحيح) أخرجه أبو داود (١٣٧٥) وصحَّحَهُ الألبانيُّ في صحيح أبي داود (١٤٤٥) والإرواء (٤٤٧).

أحكام النساء

١١٢

فقال: إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف، حُسيب له قيام ليلة، قال: فلما كانت الرابعة لم يقم، فلما كانت الثالثة جمع أهله ونساءه والناس، فقام بنا حتى نحسبنا أن يفوتنا الفلاح - أي السحور - ثم لم يقم بقية الشهر».

ففي قول أبي ذر رضي الله عنه: «جمع أهله ونساءه»، دلالة على مشروعيتها صلاة النساء للتراويح جماعة في المسجد.

وذكر العلماء - رحمهم الله - شروطاً لحضور النساء فيهن:

قال النووي: «قوله رضي الله عنه: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله» هذا وشبهه من أحاديث الباب ظاهر في أنها لا تمنع المسجد لكن بشروط ذكرها العلماء مأخوذة من الأحاديث وهو أن لا تكون متطيبة ولا متزينة ولا ذات خلاخل يُسمع صوتها ولا ثياب فاخرة ولا مختلطة بالرجال ولا شابة، ونحوها ممن يفتن بها وأن لا يكون في الطريق ما يخاف به مفسدة ونحوها، وهذا النهي عن منعهن من الخروج محمول على كراهة التنزيه إذا كانت المرأة ذات زوج أو سيّد ووجدت الشروط المذكورة، فإن لم يكن لها زوج ولا سيّد حرم المنع إذا وجدت الشروط»^(١).

وقال ابن باز: «أما النساء فالأفضل لهن الصلاة في البيوت، وإن صلّين مع الرجال في المساجد فلا بأس بشرط التّحجّب وعدم الطّيب والتّبرّج والبعد عن أسباب الفتنة»^(٢).

وقال ابن عثيمين: «ولا بأس بحضور النساء صلاة التراويح إذا أمّنت الفتنة بشرط أن يخرجن محتشمات غير متبرجات بزينة ولا متطيّبات»^(٣).

(١) شرح مسلم (٤/ ١٦١ - ١٦٢).

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٣٠ / ٢٥).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٤ / ٢١١).



اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَمْوَالِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَذْوَاءِ.
اللَّهُمَّ قَنَعْنَا بِمَا رَزَقْتَنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَاخْلُفْ عَلَيْنَا كُلَّ غَائِبَةٍ لَنَا بِخَيْرٍ.
اللَّهُمَّ حَاسِبْنَا حِسَابًا يَسِيرًا.
اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.
وسبحانك الله وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



الاعتكاف أحكام وفوائده

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧٦].

أما بعد: فإنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا وَكُلُّ مُخَدَّنَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ. أما بعد: فحديثي اليوم عن الاعتكاف وما فيه من أحكام وفوائد تملأ الصُّدْرَ وَالنَّحْرَ.

والاعتكاف شَرْهًا: لزومُ مَسْجِدٍ جَمَاعِيَّةٍ، بِنِيَّةٍ لِعِبَادَةِ اللَّهِ فِيهِ، مِنْ شَخْصٍ مَخْصُوصٍ، بِشُرُوطٍ مَخْصُوصَةٍ، عَلَى صِفَةٍ مَخْصُوصَةٍ، فِي زَمَنِ مَخْصُوصٍ.

شُرُوطُ الْعِتْكَافِ: الْعِتْكَافُ فِي الْمَسَاجِدِ عِبَادَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى لَهَا شُرُوطٌ لَا تَصِحُّ إِلَّا

بِهَا، وَهِيَ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي:

الشرط الأول: الإسلام.

الشرط الثاني: العقل.

الشرط الثالث: التمييز.

ضويوب بـ Calicut



أما البلوغُ والذكوريةُ فلا يشترطان لصحة الاعتكاف، فإنه يصحُّ الاعتكافُ من غير البالغ إذا كان مُمَيَّرًا، وكذلك يصحُّ من الأثني.
الشرطُ الرابعُ: النيةُ.

الشرطُ الخامسُ: أن يكونَ الاعتكافُ في مسجد.

الشرطُ السادسُ: أن يكونَ الاعتكافُ في مسجدٍ تُقامُ فيه الجماعةُ.

وأما الصيامُ فالصوابُ أنه ليسَ بشرطٍ في الاعتكافِ.

ففي «الصحيحين»^(١) عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما أنَ عُمَرَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي نَذَرْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ أَعْتَكِفَ لَيْلَةً فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَقَالَ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ»، فَلَوْ كَانَ الصَّوْمُ شَرْطًا لَمَا صَحَّ اعْتِكَافُهُ فِي اللَّيْلِ؛ لِأَنَّهُ لَا صِيَامَ فِيهِ، وَلَأَنَّهُمَا عِبَادَتَانِ مُفْصَلَتَانِ، فَلَا يُشْتَرَطُ لِأَحَدِهِمَا وَجُودُ الْآخَرَى^(٢).

قال ابنُ بازٍ رحمته الله:

«والصوابُ أن الصَّوْمَ ليسَ شَرْطًا فِي الْعِتْكَافِ، فَإِنْ صَامَ الْمُعْتَكِفُ فَهُوَ أَكْمَلُ وَإِنْ لَمْ يَصُمْ فَاعْتِكَافُهُ صَحِيحٌ»^(٣).

حُكْمُ الْعِتْكَافِ: سُنَّةٌ لَا يَجِبُ إِلَّا بِالنَّذْرِ وَالْعِتْكَافُ قَرِيبَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى وَطَاعَةٌ، وَالْعِتْكَافُ مَشْرُوعٌ مَسْنُونٌ، بِالْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَالْإِجْمَاعِ:

أما الكتابُ؛ قال اللهُ تعالى لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ: ﴿أَنْ طَهَّرْنَا بَيْتَنَا لِلطَّائِفِينَ وَالْمُكْبِتِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(١٢٥) [البقرة: ١٢٥]، وهذه الآية دليلٌ على

(١) رواه البخاري (٢٠٢٠)، ومسلم (١١٧٢).

(٢) انظر: الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة، (١٦٨)، إعداد وزارة الشؤون الإسلامية.

(٣) تعليقة على زاد المعاد لابن القيم (٨٦).

أول عَشْرَ النَّسَاءِ

116

مشروعية الاعتكاف حتى في الأمم السابقة^(١)، ولقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُبَيِّنُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وأما السنة فالأحاديث كثيرة ومنها ما يأتي:

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ».

وفي «الصحيحين»^(٣) من حديث عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، حتى توفاه الله تعالى، ثم اعتكف أزواجه من بعده.

وفي «الصحيحين»^(٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: إن رسول الله ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان، ثم اعتكف العشر الأوسط في قبة ترمية (أي: صغيرة) على سُدَّتِهَا حَصِيرٌ، قال: فَأَخَذَ الْحَصِيرَ بِيَدِهِ فَنَحَّاهَا فِي نَاحِيَةِ الْقَبَةِ، ثُمَّ أَطْلَعَ رَأْسَهُ فَكَلَّمَ النَّاسَ فَذَنَّبُوا مِنْهُ، فَقَالَ: «إِنِّي أَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ أَلْتَمَسُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ أَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَّاسِطَ، ثُمَّ أَتَيْتُ فَقِيلَ لِي: إِنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَعْتَكِفَ، فَلْيَعْتَكِفْ»، فَأَعْتَكَفَ النَّاسُ مَعَهُ، قَالَ: «وَإِنِّي أَرَيْتُهَا لَيْلَةً وَتَرَى، وَإِنِّي أَسْجُدُ فِي صَبِيحَتِهَا فِي طِينٍ وَمَاءٍ» فأصبح من ليلة إحدى وعشرين، وقد قام إلى الصُّبْحِ فَمَطَّرَتِ السَّمَاءُ، فَرَكَفَ الْمَسْجِدُ (أي: قَطَرَ الْمَطَرُ) فَأَبْصَرْتُ الطِّينَ وَالْمَاءَ، فَخَرَجَ حِينَ قَرَعْتُ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ وَجَبِينُهُ وَرَوْتُهُ أَنْفِهِ (أي: طَرَفُهُ) فِيهِمَا الطِّينُ وَالْمَاءُ، وَإِذَا هِيَ لَيْلَةُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ».

(١) الشرح المُنتَج لابن عثيمين (١/ ٥٠٦).

(٢) رواه البخاري (٥٠٢٥)، ومسلم (١١٧).

(٣) رواه البخاري (٢٠٢٦)، ومسلم (١١٧٢).

(٤) رواه البخاري (٢١٦٦)، ومسلم (١١٦٧) واللفظ لمسلم.



وفي «صحيح البخاري»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام فلَمَّا كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوماً».

وأما الإجماع: فأجمع أهل العلم على أن الاعتكاف لا يجب على الناس قرصاً إلا أن يوجب المرء على نفسه الاعتكاف نذراً فيجب عليه^(٢).

أفضل أوقات الاعتكاف: العشر الأواخر من رمضان.

ففي «الصحيحين»^(٣) من حديث عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده».

وإذا أراد المسلم أن يعتكف العشر الأواخر من رمضان تطوعاً، فإنه يدخل مُتَكَفِّئاً عند جمهور أهل العلم قبل غروب شمس يوم عشرين؛ ليستقبل ليلة إحدى وعشرين وهو في مُتَكَفِّئِهِ.

والمرأة لا يصحُّ اعتكافها إلا في المسجد المُتَّخِذِ للصلوات، وتتاوله أحكام المساجد، فأما مسجدُ بيتها: وهو مكانٌ من البيت يتَّخِذُهُ الرَّجُلُ أو المرأةُ للصلاة فيه مع بقاء حُكْمِ المُلْكِ عليه فلا يصحُّ الاعتكاف فيه؛ لأنَّ هذا ليسَ مسجدًا، ولا يُسَمَّى في الشرع مسجدًا والاعتكاف إنما يكونُ في المساجد، ولأنَّ أزواجَ النبي ﷺ اعتكفن في المسجد بَعْدَهُ^(٤)، بل اعتكفن معه؛ ففي «الصحيحين»^(٥) من حديث عائشة رضي الله عنها

(١) رواه البخاري (٤٩٩٧).

(٢) انظر: المغني لابن قدامة، ٤/ ٤٥٦، والإجماع لابن المنذر ص ٦٠.

(٣) رواه البخاري (٢٠٢٦)، ومسلم (١١٧١).

(٤) كتاب الصيام من شرح العمدة لابن تيمية (٢/ ٧٣٧).

(٥) رواه البخاري (٢٠٢٩)، ومسلم (١١٧٣).

قالت: «كان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، فكننتُ أضربُ له خِباءَ فيصلي الصبح ثم يدخله، فاستأذنتُ حفصةَ عائشةَ أن تضربَ خِباءَ فأذنتُ لها فضربتُ خِباءَ آخرَ، فلما أصبح النبي ﷺ رأى الأخبيةَ فقال: «ما هذا؟» فأخبرَ، فقال النبي ﷺ: «البرَّ ترونَ بهنَّ؟» فتركَ الاعتكافَ ذلكَ الشهرَ، ثم اعتكفَ عشرًا من شوالٍ.»

والاعتكافُ له فوائدٌ عظيمةٌ فمنها:

التكريمُ من الله: لأنك في ضيافةِ الله - جلَّ وعلا - وفي بيتهِ ويجوارِهِ، وحقُّ على المَزورِ أن يُكرِّمَ زائرَهُ، ففي «الصحيحين»^(١) من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ غدا إلى المسجدِ أو راحَ أهدأ اللهُ له نزلًا من الجنةِ كلِّما غدا أو راحَ، وهذا لِمَنْ يذهبُ إلى المسجدِ، فما بالكِ بِمَنْ كان جالسًا ومعتكفًا في المسجدِ؟»

ومن فوائدِ الاعتكافِ تحقيقُ الخُلوةِ مع الله:

قال ابنُ القيم رحمه الله:

لَمَّا كَانَ صَلَاحُ الْقَلْبِ وَاسْتِقَامَتُهُ عَلَى طَرِيقِ سَبِيلِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، مُتَوَقِّفًا عَلَى جَمْعِيَّتِهِ عَلَى اللَّهِ، وَلَمْ شَعِيهِ بِإِقْبَالِهِ بِالْكَلْبَةِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ شَعَتِ الْقَلْبِ لَا يَلْمُهُ إِلَّا الْإِقْبَالَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَكَانَ فُضُولُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَفُضُولُ مُخَالَطَةِ الْأَنْامِ، وَفُضُولُ الْكَلَامِ، وَفُضُولُ الْمَنَامِ، مِمَّا يَزِيدُهُ شَعْنًا، وَتُسُّتُهُ فِي كُلِّ وَادٍ وَيَقْطَعُهُ عَنِ سَبِيلِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ يُضْعِفُهُ أَوْ يَعْوقُهُ وَيُوقِفُهُ، اقْتَضَتْ رَحْمَةُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ بِعِبَادِهِ أَنْ شَرَعَ لَهُمْ مِنَ الصُّومِ مَا يُذْهِبُ فُضُولَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَيَسْتَفْرِغُ مِنَ الْقَلْبِ أَخْلَاطَ الشَّهَوَاتِ الْمُعْوَقَّةِ لَهُ عَنِ سَبِيلِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَشَرَعَهُ بِقَدْرِ الْمَضْلَحَةِ، بِحَيْثُ يَتَّبَعُ بِهِ الْعَبْدُ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ، وَلَا يَضُرُّهُ وَلَا يَقْطَعُهُ عَنِ مَصَالِحِهِ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ.

(١) رواه البخاري (٦٣٦)، ومسلم (٦٦٩).



وَسَرَعَ لَهُمُ الْإِعْتِكَافُ الَّذِي مَقْصُودُهُ وَرُوحُهُ عُكُوفُ الْقَلْبِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَجَمْعِيَّتُهُ عَلَيْهِ، وَالْخَلْوَةُ بِهِ، وَالْإِنْقِطَاعُ عَنِ الْإِشْتِغَالِ بِالْخَلْقِ، وَالْإِشْتِغَالُ بِهِ وَخَدُّهُ سُبْحَانَهُ بِحَيْثُ يَصِيرُ ذِكْرُهُ وَحُبُّهُ، وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ فِي مَحَلِّ هُمُومِ الْقَلْبِ وَخَطَرَاتِهِ، فَيَسْتَوْلِي عَلَيْهِ بِدَلَّتْهَا، وَيَصِيرُ أَنَّهُمْ كُلُّهُ بِهِ، وَالْخَطَرَاتُ كُلُّهَا بِذِكْرِهِ، وَالتَّنَكُّرُ فِي تَحْصِيلِ مَرَاضِيهِ وَمَا يَقْرُبُ مِنْهُ فَيَصِيرُ أَنَّهُ بِاللَّهِ بَدَلًا عَنِ أَنْسِهِ بِالْخَلْقِ، فَيَعُدُّهُ بِذَلِكَ لِأَنْسِهِ يَوْمَ الْوَحْشَةِ فِي الْقُبُورِ حِينَ لَا أُنْسَ لَهُ، وَلَا مَا يَقْرَحُ بِهِ سِوَاهُ، فَهَذَا مَقْصُودُ الْإِعْتِكَافِ الْأَعْظَمِ (١).

ومن فوائد الاعتكاف صفاء القلب والروح؛ إذ إن مدار الأعمال على القلب كما في «الصحيحين» (٢) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْفَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».

ومن فوائد الاعتكاف إدراك ليلة القدر: كان النبي صلى الله عليه وسلم يَخُصُّ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ بِالْإِعْتِكَافِ؛ طَلَبًا لِللَّيْلِ الْقَدْرِ، وَكَانَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، فَفِي «الصحيحين» (٣) عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ».

وفي «الصحيحين» (٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «التَّمِسُّوْهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ - يَعْنِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ - فَإِنْ ضَعُفَ أَحَدُكُمْ أَوْ عَجَزَ فَلَا يُغْلِبَنَّ عَلَى السَّبْعِ الْبِوَاقِي».

ومن فوائد الاعتكاف المحافظة على قيام رمضان: وقيام رمضان سبب لمغفرة

(١) «زاد المعاد»، (٢/ ٨٢).

(٢) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

(٣) رواه البخاري (١٩١٣)، (١١٦٩).

(٤) رواه مسلم (١١٦٥).

فوائد الاعتكاف

١٢٠

الذُّنُوبِ، كما جاء في «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

ومن فوائد الاعتكافِ المحافظةُ على الصلاةِ مع الجماعةِ ففي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «صلاةُ الجماعةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ أَحَدِكُمْ وَحْدَهُ خَمْسَةً وَعِشْرِينَ جُزْءًا».

ومن فوائد الاعتكافِ قراءةُ القرآنِ: ففي «الصحيحين»^(٣) عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُهُ وَيَتَعَتَّقُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ».

ومن فوائد الاعتكافِ محاسبةُ النَّفْسِ: ومحاسبةُ النَّفْسِ مطلوبةٌ، كما جاء عن عُمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه قال: «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا؛ فَإِنَّهُ أَهْوَنُ لِحِسَابِكُمْ، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، وَتَجَهَّزُوا لِلْعُرْضِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ»، أخرجهُ ابنُ المَبَارَكِ في «الزُّهْدِ»^(٤).

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ.

اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ [السَّبْعِ] وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانَ. نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ

(١) رواه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩).

(٢) رواه مسلم (٦٤٩).

(٣) رواه البخاري (٤٦٥٣)، ومسلم (٧٩٨).

(٤) «الزهد» (١/ ١٠٣)، رقم (٣٠٦).



شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ
بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ. وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ
عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ.

اللَّهُمَّ أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَنَجِّنَا مِنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَجَنِّبْنَا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ. وَبَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا،
وَأَبْصَارِنَا، وَقُلُوبِنَا، وَأَزْوَاجِنَا، وَذُرِّيَّاتِنَا، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وَاجْعَلْنَا
شَاكِرِينَ لِنِعْمِكَ مُتَمِّينِينَ بِهَا عَلَيكَ قَابِلِينَ لَهَا، وَاتِمِّمْهَا عَلَيْنَا.

وسبحانك الله وبحمديك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



ليلة القدر فضلها وقتها علاماتها

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٤] ﴿١﴾
 عمران: [١٣]، ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا وَجْهًا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿١﴾ [النساء: ١]، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] ﴿٧٠﴾ يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] ﴿٧١﴾ [الاحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإنَّ أصدقَ الحديثِ كلامُ اللهِ، وخَيْرُ الهديِ هديُّ مُحَمَّدٍ - صلى اللهُ عليه وعلى آله وسلم - وشَرُّ الأمورِ مُخَدَّنَاتُهَا وَكُلُّ مُخَدَّنَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي عن «ليلة القدرِ وقتها - فضلها - علاماتها».

فلقد منَّ اللهُ - تبارك وتعالى - على هذه الأمة بأن اختصَّها بخصائصٍ عديدةٍ، من هذه الخصائص تلك الليلة المباركة ليلة القدرِ.

وفضائل ليلة القدرِ كثيرةٌ فمن فضائلها أنها ليلةٌ مباركةٌ، يعني: كثيرةٌ الخيرِ والفضلِ والثوابِ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ﴾ [الدخان: ٣].

ومن فضائل ليلة القدرِ أنَّ اللهُ تعالى أنزلَ فيها القرآنَ الكريمَ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

ومن فضائل ليلة القدر أن العمل فيها خير من العمل في ألف شهر، كما قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣]، وهذا يعادل أكثر من ثلاث وثمانين سنة. قال بعض أهل العلم: إنها خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

ومن فضائل ليلة القدر أن الملائكة تنزل فيها إلى الأرض، كما قال تعالى: ﴿نَزَلَتِ السَّكِينَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ١]، وهم ينزلون بالخير والبركة والرحمة. والروح هو جبريل عليه السلام، فقد أطلق الله عليه (روح) في قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

ومن فضائل ليلة القدر أنها ليلة سلام، كما قال تعالى: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥]، والمعنى: أن هذه الليلة مباركة كثيرة الخير قليلة الشر والآفات مما يكون في غيرها من الليالي، وذلك لما جعل الله تعالى فيها من الخير والبركة، وكثرة نزول الملائكة.

ومن فضائل ليلة القدر أن قيام لياليها سبب لغفران الذنوب؛ ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

معنى إيماناً: تصديقاً بأنه حق. ومعنى احتساباً: أنه يريد الله تعالى، لا يقصد رؤية الناس، ولا غير ذلك مما يخالف الإخلاص.

قوله: «غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، هذا هو جواب الشرط؛ فمن قام ليلة القدر على الوجه المطلوب شرعاً - مؤمناً بالله وبما فرَضَهُ اللهُ عليه، ومنه عبادة القيام، ومحسباً للشواب والأجر من الله - فإن المرجو من الله أن يغفر له ما تقدم من ذنوبه.

(١) رواه البخاري (١٩١٠)، ومسلم (٧٦٠).

ليلة القدر

١٢٤

ومن فضائل ليلة القدر أنه من حُرِّمَها فقد حُرِّمَ الخَيْرُ كُلُّهُ؛ ففي سُنَنِ ابنِ ماجه بسندِ حَسَنِ حَسَنَةَ الألباني في «صحيح الجامع»^(١) عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلَ رَمَضَانُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَ كُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِّمَها فَقَدْ حُرِّمَ الخَيْرُ كُلُّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرُهَا إِلَّا مَحْرُومٌ».

ومن فضائل ليلة القدر أنه يكثر فيها تنزل الملائكة الكرام ﷺ إلى الأرض حتى تضيق بهم، وفي مسند الطيالسي وأحمد بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيح»^(٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ: «إِنَّ الملائكةَ تلكَ الليلةَ في الأرضِ أكثرُ من عددِ الحصى».

وليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان بلا شك لأدلة منها:

ففي «الصحيحين»^(٣) حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «تحرّروا (أي: اقصّدوا واجتهدوا في الطلب) ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان»، وفي رواية للبخاري: كان رسول الله ﷺ يُجاورُ (أي: يعتكفُ) في العشر الأواخر من رمضان ويقول: «تحرّروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان»، وفي رواية للبخاري: «التوسّوا...».

وفي «صحيح مسلم»^(٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أن رسول الله ﷺ قال:

(١) (صحيح) أخرجه ابن ماجه (١٦٦٤) (حسن) انظر حديث رقم: ٢٢٤٧ في صحيح الجامع.

(٢) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده ص ٣٣٢، وعنه أحمد ٢ / ٥١٦، وصححه ابن خزيمة ٣ / ٣٣٢ (٢١٩٤)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٥٥).

(٣) رواه البخاري (٢٠٤٠)، ومسلم (١١٩٦).

(٤) رواه مسلم (١١٦٦).



«أرئت ليلة القدر ثم أيقظني بعض أهلي فنسيتها فالتوسوها في العشر الغواير» ومعنى الغواير: أي البواقي، وقال خزّمة أحد رواة الحديث: «فنسيتها».

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها» ولا شك أن هذا الاجتهاد في العبادة يتحرى فيه ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان.

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجدّ، وشدّ المئزر».

ومعنى شدّ المئزر: أي شمّر واجتهد في العبادات، وقيل: كناية عن اعتزال النساء؛ للفرغ لأنواع العبادات في العشر الأواخر.

قال ابن باز رحمته الله: «هذا يدل على الحزم، وفعل الخير، وعلى حرص النبي صلى الله عليه وسلم مع أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، والعظماء أسرع إلى الخير من غيرهم»^(٣).

وتكون ليلة القدر في السبع الأواخر أرجى العشر الأواخر:

وفي «الصحيحين»^(٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرى رؤياكم قد توأطأت (أي: توافقت) في السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر»، وفي لفظ للبخاري:

(١) رواه مسلم (١١٧٥).

(٢) رواه البخاري (٢٠٢٤) ومسلم (١١٧٤).

(٣) تعليق ابن باز على صحيح البخاري، الحديث رقم (٢٠٢٤).

(٤) رواه البخاري (٢٠١٥)، ومسلم (١١٦٥).

ليلة القدر

١٢٦

أَنَّ أَنَسًا أَرَوَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ، وَأَنَّ أَنَسًا أَرَوَاهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْتَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ».

وتكونُ ليلةُ القدرِ في أوتارِ العشرِ الأواخرِ أكْثَرُ من أشْفاعِها:

ففي «الصحيحين»^(١) من حديثِ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوَتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ» وَلَيْلَةُ الْقَدْرِ قَدْ تَكُونُ فِي أَشْفَاعِ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ؛ لِلأَحَادِيثِ الْآتِيَةِ: فِي «صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «الْتَمِسُوا فِي أَرْبَعٍ وَعَشْرِينَ».

وَفِي «صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ»^(٣) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هِيَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، هِيَ فِي تِسْعٍ بِمَضِينَ، أَوْ فِي سَبْعٍ بِبَقِينَ» يَعْنِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبَخَارِيِّ أَيْضًا: «الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى، فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى، فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى»^(٤).

وَلَيْلَةُ الْقَدْرِ مُتَنَقِّلَةٌ فِي كُلِّ سَنَةٍ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «وَأَجْمَعَ مَنْ يُعْتَدُّ بِهِ عَلَى وَجُودِهَا وَدَوَامِهَا إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ؛ لِلأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، الْمَشْهُورَةِ، قَالَ الْقَاضِي: وَاخْتَلَفُوا فِي مَحَلِّهَا، فَقَالَ جَمَاعَةٌ: هِيَ مُتَنَقِّلَةٌ: فِي سَنَةٍ فِي لَيْلَةٍ، وَفِي سَنَةٍ أُخْرَى فِي لَيْلَةٍ أُخْرَى، وَهَكَذَا، وَهَذَا يُجْمَعُ بَيْنَ الأَحَادِيثِ، وَيُقَالُ كُلُّ حَدِيثٍ جَاءَ بِأَحَدٍ أَوْ قَاتِيهَا، وَلَا تَعَارَضَ فِيهَا، قَالَ: وَنَحْنُ هَذَا

(١) رواه البخاري (٢٧١)، ومسلم (١١٩٦)، واللفظ للبخاري.

(٢) رواه البخاري (٢٠٢٢).

(٣) رواه البخاري (٢٠٢١، ٢٠٢٢).

(٤) انظر: الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، لابن الملقن (٥/ ٤٠٠).



صحيح: «أنها تطلع يومئذ لا شعاع لها»، ولفظ أبي داود بسند صحيح صححه الألباني في صحيح أبي داود^(١): يا أبا المنذر أتى علمت ذلك؟ قال: بالآية التي أخبرنا رسول الله ﷺ: فقيل لزر: ما الآية؟ قال: «تصبح الشمس صبيحة تلك الليلة مثل الطست لا شعاع لها حتى ترفع»، ولفظ الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الترمذي»^(٢): «أخبرنا رسول الله ﷺ أنها ليلة صبيحتها تطلع الشمس ليس لها شعاع...».

وفي صحيح ابن خزيمة بسند صحيح صححه الألباني في تعليقاته على «صحيح ابن خزيمة»^(٣) حديث جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني كنت أريت ليلة القدر ثم نسيتها، وهي في العشر الأواخر، وهي ليلة طلقة بلجة (أي: مشرقة)، لا حارة ولا باردة، كأن فيها قمرًا يفضح كواكبها لا يخرج شيطانها حتى يضيء فجرها».

وفي «صحيح ابن خزيمة» بسند صحيح صححه الألباني في تعليقه على صحيح ابن خزيمة^(٤) حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ في ليلة القدر: «ليلة طلقة لا حارة ولا باردة، تصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة».

اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَهْوَاءِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَذْوَاءِ.

اللَّهُمَّ قَنَعْنَا بِمَا رَزَقْتَنَا، وَبَارِكْ لِي فِيهِ، وَاخْلُفْ عَلَيَّ كُلَّ غَائِبَةٍ لَنَا بِخَيْرٍ.

- (١) (صحيح) أخرجه أبو داود، برقم ١٣٧٨، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ٣٨٠).
- (٢) (صحيح) أخرجه الترمذي، برقم ٧٩٣، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١/ ٤١٧).
- (٣) (صحيح) أخرجه ابن خزيمة في (صحيحه) (٢١٩٠)، وصححه الألباني في تعليقه على صحيح ابن خزيمة، (٣/ ٣٣٠)؛ لسواهيدو.
- (٤) (صحيح) ابن خزيمة في (صحيحه) (٢١٩٢)، وصححه الألباني في تعليقه على صحيح ابن خزيمة، (٣/ ٣٣٢)؛ لسواهيدو، وصححه في صحيح الجامع (٥٣٥١).



٥- الحج والعمرة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠١] ﴿١﴾
 عمران: [١٢٢] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَنَجَدَةٍ وَمِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ. وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿١﴾ [النساء: ١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٢٠] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٦١] ﴿١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا وَكُلُّ مُخَدَّنَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي اليوم عن الحجِّ، والحجِّ وما أدراك ما الحجُّ للحجِّ الركنُ الخامسُ من أركانِ الإسلام، ومبانيه العظامُ فهو ختامُ الأمرِ، وتَمَامُ الإسلامِ، وكمالُ الدينِ ففي «الصحيحين» (١) عن عمرَ بنِ الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ الطَّوِيلِ: «الإسلامُ شهادةُ ألا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ وإقامُ الصلاةِ وإيتاءُ الزكاةِ وصومُ رمضانَ وحجُّ بيتِ اللهِ من استطاعَ إليه سبيلاً».

(١) رواه البخاري، ومسلم (١٦).

وفي «الصحيحين»^(١) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت» فهو فريضة الله ﷻ فرضه على كل مسلم مستطيع بقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَى سَبِيلٍ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٧﴾ [آل عمران: ٩٧].

والسبيل هو: (هو الزاد والراحلة) لا على معنى أن الاستطاعة مقصورة عليها، فإن المريض، والخائف، والشيخ الذي لا يثبت على الراحلة، والزمن، وكل من تعذر عليه الوصول، فهو غير مستطيع للسبيل إلى الحج، وإن كان واجداً للزاد والراحلة.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى عند هذي الآية [آل عمران: ٩٧] قال: هذه آية وجوب الحج عند الجمهور، وقد وردت الأحاديث المتعددة بأن الحج أحد أركان الإسلام، ودعائمه وقواعده، وأجمع المسلمون على ذلك إجماعاً ضرورياً، وإنما يجب على المكلف في العمر مرة واحدة بالنص والإجماع.

ولا يجب إلا مرة واحدة في العمر بدليل ما جاء في «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت: نعم، لوجبت ولما استطعتم، ثم قال: ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه».

(١) رواه البخاري (٤٥١٤)، ومسلم (رقم ١٦).

(٢) رواه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧) واللفظ له.



وفي «الصحيحين»^(١) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت» فهو فريضة الله ﷻ قرصه على كل مسلم مستطيع بقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٧﴾ [آل عمران: ٩٧].

والسبيل هو: (هو الزاد والراحلة) لا على معنى أن الاستطاعة مقصورة عليها، فإن المريض، والخائف، والشيخ الذي لا يثبت على الرحلة، والزمن، وكل من تعذر عليه الوصول، فهو غير مستطيع للسبيل إلى الحج، وإن كان واجدا للزاد والراحلة.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى عند هذي الآية [آل عمران: ٩٧] قال: هذه آية وجوب الحج عند الجمهور، وقد وردت الأحاديث المتعددة بأن الحج أحد أركان الإسلام، ودعايته وقواعده، وأجمع المسلمون على ذلك إجماعا ضروريا، وإنما يجب على المكلف في العمر مرة واحدة بالنص والإجماع.

ولا يجب إلا مرة واحدة في العمر بدليل ما جاء في «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس، قد قرص الله عليكم الحج فحجوا»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت: نعم، لوجبتم ولما استطعتم، ثم قال: ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه».

(١) رواه البخاري (١٥١٤)، ومسلم (١٦).

(٢) رواه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧) واللفظ له.

أركان الحج والعمرة

١٢٢

والحجُّ عبادةٌ قديمةٌ فرضها اللهُ على مَنْ قَبَلْنَا؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ فِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٦٦﴾ [الحج: ٦٦]؛ وإذا عمَّ الأمرُ هانٍ وسهلاً.

ولا يزالُ الناسُ يحجُّون منذُ رَفَعَ إبراهيمُ القواعدَ من البيتِ، وأذَّنَ في الناسِ بالحجِّ كما أمره ربُّه ﷻ: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿١٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴿٢٨﴾ [الحج: ١٧-٢٨].

والى يومنا هذا، والحجُّ لا ينقطعُ طالما على الأرضِ مؤمنٌ، فإذا قبضَ اللهُ أرواحَ المؤمنين، ولم يبقَ على ظهرِ الأرضِ إلا شرارُ الخلقِ الذين تُدرِكُهُمُ الساعةُ وهم أحياءٌ توقَّفَ سبيلُ الحجِّ إلى بيتِ اللهِ الحرامِ.

وفضائلُ الحجِّ كثيرةٌ لا تكادُ تُحصَرُ فمنها:

أنَّ الحجَّ من أفضلِ الأعمالِ فهو يلي الجهادَ في الأجرِ والفضلِ ففي «الصحيحين»^(١) من حديثِ أبي هريرةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ». قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ».

وفي «صحيح البخاري»^(٢) من حديثِ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، تَرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ، أَمْ لَا تُجَاهِدُ؟ قَالَ: لَا، لَكِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ.

(١) رواه البخاري (١٥١٩)، ومسلم (٨٢).

(٢) رواه البخاري (٢٧٨٤).



والحجُّ المبرورُ: كما ذَكَرَ العلماءُ هو الذي لا يُخالِطُهُ شيءٌ مِنَ الإثمِ، وأن يكونَ حَاجَةً مُوَافِقًا لِحَجِّ نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ القَائِلِ: «اُخْذُوا عَنِّي مَناسِكَكُمْ»، وقَبْلَ الشُّرُوعِ فِي الحِجِّ بِتَعَلُّمٍ وَتَتَفَقُّهُ فِي هَذَا الرِّكْنِ العَظِيمِ مِنَ أركانِ الإسلامِ وتَظْهَرُ ثَمَرَتُهُ عَلَى صاحِبِهِ بِأَن يَكُونَ حالُهُ بَعْدَهُ خَيْرًا مِنْ حالِهِ قَبْلَهُ.

ومن فضائلِ الحِجِّ أَنَّ مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ.

ففي «الصحيحين»^(١) من حديثِ أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «مَنْ حَجَّ هَذَا النَّبِيَّتِ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».

وحتى يرجعَ العبدُ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، فإنه يَلْزِمُهُ تَرْكُ الرِّفْثِ؛ وهو: كُلُّ ما يَتَعَلَّقُ بِالجماعِ، فيلْزِمُهُ حِفْظُ بَصَرِهِ عَنِ النَّظَرِ المَحْرَمِ، وكذلك حِفْظُ لسانِهِ عَنِ الكلامِ الفَاجِسِ، وأيضًا يَلْزِمُهُ تَرْكُ الفسوقِ؛ وهي الذنوبُ والمعاصي، قال تعالى: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]^(٢).

ومن فضائلِ الحِجِّ أَنَّ الحَجَّ يَهْدِمُ ما قَبْلَهُ مِنَ الذنوبِ والمعاصي.

ففي «صحيح مسلم»^(٣) من حديثِ عمرو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: لَمَّا جَعَلَ اللهُ الإسلامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ لِأَبَايَعَكَ. فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَحَبَسْتُ يَدِي. قَالَ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو»، قَالَ: قُلْتُ أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: «تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟». قُلْتُ أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإسلامَ يَهْدِمُ ما كانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الهِجْرَةَ

(١) رواه البخاري (١٨٢٥)، ومسلم (١٣٥).

(٢) المسالك في شرح موطأ مالك (٤/ ٣٤٣).

(٣) رواه مسلم (١٢١).

تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ.

ومن فضائل الحج أن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة وهل بعد الجنة من جزاء؟!!!

ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور، ليس له جزاء إلا الجنة».

والآن حديثي عن العمرة فهي واجبة على الصحيح لأن الله ﷻ قرّن بين الحج والعمرة بقوله: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وفي «صحيح البخاري» معلقاً ووصله الشافعي كما قال ابن حجر في «الفتح»^(٢) من حديث ابن عباس رضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه قال: «إنها لقريبتها في كتاب الله».

وأخرج «البخاري» - أيضاً - معلقاً بصيغة الجزم ووصله ابن خزيمة، والدارقطني، والحاكم كما قال ابن حجر في «الفتح»^(٣) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «ليس أحدٌ إلا وعليه حجة وعمرة».

وفي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، صححه الألباني في «الإرواء»^(٤)، من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، هل على النساء من جهاد؟ قال: «عليهن جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة».

قال ابن خزيمة رحمه الله في قوله ﷺ: «عليهن جهاد لا قتال فيه»: وإعلامه أن الجهاد

(١) رواه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٦٩).

(٢) رواه البخاري (٥٩٧ / ٣ - الفتح)، ووصله الشافعي كما قال ابن حجر.

(٣) رواه البخاري (٥٩٧ / ٣ - الفتح) ووصله ابن خزيمة، والدارقطني، والحاكم، كما قال ابن حجر.

(٤) (صحيح) أخرجه أحمد (١٥٦ / ٦)، وقال الألباني في «الإرواء»: «إسناده صحيح».



الذي عليهنَّ الحَجُّ والعمرةُ بيانُ أنَّ العمرةَ واجبةٌ كالحجِّ؛ إذ ظاهرُ قوله: «عليهنَّ» أنه واجبٌ، إذ غَيْرُ جائزٍ أن يُقالَ: على المرءِ ما هو تطوُّعٌ غَيْرٌ واجبٍ»^(١).

وأخرج أبو داودَ في سُنَنِهِ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح أبي داود»^(٢) من حديثِ الصبيِّ بنِ معبدٍ قال: «أتيتُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، إني أسلمتُ، وأنا حريصٌ على الجهادِ، وإني وجدتُ الحَجَّ والعمرةَ مكتوبينِ عليَّ، فاتيتُ رجُلًا من قومي، فقال: اجتمعهما واذبح ما تيسَّرَ من الهدي، وإني أهلتُ بهما معًا. فقال عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «هَدَيْتَ لِسُنَّةِ نَبِيِّكَ ﷺ».

وأخرج البخاريُّ في «صحيحه»^(٣) من حديثِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «أتاني الليلةَ آتٍ من ربِّي - وهو بالمعيقِ - أن صلِّ في هذا الوادي المبارك، وقل: «عُمْرَةٌ فِي حِجَّةٍ».

قال النووي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وهي - أي: العمرةُ - واجبةٌ على المَذْهَبِ الصحيحِ، ولا تَجِبُ هي والحجُّ في العُمْرِ إلا مرةً واحدةً»^(٤).

وفضائلُ العمرةِ كثيرةٌ فمنها:

ما جاء في «الصحيحين»^(٥) من حديثِ أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «العمرةُ إلى العمرةِ كفارةٌ لما بينهما، والحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلا الجنةُ».

(١) انظر «صفة العمرة» لأشرف عيد المقصود (١٤).

(٢) (صحيح) أخرجه أبو داودَ (١٧٩٨)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح أبي داود» (١٥٨٢).

(٣) رواه البخاريُّ (٧٣٤٣).

(٤) الإيجازُ في المنايِكِ (٤٠).

(٥) تَقَدَّمَ تخريجُهُ.

وفي سنن ابن ماجه بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح ابن ماجه»^(١) من حديث عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: «تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإن المتابعة بينهما تنفي الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد».

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «عمرة في رمضان تعدل حجة معي».

قال ابن الأعرابي رحمه الله: «حديث العمرة هذا صحيح، وهو فضل من الله ونعمة فقد أدركت العمرة منزلة الحج بانضمام رمضان إليها»^(٣).

ويا لله كم هي الأجور العظيمة للحاج والمعتمر من وقت خروجه من بيته حتى يعود إليها فهو في عبادة إن قام أو قعد أو مشى أو ركب أو استيقظ أو نام، أو سار في سفره أو أقام، أو كان في ذكر أو دعاء أو صلاة، أو في راحة أو غفلة أو سبات، ولا فرق بين كونه سائرا في الطريق، أو واصلا إلى البيت العتيق، أو في عشرة الصحاب والملازم والرفيق، فكل ما هو فيه من جميع أحواله: فهو متقرب به إلى مولاه راج لنواله، «ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئا يغيظ الكفار ولا يتألون من عدو نبلا إلا كئيب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين» ﴿١٢٠﴾ [التوبة: ١٢٠].

وأخرج الطبراني في «الأوسط» بسند حسن حسنه الألباني في «صحيح الجامع»^(٤) من

(١) (صحيح) أخرجه ابن ماجه (٢٨٨٧)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٢٣٢٤).

(٢) رواه البخاري (١٧٧٢)، ومسلم (١٢٥٦).

(٣) نقله عنه ابن ماجه في سننه (٦٨ / ٣).

(٤) (حسن) أخرجه الطبراني (١٣٥٦٦) وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٣٦٠).



حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أما خروجه من بيتك تؤم البيت الحرام فإن لك - ونحك - بكل وطأة تطؤها راحلتك يكتب الله لك بها حسنة ويمحو عنك بها سيئة؛ وأما وقوفك بعرفة فإن الله ﻻ ينزل إلي السماء الدنيا فيباهي بهم الملائكة فيقول: هؤلاء عبادي جاءوني شعثا غبرا من كل فج عميق يرجون رحمتي ويخافون عذابي ولم يروني فكيف لو رأوني؟ فلو كان عليك مثل رمل عالج (أي: ما تراكم من الرمل)، ودخل بعضه في بعض) أو مثل أيام الدنيا أو مثل قطر السماء ذنوبا غسلها الله عنك؛ وأما رميك الحمار فإنه مذخور لك؛ وأما حلقك رأسك فإن لك بكل شعرة تسقط حسنة فإذا طفت بالبيت خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك».

فيا ونح من فاته هذا الخير العظيم والشرف العظيم ويا ونح من أدركته حجة الإسلام ثم لم يحج فمن أنكر فريضة الحج فقد كفر، ومن أقر بها وتركها تهاونا فهو على الخطر، فإن الله يقول بعد ذكر إيجابه على الناس: «ومن كفر فإن الله غني عن العالمين» ﴿٣٧﴾ [آل عمران: ٩٧].

قال القرطبي: قال علماؤنا: تضمنت الآية أن من مات ولم يحج وهو قادر، فالوعيد يتوجه إليه، ولا يجزي أن يحج عنه غيره؛ لأن حج الغير لو أمسقط عنه الفرض لسقط عنه الوعيد^(١).

وقال الإمام ابن القيم رحمته الله: (من ترك الحج عمدا مع القدرة عليه حتى مات، أو ترك الزكاة فلم يخرجها حتى مات، فإن مقتضى الدليل وقواعد الشرع: أن فعلهما عنه بعد الموت لا يبرئ ذمته، ولا يقبل منه، والحق أحق أن يتبع)^(٢).

(١) تفسير القرطبي (٤ / ١٤١).

(٢) تهذيب سنن أبي داود (٨ / ٤٥٥).

فَمَنْ فَاتَهُ حَجُّ هَذَا الْعَامِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَدْخِرَ الدِّينَارَ وَالدِّرَاهِمَ لِلْعَامِ الْقَادِمِ.

قال الشافعي: **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ حِكَايَةً عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾** (١)، فعلم أن تعجيل العبادة سبب الرضوان، (١).

وقال ابن القيم **بَيِّنَةٌ**: «سمعتُ شيخَ الإسلامِ يقول: رضا الربِّ سبحانه في العجلة إنِّي أوامره» (٢).

فصوِّبَ لِمَنْ بَادَرَ إِلَى الْحَجِّ بَعْدَ تَوْفُرِ شَرْطِيهِ؛ ففِي مَسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحْحَةُ الْأَلْبَانِيِّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٣) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**: «تَعَجَّلُوا إِلَى الْحَجِّ - يَعْني الْقَرِيضَةَ - فَإِنْ أَحَدَكُمْ لَا يَذِرِي مَا يَعْرِضُ لَهُ».

وهيئاً لِمَنْ وَقَّعَهُ اللَّهُ لَضِيافَتِهِ ففِي سَنَنِ ابْنِ مَاجَةَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ حَسَنَةُ الْأَلْبَانِيِّ فِي «صَحِيحِ ابْنِ مَاجَةَ» (٤) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** عَنِ النَّبِيِّ **ﷺ** قَالَ: «الغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَاجُّ، وَالْمُعْتَمِرُ وَقَدْ أَتَى اللَّهَ، دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ، وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ».

اللَّهُمَّ فَتَقِنَّا فِي الدُّنْيَا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَشْرِكَ بِكَ وَنَحْنُ نَعْلَمُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ.

اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا، وَعَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَزِدْنَا عِلْمًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا.

(١) «الغزوة المنيفة» (٣١).

(٢) «مدارج السالكين» (٦٠ / ٣).

(٣) (صحيح) أخرجه أحمد (١ / ٣١٢) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢٥٧).

(٤) (حسن) أخرجه ابن ماجه (٢٨٩٣) وحسنه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٢٣٣٩).



اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ بِأَنَّكَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، أَنْ تَغْفِرَ لَنَا ذُنُوبَنَا، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ [وَوَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ] [الْمَنَّانُ] يَا
بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ.
وَسُبْحَانَكَ اللَّهُ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



أولئك الذين

١٤٠

ة ضويبا بـ CamScanner



مراتب الإيمان

بِرَّ عَفَا النَّسَاءُ

١٤٢

ة ضويب بـ CamScanner



المرتبة الأولى: الإيمان بالله

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١١٢] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً. وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣-٧].

أما بعد: فإنَّ أصدقَ الحديثِ كلامُ اللهِ، وخَيْرُ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صلى اللهُ عليه وعلى آله وسلم - وَشَرُّ الأمورِ مُخَدَّنَاتُهَا وَكُلُّ مُخَدَّنَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعدُ: فحديثي اليوم عن (الإيمان بالله).

والإيمان بالله ﷻ هو أهمُّ أصولِ الإيمانِ، وأعظمُها شأنًا، وأعلاها قدرًا، وأوَّلُ ركنٍ من أركانِ الإيمانِ السُّتَّةِ قال اللهُ ﷻ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وفي «صحيح مسلم» من حديثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ المشهورِ بحديثِ جبريلَ «أَنَّ جبريلَ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُوَمَّنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ،

وكتبه، ورسليه، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره،^(١).

فهذه أصول ستة عظيمة يقوم عليها الإيمان، بل لا إيمان لأحد إلا بالإيمان بها، وهي أصول مترابطة متلازمة، لا ينفك بعضها عن بعض، فالإيمان ببعضها مستلزم للإيمان بباقيها، والكفر ببعضها كفر بباقيها.

والإيمان بالله ﷻ هو الإيمان بوحديته سبحانه في ربيته وألوهيته، وأسمائه وصفاته، فهذه أصول ثلاثة يقوم عليها الإيمان بالله، بل إن الدين الإسلامي الحنيف إنما سُمي توحيداً لأنّ مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وأسمائه وصفاته لا نظير له، وواحد في ألوهيته وعبادته لا ندّ له.

ويتضمن الإيمان بالله الإيمان بوحديته ﷻ ويكفي في ذلك شهادته على نفسه بذلك ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]. فكرر الشهادة به في هذه الآية؛ وأخبر أنّ ملائكته، وأولي العلم شهدوا له بذلك ﷻ.

وأخبر أنّه بعث بهذه الشهادة الرسل جميعهم، فقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٥]، فبيّن في هذه الآية وأمثالها أنّ الإلهية هي العبادة؛ فإنّ الإله هو المألوه الذي تأله القلوب، محبةً، وتعظيمًا، وتذللاً، وخضوعًا، وتوكلًا، ورجبةً إليه، ورهبةً، وخوفًا، ورجاءً، وغير ذلك من أنواع العبادة.

قال تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ

(١) رواه مسلم (٨).



كُلِّ شَيْءٍ وَكَيْلٌ ﴿١٧٢﴾ [سورة الأنعام آية: ١٧٢]، وَبَيْنَ تَعَالَى مَا تَضَمَّتْهُ هَذِهِ الشَّهَادَةُ مِنْ التَّقْيِ وَالْإِبْرَاتِ بِقَوْلِهِ، عَنْ خَلِيلِهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ: ﴿إِنِّي بَرَاءَةٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿١٧٣﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿١٧٤﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٥﴾ [سورة الزُّخْرُفِ آية: ١٧٥-١٧٨].

والكلمة هي: لا إله إلا الله، فعبر عنها الخليلُ بمعناها، فنقَى ما نفثه هذه الكلمة من الشرك في العبادة، بالبراءة من كل ما يُعْبَدُ من دونِ الله، واستثنى الذي فَطَرَهُ، وهو الله سبحانه الذي لا يَضْلُحُ من العبادة شيءٌ لغيره، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُضَلَّوْنَ﴾ [سورة هود آية: ٢٢]، فقوله: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة هود آية: ٢٢]، فيه معنى: لا إله، وقوله: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ [سورة هود آية: ٢٢]، هو المستثنى في هذه الكلمة العظيمة، وفي هذه الآيات نقى الإلهية عما سوى الله، نفيًا عامًا، وأثبت الإلهية له وحده، دون كل ما سواه.

وقد دلَّت الأدلة على وحدانية الله فمن تلك الأدلة:

دلالة الفطرة:

والفطرة هي الإسلام فكلُّ مخلوقٍ قد فُطِرَ على الإيمانِ بخالقه من غير سبِّ تفكيرٍ أو تعليم بل هي الميثاق الذي أخذهُ اللهُ ﷻ على الناس، قال اللهُ ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ ﴿١٧٣﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣]، وقال اللهُ ﷻ: ﴿فَأَقْرَعْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ [الروم: ٣٠]، وفي «الصحیحین» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفطرة فأبواه يهودونه، ويُنصرانه

وَمَجْسَانِهِ كَمَا تُشْجُ الْبَهِيمَةُ بِبَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ هَلْ تُحْسُونَ فِيهَا جَدْعَاءَ». ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ:
اقْرَأُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (١).

قال ابن القيم رحمه الله: «كُلُّ مولودٍ يولدُ على فطريته، وإقراره له بربوبيته، وادعائه له بالعبودية، فلو خلِّي وعُدِمَ المعارضُ لم يعدلُ عن ذلك إلى غيره، كما أنه يولدُ على محبة ما يلائمُ بدنه من الأغذية، والأشربة، فيشتهي اللبن الذي يناسبُه ويُغذِّيه» (٢).

ومما يدلُّ على الإيمان بالله دلالَةُ الشَّرْعِ والكتبِ السماويةِ كُلِّها تنطقُ بذلك، وما جاءت به من الأحكامِ العادلةِ المتضمنةِ لمصالحِ الخلقِ؛ دليلٌ على أنها من ربِّ حكيمٍ عليمٍ بمصالحِ خلقه، وما جاءت به من الأخبارِ الكونيةِ التي شهَدَ الواقعُ بصدقها؛ دليلٌ على أنها من ربِّ قادرٍ على إيجادِ ما أخبر به.

ومن تلك الأدلة التي تدلُّ على الإيمان بالله دلالَةُ الحِسِّ فأما الحِسُّ على وجودِ الله؛ فمن وَجْهَيْنِ: أحدهما: أننا نسمعُ ونشاهدُ من إجابةِ الداعين، وغوثِ المكروبين، ما يدلُّ دلالَةً قاطعةً على وجودِهِ تعالى، قال اللهُ سبحانه: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ،﴾ [سورة الأنبياء: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال: ٩].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أصابتِ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَبَيْنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَخْطُبُ فِي يَوْمٍ جُمُعَةٍ قَامَ أَغْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَ الْمَالُ وَجَاعَ الْعِيَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا. فَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَرَعَةً، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا وَضَعَهَا حَتَّى تَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ

(١) رواه البخاري (٦٥٩٩)، ومسلم (٢٠٤٧).

(٢) شفاء العليل لابن القيم (٥٧٩).



فَصَبْرًا يَوْمَ ذُنُوبِكُمْ وَمِمَّا يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ رِزْقًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَالَّذِي يُدْعَىٰ لِلْحَيْثُومِ أَلْحَمُومٍ، وَمِمَّا
ذُكِرَ الْأَخْرَاجُ، أَوْ ذُنُوبٌ حَبِيرَةٌ، فَغَالٍ بِأَرْسُولِ اللَّهِ تَهْدِمُ السَّمَاءَ وَتُخْرِقُ الْعَمَالَ، فَادْعُ اللَّهَ لِنَا
فَرْغِهِ بِمَدِينِهِ مَذْرُوبِ اللَّهِ حَوَالِنَا وَلَا عِلْمُنَا، لِمَا يُسِيرُ بِنَدْوِهِ إِلَىٰ نَاحِيَةِ مِنَ السَّحَابِ بِأَلَا
تَفْرَحُكَ، وَصَارَتْ التَّحْيِينَةُ بِمَثَلِ الْمُجُوزِيَّةِ وَمَسَالِ الْوَادِي فَتَأْتِي شَهْرًا وَالْمَجْمُوعِينَ أَحَدًا مِنْ
نَاحِيَةٍ بِأَلَا خَدْتُ بِالْمَجُودِ (١). وَمَا زَالَتْ إِجَابَةُ الدَّاعِينَ أَمْرًا مَشْهُودًا إِلَىٰ بَوْمِنَا هَذَا لِغِنَى
صَدَقِ النَّجْوَةُ إِلَىٰ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَتَىٰ بِشَرَائِطِ الْإِجَابَةِ (٢).

ومن الأدلة على وجود الله تعالى وانفرادِهِ بالربوبية وكمالِ قدرته على الخلق
وسيطرته عليهم، دلالة العقلِ وذلك عن طريقِ التَّنْظِيرِ والتفكيرِ في آياتِ الله الدالةِ عليه.
وللتنظيرِ في آياتِ الله والاستدلالِ بها على ربوبيته طرقٌ كثيرةٌ بحسبِ تنوعِ الآياتِ
وأشهرُها طريقتان:

الطريقُ الأولُ: النظرُ في آياتِ الله في خَلْقِ النَّفْسِ البشريةِ وهو ما يُعرَفُ بـ (دلالةِ
الأنفسِ)، فالنفسُ آيةٌ من آياتِ الله العظيمةِ الدالةِ على تَفَرُّدِ اللَّهِ وَحْدَهُ بِالرَّبُوبِيَّةِ لَا
شَرِيكَ لَهُ، كما قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفِكُمْ أَفَلًا يَبْصُرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الدَّارِيَّةُ: ١٧]، وقال تعالى:
﴿وَتَقْسِرُ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾﴾ [النَّاسُ: ٧]، ولهذا لو أَنَّ الْإِنْسَانَ أَمَعَنَ النَّظَرَ فِي نَفْسِهِ وَمَا فِيهَا
من عجائبِ صنْعِ اللَّهِ لَأَرْشَدَهُ ذَلِكَ إِلَىٰ أَنْ لَهُ رَبًّا خَالِقًا حَكِيمًا خَبِيرًا، إِذْ لَا يَسْتَطِيعُ
الْإِنْسَانُ أَنْ يَخْلُقَ النُّطْفَةَ الَّتِي كَانَ مِنْهَا، أَوْ أَنْ يُحَوِّلَهَا إِلَىٰ عِلْقَةٍ، أَوْ يُحَوِّلَ الْعِلْقَةَ إِلَىٰ
مُضْغَةٍ، أَوْ يُحَوِّلَ الْمُضْغَةَ عِظَامًا، أَوْ يَكْسُوَ الْعِظَامَ لِحْمًا.

الطريقُ الثاني: النظرُ في آياتِ الله في خَلْقِ الْكَوْنِ وهو ما يُعرَفُ بـ (دلالةِ الآفاقِ)،

(١) رواه البخاري (٣١٣)، ومسلم (٨٩٧).

(٢) تَبْدَأُ فِي الْعَبِيدَةِ (٣٦).

وهذه كذلك آية من آياتِ الله العظيمة الدالة على ربوبيته، قال الله تعالى: ﴿سَتْرِيهِمْ
ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فُصِّلَتْ: ٥٣].

أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى:

دَلَّتْ أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتُهُ الْعُلَا عَلَى أَنَّهُ الْمَعْبُودُ وَحَدُّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ
أَسْمَاءَهُ الْحُسْنَى، وَصِفَاتِهِ الْعُلَا يَدُلُّانِ: عَلَى كَمَالِهِ وَجَلَالِهِ وَعَظَمِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ هُوَ الْمَعْبُودُ
وَحَدُّهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رَبُوبِيَّتِهِ وَأَوْهِيَّتِهِ، وَأَنَّ الْعِبَادَةَ لَا يَصْلُحُ مِنْهَا شَيْءٌ لِمَلِكٍ مَقْرَبٍ،
وَلَا نَبِيٍّ مَرْسَلٍ فَضْلًا عَمَّنْ دُونَهَا، وَمَنْ تَمَّ نَسْتِطِيعُ الْجَزْمَ بِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَوْ قَدَّرُوا اللَّهَ حَقَّ
قَدْرِهِ، لَمَا وَقَعُوا فِي عِبَادَةِ غَيْرِهِ، وَعَدَّلُوا بِهِ سِوَاهُ، مَعَ أَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ عِبَادَةِ الْخَالِقِ وَعِبَادَةِ
لِلْمَخْلُوقِ، كَالْفَرْقِ بَيْنَ الْخَالِقِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَالْمَخْلُوقِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

ولهذا الإيمان ثمرات فمن ثمراته:

الأمْنُ التامُّ والاهتداءُ التامُّ:

فِيحَسَبِ الْإِيمَانِ يَحْصُلُ الْأَمْنُ وَالْإِهْتِدَاءُ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْبَرَزَخِ وَالْآخِرَةِ قَالَ عِبْرَةَ:
﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

ومن ثمرات الإيمان بالله:

طَاعَةُ اللَّهِ ﷻ: فَاللَّهُ أَمَرَنَا بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَطَاعَتُهُ وَاجِبَةٌ، وَهِيَ أَضَلُّ كُلِّ خَيْرٍ، قَالَ -
تعالى -: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن قَبْلِهِ مِن سَبِيلٍ وَأَنصِتُوا لِقَوْلِ الرَّسُولِ
وَأَلَسْبَابِ﴾ [البقرة: ١٣٦].

ومن ثمرات الإيمان الاستخلافُ في الأرضِ والتمكينُ والعزةُ: قَالَ عِبْرَةَ: ﴿وَعَدَّ
اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ﴾ [البقرة: ١٣٦].

ضويب ب - CanisCanini



قَلِيلِهِمْ وَلِيَمَّكُنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَطْبِهِمْ أَمْثًا ﴿ [النور: ٥٥].

ومن ثمرات الإيمان دخول الجنان والنجاة من النيران: قال - تعالى - ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [محمد: ١٢].

ومن ثمرات الإيمان الحياة الطيبة: فالحياة الطيبة الحافلة بكل ما هو طيب - إنما هي ثمرة من ثمرات الإيمان بالله ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاتًا طَيِّبَةً﴾ [التخل: ٩٧].

قال ابن كثير ﷻ في شرح هذه الآية: وهذا وعد من الله ﷻ لمن عمل صالحا وهو العمل المتابع لكتاب الله ﷻ وسنة نبيه من ذكر أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وأن هذا الأمر به مشروع من عند الله بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الآخرة.

والحياة الطيبة تشتمل على وجوه الراحة من أي جهة كانت.

ومن ثمرات الإيمان حلول الخيرات ونزول البركات: قال ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَأَتَقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

ومن ثمرات الإيمان الهداية لكل خير: قال - تعالى - ﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١٧].

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِيكَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾ [يونس: ٩].

ومن ثمرات الإيمان زيادته والثبات عليه: فالمؤمنون يتقلبون من نعمة إلى نعمة، وأعظم نعمة يجدونها من الإيمان بالله هي أن يثبتهم الله على الحق، ويزيد إيمانهم، فالثبات على

أركان عقيدة الإسلام

١٥٠

الإيمان سبب لزيادته قال ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ هَمَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ نَقَوْنَهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

ومن ثمرات الإيمان الفوز بولاية الله ﷻ: وأكرم بها من ولاية، قال - تعالى - : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكٰفِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١].

ومن ثمرات الإيمان السلامة من الخسران: قال - تعالى - : ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِٖٓ خَسِرٌ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ وَتَوَّصَّوْا بِٱلْحَقِّ وَتَوَّصَّوْا بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١-٣].

ومن ثمرات الإيمان أنه سبب للدفاع الله عن أهله: قال ﷺ: ﴿إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ دَفْعٌ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحج: ٣٨].

ومن ثمرات الإيمان تكفير السيئات: قال - تعالى - : ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ وَءَامَنُوا بِمَا نَزَّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢].

ومن ثمرات الإيمان الرفعة والعلو: قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ ءَاتَوْا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

ومن ثمرات الإيمان إخلاص العمل: فلا يمكن للعبد أن يقوم بالإخلاص لله، ولعباد الله، ونصيحتهم على وجه الكمال إلا بالإيمان.

ومن ثمرات الإيمان قوة التوكل: فالإيمان بالله يوجب للعبد قوة التوكل على الله، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

ومن ثمرات الإيمان الشجاعة: فالإيمان بالله يبعث على الشجاعة والإقدام، لأنه يملأ قلب المؤمن بالخوف من الله، والخشية له، وتعظيمه، وإجلاله. وإذا كان كذلك ذهب خوف الخلق من قلبه كليلته؛ فالجزاء من جنس العمل؛ فمن خاف الله آمنه من كل شيء، وجعل مخاوفه أننا والعكس بالعكس.

ضويبا بـ CamScanner

ومن ثمرات الإيمان حُسْنُ الخُلُقِ: فالإيمان يدعو إلى حُسْنِ الخُلُقِ مع جميع طبقات الناس، وإذا ضَعُفَ الإيمانُ أو نَقَصَ أو انْحَرَفَ أَثَّرَ ذلك في أخلاقِ العبيد انحرافًا يَحَسِبُ بُعْدِهِ عن الإيمانِ.

ومن ثمرات الإيمان الإحسانُ على تحمُّلِ المَشَاقِّ: فالإيمانُ أَكْبَرُ عونٍ على تحمُّلِ المَشَاقِّ، والقيامُ بالطاعاتِ، وتركُ الفواحشِ والمنكراتِ.

ومن ثمرات الإيمان الذِّكْرُ الحَسَنُ: فالإيمانُ يوجبُ لصاحبه أن يكونَ مُعْتَبَرًا عند الخَلْقِ أمينًا.

ومن ثمرات الإيمان عِزَّةُ النفسِ: فالإيمانُ يوجبُ للعبدِ العِيقَةَ، وعِزَّةَ النفسِ، والترَفُّعَ عن إراقَةِ ماءِ الوَجْهِ؛ تَذَلُّلاً للمخلوقين.

ومن ثمرات الإيمان أن الإيمانَ هو السَّبَبُ الوحيدُ للقيامِ بذِوَرَةِ سِنَامِ الإسلامِ وهو الجِهادُ البدنيُّ والماليُّ والقوليُّ في سبيلِ الله.

هذا شيءٌ من ثمرات الإيمان، وبالجملة فخيرُ الدنيا والآخرة كُلُّهُ قَرَعٌ عن الإيمانِ، ومُتَرَتِّبٌ عليه، والهلاكُ والتَّقْصَانُ إنما يكونُ بِقَعْدِ الإيمانِ أو نَقْصِهِ^(١).

اللهم عَلِّمْنَا الكتابَ والحكمةَ وفقِّهْنَا في الدين. اللهم أَصْلِحْ لنا دِينَنَا الذي هو عِصْمَةُ أَمْرِنَا وَأصْلِحْ لنا دُنْيَانَا التي فيها معاشُنَا، وَأصْلِحْ لنا آخِرَتَنَا التي فيها معادُنَا، واجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لنا من كُلِّ خَيْرٍ والموتَ راحَةً لنا من كُلِّ شَرٍّ.

وسبحانَكَ اللهُ وبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.

(١) انظر تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، لابن سعدي، ١٣٠ - ١٣٦ ورسائل الحمد (٦٦).

المرتبة الثانية: الإيمان بالملائكة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [ال عمران: ٧٢]، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٨﴾﴾ [الأحزاب: ٣-٧٨].

أما بعد: فإنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي الآن عن الإيمان بالملائكة والإيمان بالملائكة هو الرُّكْنُ الثَّانِي من أركان الإيمان، والذي لا يَصِحُّ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يُقَرَّ بِهِ، فَيُؤْمِنَ بِوُجُودِهِمْ، وَبِمَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ صِفَاتِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ.

قال الله ﷻ: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وفي «صحيح مسلم» من حديثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الْمَشْهُورِ بِحَدِيثِ جَبْرِيلَ «أَنَّ



جبريل سأل النبي ﷺ فقال: أخبرني عن الإيمان، قال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» (١).

وقد حَكَمَ اللهُ ﷻ بِالْكَفْرِ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ وجودَ الملائكة، ولم يؤمن بهم، فقال - تبارك وتعالى -: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء: ١٣٦).

وأما عن صفاتهم ومما خلقوا فهم مخلوقون من النور، لا يوصفون بأثوثة ولا ذكورة، مُسَرُّونَ لِلطَّاعَاتِ، مَعْصُومُونَ مِنَ الْمَعَاصِي مُسَخَّرُونَ بِإِذْنِ اللهِ فِي شُؤُونِ الْخَلْقِ وَتَدْبِيرِ الْكَوْنِ، وَحِفْظِ الْعِبَادِ، وَكِتَابَةِ أَعْمَالِهِمْ، أَمْنَاءُ عَلَى الْوَحْيِ فِي حِفْظِهِ وَتَبْلِيغِهِ، وَتَمَيِّزُونَ فِي أَصْلِ خَلْقَتِهِمْ وَتَكْوِينِهِمْ عَنِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ. كما أَنَّ لِكُلِّ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ خَصَائِصَهُمَا الَّتِي يَتَمَيَّزُ بِهَا أَحَدُ الْجِنْسَيْنِ. قال اللهُ ﷻ: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيَسْأَلُونَ﴾ (١١).

وفي «صحيح مسلم» من حديث عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ - أَي: اللَّهَبُ الْمُخْتَلِطُ بِسَوَادِ النَّارِ - مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ» (٢).

وقد يتحول المَلَكُ بِأَمْرِ اللهِ ﷻ إِلَى هَيْئَةِ رَجُلٍ، كما جَاءَ جَبْرِيْلُ ﷻ إِلَى مَرْيَمَ فتمثل لها بشرًا سويًا، وجاء إلى رسولِ اللهِ ﷺ بِصِفَةِ رَجُلٍ شَدِيدِ بَيَاضِ الشَّيْبِ شَدِيدِ سَوَادِ الشَّعْرِ، وَكَذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ اللهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَلُوطٍ ﷻ كَانُوا عَلَى صُورَةِ بَشَرٍ.

(١) رواه مسلم (٨).

(٢) رواه مسلم (٢٢٩٤).

أما صورتهم الحقيقية، فهم موصوفون بعظم الأجسام والخلق. ففي «صحيح مسلم» من حديث عائشة رضي الله عنها وقد سألت النبي ﷺ عن معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ ٢٣﴾ [التكوير: ٢٣] فقال: «إنما هو جبريلُ لم أره على صورته التي خُلِقَ عليها غيرَ هاتين المرّتين رأيتُه مُنْهَيطاً من السماءِ ساداً عِظْمُ خَلْقِهِ ما بينَ السماءِ إلى الأرضِ»^(١).

ولهم أجنحة قال الله ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِةِ رُسُلًا أُولَئِكَ أَجْنَحٌ مَّتَنٌ وَرُتِعَ بَرِيدٌ فِي الخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر الآية: ١].

ورأى النبي عليه الصلاة والسلام جبريل على صورته الحقيقية وله ستمائة جناح جاء ذلك في «الصحيحين» عن ابن مسعود أن النبي ﷺ رأى جبريل في صورته وله ستمائة جناح^(٢).

ومن صفاتهم القوة والحسن والجمال فهم على درجة عالية من ذلك. قال تعالى في حق جبريل ﷺ: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى ٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ٦﴾ [النجم: ٥، ٦] قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ذو مِرَّةٍ: ذو منظرٍ حسنٍ»^(٣).

وقد تقرّر عند الناس وُصفُ الملائكة بالجمال، كما تقرّر عندهم وُصفُ الشياطين بالقبح، ولذلك تراهم يُشَبَّهون الجميل من البشر بالملك، انظر إلى ما قالته النسوة في يوسف الصديق عندما رأينه: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَسْبُ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٢١﴾ [يوسف: ٢١]. وأما عن عددهم لا يعلمهم إلا الله

(١) (صحيح) أخرجه الترمذي (٣٠٦٨) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٣٦٢).

(٢) البخاري (٤٨٥٧)، ومسلم (١٧٤)، والترمذي (٣٢٧٧).

(٣) أخرجه ابن جرير (٤٢ / ٢٧) حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، به بلفظ «ذو منظر حسن».



الذي خَلَقَهُمْ، فهم كثيرون جداً، منهم ملائكة صفوف لا يفترون، وقيام لا يركعون، وركع وسجد لا يرفعون، ومنهم غير ذلك: ﴿وَمَا يَفْلَهُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣١]. وفي «صحيح مسلم» من حديث أنس رضي الله عنه في قصة المعراج «أن النبي عليه الصلاة والسلام رُفِعَ له البيت المعمور في السماء يَدْخُلُهُ يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه» (١).

روى الإمام أحمد والترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون. أظت السماء وحق لها أن تبتط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولما تلذذتم بالنساء على الفراشات ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى» فقال أبو ذر: والله لو ددت أني شجرة تُغصد (٢).

وأما عن عبادتهم وكمال طاعتهم وانقيادهم فكما وصفهم الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الاعراف: ٢٠٦]، وقال: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [يس: ١١] يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ [الأنبياء: ٢٠-٢١].

والإيمان بالملائكة يتضمّن أموراً منها:

الإقرار بوجودهم والتصديق بهم كما دلّت على ذلك النصوص المتقدمة من أنّ الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان فلا يتحقق الإيمان إلا بذلك.

(١) رواه مسلم (١٦٤).

(٢) (حسن) رواه أحمد (٢١٥٥٥)، والترمذي (٢٣١٢) وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٤٤٩).

ويتضمن الإيمان بالملائكة الإقرار لهم بمقاماتهم العظيمة عند ربهم وكرمهم عليه وشرفهم عنده كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿١٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٦، ١٧]، وقال جلّ وعلا: ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [عبس: ١٥، ١٦].

فوصفهم بأنهم مكرمون منه ﷻ وقال تعالى في حقهم: ﴿ فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْتَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فصلت: ٢٨] فوصفهم بأنهم عنده وهذا تشريف لهم، مع مقام التعبد له بلا سامة، كما أنه تعالى أقسم بهم في غير موطن من كتابه وهذا نشرفهم عنده. فقال: ﴿ وَالصَّغِيرَاتِ صَفًا ﴿١﴾ وَالْحَجَرَاتِ زَوَاجًا ﴿٢﴾ فَالَّتِلْكَ ذِكْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الصافات: ١-٣]. وقال ﷻ: ﴿ فَالْفَرَقَاتِ فَرَقًا ﴿١﴾ فَالْمَلَائِكَةِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ ﴾ [المزملات: ٥، ١].

ويتضمن الإيمان بالملائكة:

اعتقاد تفاضليهم وعدم تساويهم في الفضل والمنزلة عند الله على ما دلّت على ذلك النصوص: قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَكِينٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال ﷻ: ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [النساء: ١٧٢].

فأخبر أن منهم مضطفين بالرسالة ومقرّين، فدلّ على فضليهم على غيرهم. وأفضل الملائكة: المقرّبون مع حملة العرش. وأفضل المقرّبين الملائكة الثلاثة الواردين ذكرهم في دعاء النبي ﷺ الذي كان يفتتح به صلاة الليل فيقول كما جاء في «صحيح مسلم» عن عائشة رضي الله عنها: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَطَافَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالَمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنْ

الْحَقُّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^(١).

وأفضل الثلاثة جبريل عليه الصلاة والسلام وهو الموكَّل بالروحي، فَشَرَفَهُ بِشَرَفِ وَظِيْفَتَيْهِ. وقد ذَكَرَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ بِمَا لَمْ يَذْكَرْ غَيْرُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَسَمَاهُ بِأَشْرَفِ الْأَسْمَاءِ، وَوَصَفَهُ بِأَحْسَنِ الصِّفَاتِ. فَمِنْ أَسْمَائِهِ الرُّوحُ: قَالَ تَعَالَى: ﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ ۝ ﴾ [الشعراء: ١٩٣]. وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ نَزَّلْنَا الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا ۝ ﴾ [القدر: ١].

وقد وَرَدَ هَذَا الْأِسْمُ مُضَافًا إِلَى اللهِ تَعَالَى إِضَافَةً تَشْرِيفٍ. قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَآزَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝ ﴾ [مريم: ١٧]. وَوَرَدَ مُضَافًا إِلَى الْقُدُّسِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُّسِ مِنْ رَبِّكَ ۝ ﴾ [التنخيل: ١٧] وَالْقُدُّسُ هُوَ اللهُ عَلَى الصَّحِيحِ مِنْ أَقْوَالِ الْمُفَسِّرِينَ. وَمِمَّا جَاءَ فِي وَصْفِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ﴾ [ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ مُطَاعٌ ثُمَّ أَمِينٌ ۝] [التكوير: ١٩ - ٢١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ۝ ﴾ [النجم: ٥، ٦] فَوَصَفَهُ اللهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ رَسُولٌ وَأَنَّهُ كَرِيمٌ عِنْدَهُ، وَأَنَّهُ ذُو قُوَّةٍ وَمَكَانَةٍ عِنْدَ رَبِّهِ سَبْحَانَهُ، وَأَنَّهُ مُطَاعٌ فِي السَّمَاوَاتِ، وَأَنَّهُ أَمِينٌ عَلَى الرَّوْحِيِّ وَأَنَّهُ ذُو مِرَّةٍ (أَي مَظْهَرٍ حَسَنٍ).

وَيَتَضَمَّنُ الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ:

مَوَالِيَتُهُمْ وَالْحَذَرُ مِنْ عِدَاوَتِهِمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۝ ﴾ [التوبة: ٧١] فَدَخَلَ الْمَلَائِكَةُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لِأَنََّّهُمْ مُؤْمِنُونَ قَانِمُونَ بِطَاعَةِ رَبِّهِمْ كَمَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ ﴿ لَا يَعْصُونَ اللهُ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝ ﴾ [التحریم: ٦]، وَأَخْبَرَ جَلَّ وَعَلَا عَنِ مَوَالِيَةِ الْمَلَائِكَةِ لِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ: ﴿ وَإِنْ نَظَّهَرَا عَلَيَّ فَإِنَّ

(١) رواه مسلم (٧٧٠)، عن عائشة رضي الله عنها.

اللَّهُ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿التحریم: ١﴾.

وقال **عليه السلام**: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾
[الأحزاب: ٤٣]. وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا نَسَزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ
أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [تُصَلُّت: ٣٠]. فَوَجَبَتْ مَوَالَاةُ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ لِمَوَالَاةِهِمْ
لَهُمْ وَنَصْرِهِمْ وَتَأْيِيدِهِمْ وَاسْتِغْفَارِهِمْ لَهُمْ. وَقَدْ حَدَّثَنَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ عِدَاوَةِ الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ:
﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ، وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ
﴿١٧﴾ [البقرة: ١٧]. فَأُخْبِرَ أَنَّ عِدَاوَةَ الْمَلَائِكَةِ مُوجِبَةٌ لِعِدَاوَةِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا
يُضَلُّونَ عَنْ أَمْرِهِ وَحُكْمِهِ، فَمَنْ عَادَاهُمْ فَقَدْ عَادَى رَبَّهُ.

ويتضمنُ الإيمانُ بالملائكة:

الاعتقادُ بأنَّ الملائكةَ خلقٌ من خلقِ الله لا شأنٌ لهم في الخلقِ والتدبيرِ وتصريفِ
الأمورِ، بل هم جُنُودٌ من جنودِ الله يعملون بأمرِ الله، واللهُ تعالى هو الذي يبيدُ الأمرُ كُلَّهُ
لا شريكَ له في ذلك. كما أنه لا يجوزُ صرفُ شيءٍ من أنواعِ العبادةِ لهم، بل يجبُ
إخلاصُ العبادةِ لخالقهم وخالقِ الخلقِ أجمعينَ، الذي لا شريكَ له في ربيوبتهِ
والوهيتهِ ولا مثيلَ له في أسمائه.

وأما ثمراتُ الإيمانِ بالملائكة:

فقد ذَكَرَ ابنُ عثيمينَ بعضها فقال: والإيمانُ بالملائكةِ يُثْمِرُ ثمراتٍ جليلاً منها:
الأولى: العِلْمُ بعظمةِ الله تعالى، وقُوَّتِهِ، وسلطانِهِ، فَإِنَّ عِظَمَةَ المخلوقِ من عِظَمَةِ
الخالقِ.



الثانية: شُكْرُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِنَايَتِهِ بِبَنِي آدَمَ، حَيْثُ وَكَّلَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةِ مَنْ يَقُومُ بِحِفْظِهِمْ، وَكِتَابَةِ أَعْمَالِهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَصَالِحِهِمْ.

الثالثة: مَحَبَّةُ الْمَلَائِكَةِ عَلَى مَا قَامُوا بِهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ ﷻ (١).

اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تَبْلُغُنَا جَنَّتِكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ عَلَيْنَا مَصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُورَتِنَا مَا أَحْيَيْنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَارَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مَصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا.

وَسَبِّحَانَكَ اللَّهُ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين (٦ / ٨٩).

المرتبة الثالثة: الإيمان بالكتب (١)

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدِّكُمْ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿٦﴾﴾ [النساء: ١]، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الاحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا وَكُلُّ مُخَدَّنَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فسوف يكون حديثي الآن عن الإيمان بالكتب.

المراد بالكتب هنا: الكتبُ والصُّحُفُ التي حَوَتْ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَوْحَاهُ إِلَى رُسُلِهِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - سِوَاءَ مَا أَلْقَاهُ مَكْتُوبًا كَالْتوراةِ، أَوْ أَنْزَلَهُ عَنْ طَرِيقِ الْمَلَكِ مُشَافَهَةً فَكُتِبَ بَعْدَ ذَلِكَ كَسَائِرِ الْكُتُبِ.

وَحُكْمُ الْإِيمَانِ بِكُتُبِ اللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى رُسُلِهِ كُلِّهَا رَكْنٌ عَظِيمٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ

(١) انظر أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء.



وأصل كبير من أصول الدين، لا يتحقق الإيمان إلا به. وقد دل على ذلك الكتاب والسنة. فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۖ وَٱلصُّلَّةِ ٱلَّتِي أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ ۖ وَمَنْ يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰئِكَتِهِ ۖ وَكُتُبِهِ ۖ وَرُسُلِهِ ۖ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ [النساء: ١٣٦].

فأمر الله عبادة المؤمنين في الآية بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه. فأمرهم بالإيمان بالله ورسوله وهو محمد ﷺ والكتاب الذي أنزل على رسوله وهو القرآن، والكتاب الذي أنزل من قبل وهو جميع الكتب المتقدمة: كالطوراة، والإنجيل، والزبور، ثم بين في ختام الآية أن من كفر بشيء من أركان الإيمان فقد ضلّ ضلالاً بعيداً وخرج عن قصد السبيل ومن أركان الإيمان المذكورة الإيمان بكتب الله.

وأما السنة فقد دلت كذلك على وجوب الإيمان بالكتب. وأن الإيمان بها ركن من أركان الإيمان، ففي «صحيح مسلم» من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه المشهور بحديث جبريل - عليه الصلاة والسلام - «أن جبريل سأل النبي ﷺ فقال: أخبرني عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»، (١).

فتقرر بهذا وجوب الإيمان بالكتب والتصديق بها جميعها، واعتقاد أنها كلها من الله تعالى أنزلها على رسوله بالحق والهدى والنور والضياء، وأن من كذب بها أو جحد شيئاً منها فهو كافر بالله خارج من الدين.

(١) رواه مسلم (٨).

وتضمّن الإيمان بالكتبِ التصديقُ الجازمُ بأنها كُلُّها منزلةٌ من الله ﷻ، وأنها كلامُ الله تعالى لا كلامَ غيره، وأنَّ الله ﷻ تكلمَ بها حقيقةً كما شاء وعلى الوجه الذي أرادَ سبحانه. قال تعالى: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْقُرْآنَ إِنَّا الَّذينَ كَفَرُوا إِنَّا بآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾ [آل عمران: ٢-٤]. فأخبرَ الله ﷻ أنه أنزلَ هذه الكتبَ المذكورةَ وهي: التوراة، والإنجيل، والقرآنُ من عندهِ وهذا يدلُّ على أنه هو المتكلمُ بها وأنها منه بدأت لا من غيره، ولذا توعدَّ في نهاية السياق مَنْ كَفَرَ بآياتِ الله بالعذابِ الشديد. وقال مخبراً عن التوراة: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴿٥﴾﴾ [المائدة: ١٤] فبيّنَ أنه تعالى هو الذي أنزلَ التوراةَ وأنَّ ما فيها من الهدى والنورِ منه ﷻ.

وقال ﷻ في الإنجيل: ﴿وَلْيَسِّخِرُوا أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴿٦﴾﴾ [المائدة: ٤٧] أي من الأوامر والنواهي التي هي من كلامِ الله.

وقال في القرآنِ الكريم: ﴿الرَّكُتِيبُ أَضَلُّ مِنْ قُتَيْبٍ ثُمَّ قُتَيْبٌ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٌ ﴿٧﴾﴾ [هود: ٦].

وقال تعالى مخاطباً رسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَلْفَاقِ الْقُرْآنِ مِنَ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٨﴾﴾ [النمل: ٦]. ويتضمّنُ الإيمانُ بالكتبِ الإيمانُ بأنها دعتُ كُلُّها إلى عبادةِ الله وخدمتهِ وقد جاءتْ بالخيرِ والهدى والنورِ والضياء. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُوتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩]. فبيّنَ الله أنه ما ينبغي لأحدٍ من البشر، آتاهُ الله الكتابَ والحُكْمَ والنبوةَ، أن يأمرَ الناسَ أن يتخذوه إلهًا من دُونِ الله. وذلك أنَّ كُتُبَ الله إنما جاءتْ بإخلاصِ العبادةِ لله وحده.



ويتضمنُ الإيمانُ بالكتبِ الإيمانَ بأنَّ كتبَ الله يُصدِّقُ بعضها بعضًا فلا تناقضُ بينها ولا تعارضُ كما قال تعالى في القرآن: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨]. وقال في الإنجيل: ﴿ وَهَآئِنْتُمْ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ﴾ [المائدة: ٤٦]. فيجبُ الإيمانُ بهذا واعتقادُ سلامةِ كتبِ الله من كلِّ تناقضٍ أو تعارضٍ، وهذا من أعظمِ خصائصِ كتبِ الله عن كتبِ الخلقِ وكلامِ الله عن كلامِ الخلقِ فإنَّ كتبَ المخلوقين عُرْضَةٌ لِلنَّقْصِ وَالخَلَلِ والتعارضِ كما قال تعالى في وصفِ القرآن: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

الذين جاءوا من بعدِ موسى كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَهْتَكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ آمَنُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّابِثِينَ وَالْآخِبَارِ بِمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً ﴾ [المائدة: ٤٤].

ومن الكتبِ المُنزَلَةِ الإنجيلُ: وهو كتابُ الله الذي أنزلهُ على عيسى ابنِ مريمَ عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهَآئِنْتُمْ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٤٦] وقد أنزلَ اللهُ الإنجيلَ مُصدِّقًا للتوراةِ وموافقًا لها كما تقدّمَ في الآيةِ السابقةِ. قال بعضُ العلماءِ: لم يخالفِ الإنجيلُ التوراةَ إلا في قليلٍ من الأحكامِ مما كانوا يختلفون فيه كما أخبرَ اللهُ عن المسيحِ أنه قال لبني إسرائيل: ﴿ وَلَا جِدَلٌ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [أل عمران: ٥٠].

وقد أخبرَ اللهُ تعالى في كتابهِ الكريمِ أن التوراةَ والإنجيلَ نصًّا على البشارةِ بنبينا محمدٍ صلى الله عليه وآله قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا

عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴿ [الأعراف: ١٥٧].

ومن الكُتُبِ المنزلة الزبور: وهو كتابُ الله الذي أنزله على داود عليه السلام قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٣٧﴾﴾ [النساء: ١٦٣].

ومن الكُتُبِ المنزلة صُحُفُ إبراهيمَ وموسى: قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَبْتَأِ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي رَفَعْنَا ﴿٣٧﴾ الْأَنْزِيلَ وَآدَمَ الَّذِي عَلَّمْنَا ﴿٣٨﴾ أَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾﴾ [التنجيم: ٣٦-٣٩].

ومن الكُتُبِ المنزلة القرآن العظيم: وهو كتابُ الله الذي أنزله على نبيِّنا محمدٍ عليه السلام مُصَدِّقًا لما بين يديه من الكتابِ ومهيمنًا عليه، وهو آخِرُ كُتُبِ الله نزولًا وأشرفها وأكملها، والنايخُ لما قبله من الكُتُبِ وقد كانت دعوتُهُ لعامةِ الثَّقَلَيْنِ من الإنسِ والجنِّ. قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴿١٨﴾﴾ [المائدة: ١٨].

ومهيمنًا: أي شهيدًا على ما قبله من الكُتُبِ وحاكمًا عليها.

وللقرآن أسماء كثيرة أشهرها: القرآن، والفرقان، والكتاب، والتزويج، والذكر.

فيجبُ الإيمانُ بهذه الكُتُبِ على ما جاءت به النصوص، من ذكرِ أسمائها، ومن أنزلت فيهم، وكلُّ ما أخبر الله به ورسوله عليه السلام عنها، وما قُصَّ علينا من أخبارِ أهلها.

ويُتَّصَمَنُ الإيمانُ بالكُتُبِ الاعتقادَ الجازمَ بِنسخِ جميعِ الكُتُبِ والصُّحُفِ التي أنزلها الله على رُسُلِهِ، بالقرآنِ الكريمِ، وأنه لا يَتَّعُ أحدًا من الإنسِ أو الجنِّ، لا من أصحابِ الكُتُبِ السابقة، ولا من غيرهم، أنْ يعبدوا الله بعد نزولِ القرآنِ بغيرِ ما جاء فيه أو يتحاكموا إلى غيرِهِ.



قال الله ﷻ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

وقال تعالى أمرًا نبيه ﷺ أَنْ يُحْكَمَ بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ بِالْقُرْآنِ: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

ومن السنة حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَغَضِبَ فَقَالَ: «أُمَّتَهُو كُون فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بِيضَاءَ نَفِيَّةٍ. لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقِّ فَتَكْذِبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى ﷺ كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَتْهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»^(١).

ومعنى أُمَّتَهُو كُون: أي أُمَّتَحِيرُونَ فِي دِينِكُمْ. والحديث فيه دليلٌ أَنَّ الْإِسْلَامَ نَسَخَ مَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ الْمَنْزَلَةِ إِلَّا أَنْ تُسْرَعَ مِنْ قَبْلُنَا لَا يَكُونُ سُرْعًا لَنَا إِلَّا بِشَرْطَيْنِ:

الأول: أَنْ يُبَيَّنَّ أَنَّهُ سُرْعٌ لَهُمْ.

الثاني: أَنْ لَا يُخَالِفَ سُرْعَنَا.

وقد استنبط بعض أهل العلم من هذا الحديث تحريم النظر في كتب أهل البدع.

(١) (حسن) رواه الإمام أحمد في المسند (٣: ٢٨٧)، ورواه الدارمي في سننه (١: ١١٥) وحسنه الألباني

في تخريج المشكاة (١: ٦٣) ح (١٧٧).

وليعلم الجميع أن التوراة والإنجيل وبعض الكتب الأخرى المنزلة دخلها التحريف وحفظ الله القرآن من ذلك ومما يدل على تحريف أهل الكتاب لكلام الله: ما أخبر الله ﷻ في القرآن الكريم عن تحريفهم لكتب الله المنزلة عليهم وتغييرها وتبديلها.

قال تعالى في حق اليهود: ﴿ أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٧٥]، وقال ﷻ: ﴿ تَرَى الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ [النساء: ١٦].

وقال تعالى مخبراً عن النصارى: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرْنَا أَخَذْنَا مِنْهُمُ آلِهَتَهُمْ فَتَسَوَّا حَقًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ. فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْآخِرَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النساء: ١٢] يتأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بينكم لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير ﴿ [المائدة: ١٥، ١٦].

فدللت الآيات على تحريف اليهود والنصارى كتب الله المنزلة عليهم. وقد كان هذا التحريف بالزيادة تارة وبالنقص تارة أخرى.

فدليل الزيادة قوله تعالى: ﴿ قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كُتِبَتْ أَيْدِيهِمْ وَقَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا مِنَّا يَكْتُوبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٦].

ودليل النقص قوله تعالى: ﴿ يتأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بينكم لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ﴾ [المائدة: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيَجْزِيَ قَرَأْتَهُمْ فَرَاتِيَسَ يُدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيراً ﴾ [الأنعام: ٩١].



تحريفُ التوراةِ والإنجيلِ وأدلةُ ذلكِ فَمِنْ أدلةِ تحريفِ التوراةِ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى بِإِذْنِ رَبِّهِ تُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيَجْعَلُوهُ قُرْآنًا يَدُونَهَا وَخُفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ يَلْمِزُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ نَزَّاهُمْ فِي حَوَاضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الأنعام: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿فَإِنْظَمِعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُونَهَا مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوا﴾ [البقرة: ٧٥].

ودليلُ تحريفِ الإنجيلِ قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ آذَيْنَا قَالُوا إِنَّا نَسْرَى أَخَذْنَا مِنْهُمُ مَتَاعًا حَقًّا يَمَا دُكِرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَوَدَّةً بَيْنَهُمْ اللَّهُ يَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [بناهل الكيتبِ قد جاءكم رمولنا يبيت لكم كثيرا وما كنتم تخفون من الكيتبِ ويعفوا عن كثير] [النمل: ١١-١٢].

فدلَّت هذه الآياتُ على وقوعِ التحريفِ والتبديلِ في التوراةِ والإنجيلِ. ولهذا اتفق علماء المسلمين على أن التوراةَ والإنجيلَ قد دخلهما التحريفُ والتغييرُ.

سلامةُ القرآنِ من التحريفِ وحفظُ الله له وأدلةُ ذلك:

أما القرآنُ العظيمُ فهو سليمٌ مما طرأ على الكُتُبِ السابقةِ من التحريفِ والتبديلِ وهو محفوظٌ من كلِّ ذلكِ بحفظِ الله له وصيانتهِ إياهُ كما أخبر الله عن ذلك بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجر: ٩].

قال الطبري: «قال وإنما للقرآنِ لحافظون من أن يُرادَ فيه باطلٌ ما ليس منه، أو يُنقصَ منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه»^(١). كما أخبر الله في آياتٍ أخرى

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٦٢).

عن تمام إحاكيه للقرآن وتفصيله وتزييه من كل باطل فقال عز من قائل: ﴿لَا يَأْتِيهِ
الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ﴿١٤﴾ [فصلت: ١٤].

وقال تعالى: ﴿الرَّكِيبُ أُنْكِمَتْ أَيْنَهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ ﴿١﴾ [هود: ١].

وقال عز وجل: ﴿لَا تَعْرَلْ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ﴿٦٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ [القيامة: ١٧، ١٦].

فدلّت هذه الآيات على كمالِ حفظِ الله للقرآن لفظاً ومعنى بدءاً بتزويله إلى أن
يأذن الله برفعه إليه سليماً من كل تغيير أو تبديل. إذ تكفل بتعليمه لبيّه ﷺ، ثم جنّبه
في صدره وبيانه له وتفسيره في سُنّته المطهّرة، ثم ما هيأ الله له بعد ذلك من عدول
الرجال الذين حفظوه في الصدور والسُطور، عبر الأجيال والقرون، فبقي سليماً منزهاً
من كل باطل، يقرؤه الصغار والكبار، على مختلف الأعصار والأصاير، عَصاً طرياً
كما أنزل من الله على رسوله ﷺ.

وقد نبّه العلماء في هذا المقام إلى سرّ لطيف ونكته بديعة تتعلّق بجواز التحريف
على التوراة وعدم جوازه على القرآن على ما روى أبو عمرو الداني عن أبي الحسن
المتاب قال: «كُنْتُ يَوْمًا عِنْدَ الْقَاضِي أَبِي إِسْحَاقَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِسْحَاقَ فَقِيلَ لَهُ: لِمَ
جَازَ التَّبْدِيلُ عَلَى أَهْلِ التَّوْرَةِ وَلَمْ يَجْزُ عَلَى أَهْلِ الْقُرْآنِ؟ فَقَالَ الْقَاضِي: قَالَ اللَّهُ ﷻ
فِي أَهْلِ التَّوْرَةِ: ﴿بِمَا أَسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤].

فَوَكَّلَ الْحِفْظَ إِلَيْهِمْ فَجَازَ التَّبْدِيلُ عَلَيْهِمْ. وَقَالَ فِي الْقُرْآنِ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا
لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ﴿١﴾ [الحجر: ٩].

فَلَمْ يَجْزِ التَّبْدِيلُ عَلَيْهِمْ. قَالَ: فَمَصَّيْتُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمُحَامِلِيِّ فَذَكَرْتُ لَهُ
الْحِكَايَةَ فَقَالَ: «مَا سَمِعْتُ كَلَامًا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا».



رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ. رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَقَبِّلْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.
اللهم إنا نسألك العافية في الدنيا والآخرة.
اللهم إنا نسألك الهدى، والعفاف، والغنى.
وسبحانك الله وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



المرتبة الرابعة: الإيمان بالرُّسُلِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [آل عمران: ١٦٢]، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا وَكُلُّ مُخَدَّنَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فسوف يكون حديثي الآن عن الإيمان بالرُّسُلِ.

الإيمان بالرسل أصل من أصول الإيمان، دلَّ على ذلك قول الله ﷻ: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وفي «صحيح مسلم» من حديث عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه المشهور بحديث جبريل - عليه الصلاة والسلام - «أَنَّ جَبْرِيلَ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنَّ



تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره^(١).

ومن لم يؤمن بالرسول ضلَّ ضلالاً بعيداً، وخسرَ خسراناً مبيناً.

قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا

بعيداً ﴿١٣٦﴾ [النساء: ١٣٦].

فاطلق الكُفْرَ على مَنْ أنكرَ هذه الأركان، ووصفه بالبُعْدِ في الضلالِ. فدلَّ ذلك أن

الإيمان بالرسول ركنٌ عظيمٌ من أركان الإيمان وأن تركه مُخْرِجٌ من المِلَّةِ.

فيجبُ الإيمانُ بكلِّ ما جاء في الكتابِ والسنةِ عن الرسولِ على وجهِ العمومِ إيماناً

مُجْمَلاً.

وأما الإيمانُ المُفَصَّلُ: فيكونُ بالإيمانِ بِمَنْ سَمَى اللهُ تعالى في كتابه والنبى ﷺ في

سُنتِهِ منهم، إيماناً مُفَصَّلاً على نحوِ ما جاءت به النصوصُ من ذكرِ أسمائِهِم

وأخبارِهِم وفضائلِهِم وخصائصِهِم.

والمذكورون في القرآن من الأنبياء والرسل خمسة وعشرون، وهم: آدم، ونوح،

وإدريس، وهود، وصالح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، ولوط،

وشعيب، ويونس، وموسى، وهارون، وإلياس، وزكريا، ويحيى، واليسع، وذو الكفل،

وداود، وسليمان، وأيوب، وعيسى، ومحمد - صلواتُ الله وسلامُهُ عليهم أجمعين -

وَرَدَ ذِكْرُ ثَمَانِيَةِ عَشْرٍ مِنْهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ

دَرَجَاتٍ مَن نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٧﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا

وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ

(١) رواه مسلم (٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٧٢

وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرْنَا وَمَحْنٍ وَعَيْسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ كُلِّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَاسْتَعْبَدَ
وَالنَّسَّعَ وَيُوشَعَ وَثَمُودَ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ [الأنعام: ٨٢-٨٦].

وورد ذكر الباقي في مواضع أخرى من القرآن.

قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي عَلِمْتُ أَنَّهُمْ هُودٌ ﴾ [الاعراف: ٦٥].

وقال: ﴿ وَإِنِّي نَسِيتُ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ [الاعراف: ٧٣].

وقال: ﴿ وَإِنِّي مَدِينُ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ [الاعراف: ٨٥].

وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا ﴾ [آل عمران: ٣٣].

وقال: ﴿ وَاسْتَعْبَدَ وَادْرِيْسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٥].

وقال: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩]. فيجب

الإيمان بهؤلاء الأنبياء والمرسلين إيماناً مفصلاً، والإقرار لكل واحد منهم بالنبوة أو
الرسالة على ما أخبر الله ورسوله ﷺ عنهم.

كما يجب اعتقاد صحة ما جاءت به النصوص من ذكر فضائلهم وخصائصهم

وأخبارهم، كاتخاذ الله إبراهيم ومحمداً صلى الله عليهما وسلم خليلين لقوله تعالى:

﴿ وَأَخَذَ اللَّهُ إِبرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥]. ولقول النبي ﷺ: «إن الله اتخذني خليلاً

كما اتخذ إبراهيم خليلاً» أخرجه مسلم^(١). وكتكليم الله تعالى لموسى لقوله تعالى:

﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]. وكذلك تسخير الجبال والطير لداود

يُسَبِّحُنَّ بتسبيحه، قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا

(١) رواه مسلم (٥٣٢).



فَتَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ [الأنبياء: ٧٦]. وإلانة الحديد لداود كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَنجِيهِ أُوِّي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّاسَ لَهُ الْحَدِيدُ ﴿١٠﴾﴾ [سبا: ١٠]. وتسخير الرياح لسليمان تسيرٌ بأمره، وتسخير الجن له يعملون بين يديه ما يشاء، قال تعالى: ﴿وَلَسَيَمْنَنَ الرِّيحُ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴿١٢﴾﴾ [سبا: ١٢]. وتعليم سليمان منطق الطير، قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴿١٦﴾﴾ [النمل: ١٦] كما يجب الإيمان على وجه التفصيل بما قصَّ الله ﷻ في كتابه من أخبار الرسل مع أقوامهم، وما جرى بينهم من الخصومة، ونصر الله لرسوله وأتباعهم، كقصة موسى مع فرعون، وإبراهيم مع قومه، وقصص نوح وهود وصالح وشعيب ولوط مع أقوامهم. وما قصَّ الله علينا في شأن يوسف مع إخوته وأهل مصر، وقصة يونس مع قومه، إلى آخر ما جاء في كتاب الله من أخبار الأنبياء والرسل، وكذلك ما جاء في السنة فيجب الإيمان به إيمانًا مفصلاً بحسب ما جاءت به النصوص.

وبذلك يتحقق الإيمان بالرسل يقسميه المُجْمَلِ والمُفَصَّلِ.

ونؤمنُ بأنَّ هناك رُسُلًا آخرين غيرهم، كما قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء الآية: ١٦٤]. وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِن قَبْلِكَ مِنهْم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنهْم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر الآية: ٧٨].

ونؤمنُ بأنهم جميعًا بارون، صادقون، أتقياء، أمناء، وأنهم بلغوا كلَّ ما أرسلهم الله به على وفق ما أمرهم، وبَيَّنَّوهُ بَيِّنَاتًا شَافِيَةً كَافِيَةً، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾ [النحل الآية: ٣٥].

والإيمان بالرُّسُلِ متلازمٌ، مَنْ كَفَرَ بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ فَقَدَ كَفَرَ بِاللَّهِ تَعَالَى وَبِجَمِيعِ الرُّسُلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ إِزْهِيهِمْ وَاسْتَعْيِلْ وَاسْتَحَقِّ وَتَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنِ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ، فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن لَوْلَا فَآمَنَّا لَهُمْ فِي شِقَاقِ قَسَبِكُمْ لَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة: الآية: ١٣٦-١٣٧].

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَسْخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَيْلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

وأما الإيمان بمحمد ﷺ فتصديقه واتباع ما جاء به من الشرائع إجمالاً وتفصيلاً.

وأفضل الرُّسُلِ أولو العزْم: وأولو العزْم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد - صلواتُ الله وسلامته عليهم -.

وأفضلهم محمد، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم نوح، وعيسى بن مريم، وهم المخصوصون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ [الاحزاب: الآية: ٧].

ونعتقد أن شريعة محمد ﷺ حاوية لفضائل شرائع هؤلاء الرُّسُلِ المخصوصين بالفضل، لقوله تعالى: ﴿﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾﴾ [الشورى: ١٣] (١).

(١) عقيدة أهل السنة للعثيمين (١١-٢٠).



عموم رسالة نبينا محمد ﷺ:

رسالة نبينا محمد ﷺ عامة شاملة إلى الجن والإنس جميعا دَلَّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّندِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِن طَرِيقَ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ، يَقْبَلْ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [الاحقاف: ١٩ - ٢١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن: الآية: ١-٢].

وَبُعِثَتْهُ إِلَىٰ جَمِيعِ النَّاسِ دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ نصوصٌ كثيرةٌ في القرآن والسنة. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الاعراف: ١٥٨].

وفي «الصحيحين» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيتُ حَمْسًا لَمْ يُعْطِيهَنَّ اللَّهُ أَحَدًا قَبْلِي: كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَىٰ كُلِّ أَحْمَرٍ وَأَسْوَدٍ، وَأُجِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَيِّبَةً طَهُورًا وَمَسْجِدًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَذْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ صَلَّىٰ حَيْثُ كَانَ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدَيَّ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ» (١).

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن

(١) البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

بالذي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» (١).

كما بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُتُبَهُ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ إِلَى كَسْرَى وَقَيْصَرَ وَالنَّجَاشِي
وَالْمَقْوِسِ وَسَائِرِ الْمُلُوكِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ.
خَتَمَ النَّبُوَّةَ بِهِ ﷺ:

خَتَمَ النَّبُوَّةَ بِهِ ﷺ: رَسُولُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا
أَلْحَدِينَ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الاحزاب الآية: ٤٠].
وَمَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ النَّبِيِّينَ خَتَمُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ فَهُوَ آخِرُهُمْ.

وَقَدْ اختلفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ النَّبِيِّ وَالرَّسُولِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ لَا فَرْقَ فَكُلُّ
نَبِيِّ رَسُولٍ، وَكُلُّ رَسُولٍ نَبِيٍّ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ هُنَاكَ فَرْقًا بَيْنَهُمَا، وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ
الثَّانِي أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ مَقَامَ الرَّسَالَةِ أَحْصَسُ مِنْ مَقَامِ النَّبُوَّةِ، فَإِذَا كَانَ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ فَلَا
رَسُولَ بَعْدَهُ بِالطَّرِيقِ الْأَوَّلِيِّ!

وَبِهَذَا تَوَاتَرَتِ الْأَحَادِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ «الْبُخَارِيُّ
وَمُسْلِمٌ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي
كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلا مَوْضِعَ لَبْتَةٍ مِنْ زَاوِيَةِ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ
وَيَعْتَجِبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبْتَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبْتَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ» (٢).

وَمَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
إِنَّ لِي أَسْمَاءً: مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ، وَأَنَا

(١) مُسْلِمٌ (١٥٣).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٥٣٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٢٨٦)، وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ.



الحائِشِرُ الَّذِي يُخَشِرُ النَّاسَ عَلَيَّ قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ»^(١).

وَمَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتِّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّغَبِ، وَأُجِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ»^(٢).

وَمَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ^(٣) عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي».

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ وَرَسُولُهُ ﷺ فِي السَّنَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ عَنْهُ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ لِيَعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ادَّعَى هَذَا الْمَقَامَ بَعْدَهُ فَهُوَ كَذَابٌ أَفَّاكَ دَجَالٌ ضَالٌّ مُضِلٌّ»^(٤).

وَعَمُومُ رِسَالَتِهِ ﷺ لِجَمِيعِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ مِنْ بَعْتِيهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَكَوْنُهَا خَاتِمَةَ الرِّسَالَاتِ، يَقْضِي وَيَدُلُّ دَلَالَةً قَاطِعَةً عَلَيَّ أَنَّ النَّبِيَّةَ قَدْ انْقَطَعَتْ بِانْقِطَاعِ الْوَحْيِ بَعْدَهُ، وَأَنَّهُ لَا مَصْدَرَ لِلتَّشْرِيحِ وَالتَّعْبِيدِ إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ وَهَذَا يَقْتَضِي وَجُوبَ الْإِيمَانِ بِعَمُومِ رِسَالَتِهِ، وَاتِّبَاعَ مَا جَاءَ بِهِ، فَقَدْ قَالَ - كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:

(١) رواه البخاري (٤٨٩٦)، ومسلم (٢٣٥٤).

(٢) رواه مسلم (٥٢٣).

(٣) رواه البخاري (١١٥٤)، ومسلم (٢٤١٤).

(٤) تفسير ابن كثير (٦/٣٨١).

أولاد النصارى

١٧٨

والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار» (١).

وبهذا تقوم الحجة وتثبت رسالة النبي ﷺ وعمومها وشمولها لجميع الثقلين: الإنس والجن، في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَحَسَنَ أَبْصَرَ فَلِنَنفِسِهِ. وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: ٧٤].

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْنَا وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ.

اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله، ما علمنا منه وما لم نعلم ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم ونسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل ونسألك من خير ما سألك عبدك ورسولك محمد ﷺ، ونعوذ بك من شر ما استعاذك بك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ.

وسبحانك الله ويحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



(١) رواه مسلم (١٥٣).



المرتبة الخامسة: الإيمان باليوم الآخر

١- القبر أول منازل الآخرة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٤) ﴿١﴾
 عمران: ١٠٤، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) ﴿النساء: ١١﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٢) ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣) ﴿[الأحزاب: ٧١-٧٠].﴾

أما بعد: فإنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فإنه يدخل في الإيمان باليوم الآخر (الإيمان بالموت) الذي هو المُفْضِي بالعبد إلى منازل الآخرة، وهو ساعة كلِّ إنسانٍ بخصوصه، ولهذا قال النبي ﷺ كما في «الصحيحين» من حديث عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ الْأَعْرَابُ إِذَا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَأَلُوهُ عَنِ السَّاعَةِ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَظَنَرْتُ إِيَّيَّيْ أَخَذَتْ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ، فَقَالَ: «إِنْ يَعْشُ هَذَا، لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ، قَامَتْ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ»، قال هشام: «يعني: موتهم» (١).

(١) رواه البخاري (٦٥١١)، ومسلم (٢٩٥٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٨٠

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم، قال: متى تقوم الساعة؟ قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيهة، ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزد شنوءة، فقال: «إن همم هذا، لم يُدرِكهُ الهَرَمُ حتَّى تقوم الساعة» قال: قال أنس: ذاك الغلام من أترابي يومئذ.

والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم: «الساعة» في هذين الحديثين «ساعة المُخاطبين»؛ لأن ساعة كل إنسان موته.

وفي سنن الترمذي بسند حسن حسنه الألباني في «صحيح الترمذي»^(٢) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن القبر أول منازل الآخرة، فمن نجا منه فما بعده أيسر منه، ومن لم ينج منه فما بعده أشد منه».

وقال: وسمعته صلى الله عليه وسلم يقول: «ما رأيت منظرًا قط إلا القبر أفظع منه».

فمن عقيدة أهل السنة والجماعة: الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، وأنه إما حفرة من حفر النار، أو روضة من رياض الجنة.

قال الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾^(٣) [إبراهيم: ٢٧].

فدلَّت الآية على تثبيت الله تعالى للمؤمنين عند السؤال في القبر وما يتبع ذلك من

(١) رواه مسلم (٢٩٥٣)، والأتراب: جمع تراب، وهو المماتل في السنن.

(٢) (حسن) رواه الإمام أحمد (١/ ٦٣)، والترمذي (٢٣٠٨)، وابن ماجه (١٤٦٧) وحسنه الألباني في

صحيح الترمذي (١٨٧٨).



النعميم ففي «الصحيحين»^(١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، قال: «نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ».

وما جاء في «الصحيحين»^(٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيَقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أنس رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا لِدَعْوَتِ اللَّهِ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ».

ومما يدلُّ على عذابِ القبرِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَنَا أَنْ نَسْتَعِيدَ بِاللَّهِ مِنْهُ فِي «الصحيحين»^(٤) من حديث أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَشَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ وَشَرِّ فِتْنَةِ الْمَخْيَا وَالْمَمَاتِ».

ومما يدلُّ على عذابِ القبرِ ما جاء في «الصحيحين»^(٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما

(١) البخاري (رقم ١٣٦٩)، ومسلم (رقم ٢٨٧١).

(٢) رواه البخاري (١٣٩٧)، ومسلم (٢٨٦٦).

(٣) رواه مسلم (٢٨٦٧).

(٤) رواه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (١٣٦٢).

(٥) رواه البخاري (٢٠٩)، واللفظ له، ومسلم (٤٣٩).

ولكن كم مرة يُنفخ في الصور؟

فالذي دلت عليه الآيات والأحاديث أن إسرافيل يُنفخ في الصور مرتين، الأولى يُخصلُ بها الصعق، والثانية يُخصلُ بها البعث، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يُنظَرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

وقد سُمي القرآن النسخة الأولى بالرَّاجِفة، والنسخة الثانية بالرَّادِقة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾ [النازعات: ٧، ٦].

وفي موضع آخر سُمي الأولى بالصَّيْحَة، وصرَّح في الثانية بالنَّفخ في الصور. قال تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا الصَّيْحَةَ وَوَجَدَهُمْ يَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿١١﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْجِيهًا وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٢﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يس: ١١-١٢، ٥١].

وقد جاءت الأحاديث مُصرِّحةً بالنَّفختين، جاء في الصحيحين^(١) من حديث أبي هريرة عن النبي قال: «ما بين النَّفختين أربعون، قالوا: يا أبا هريرة: أربعون يوماً، قال: أبيتُ، قالوا: أربعون سنةً، قال: أبيتُ، قالوا: أربعون شهراً، قال: أبيتُ، ويُتلى كلُّ شيءٍ من الإنسان إلا عَجَبُ ذَنبِهِ فِيهِ يُرَكَّبُ الخلق».

وهذا الحديث صريحٌ بأنها نفختان.

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصٍ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَىٰ لِيَتَا وَرَفَعَ لِيَتَا قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ قَالَ فَيَضَعُ وَيَضَعُ النَّاسُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ أَوْ

(١) رواه البخاري (١٥٣٦)، ومسلم (٢٩٥٥).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤٠).



رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَوْمِ وَلَمْ يُلْخِذْ لَهُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّهُ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرِ فِي يَدِهِ عُوْدٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي إِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ وَانْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، نَزَلَتْ إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ بِيضَ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ كَفَنِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتَهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ أَخْرَجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ» قَالَ: «فَتَخْرُجُ نَسِيْلٌ كَمَا تَسِيْلُ الْقَطْرَةُ مِنَ السَّمَاءِ فَيَأْخُذُهَا فَيَأْخُذُهَا لَمْ يَدْعُوَهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُهَا فَيَجْعَلُونَهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَذَلِكَ الْحَنُوطِ، فَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةٍ مِسْكِ وَجِدَتْ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ»، قَالَ: «فَيَضَعُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَهْوُونَ بِهِ إِلَى سَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْرِغُونَ لَهُ فَيَفْتَحُ لَهُ، قَالَ: فَيَسْبِعُهُ مِنْ كُلِّ سَّمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أَعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أَخْرَجْتُهُمْ تَارَةً أُخْرَى قَالَ: فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيَجْلِسَانِيهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ:

المستدرک (٢٧ / ٨) وقال: «حديث صحيح على شرط الشيخين» وواقفه الذهبي، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢ / ٥٨٠)، والأجري في الشريعة ص ٣٦٧ وصحح الحديث ابن القيم ورد على من ضعفه، ونقل عن أبي نعيم تصحيحه، وعن أبي موسى الأصبهاني أنه حسنه. انظر: تهذيب سنن أبي داود بهامش مختصر السنن (٧ / ١٣٩ - ١٤١)، وصححه الألباني في تعليقه على شرح الطحاوية ص ٤٤٩.

مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، قَالَ: فَيَأْتِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، أَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَالْبَسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِنَ رِيحِهَا وَطِيْبًا وَيُنْفَسِحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، طَيِّبُ الرَّيْحِ فَيَقُولُ لَهُ: أَبَشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، فَهَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَحْيَىٰ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ، رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ ثَلَاثًا، حَتَّىٰ أَرْجِعَ إِلَىٰ أَهْلِي وَمَالِي، قَالَ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَانْقِطَاعٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَحْيَىٰ مَلِكُ الْمَوْتِ ﷺ حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَىٰ سَخَطِ اللَّهِ وَعَظْبِهِ، فَتَفَرَّقُ فِي أَعْضَائِهِ كُلِّهَا فَيَنْزِعُهَا كَمَا يَنْزِعُ السَّفُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُورِ، فَتَقَطُّعُ مَعَهَا الْعُرُوقَ وَالْمَعْصَبَ قَالَ: فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا، لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّىٰ يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، قَالَ: «وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ جِيفَةً وَجِدَتْ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ فَبَضَعُدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَىٰ مَلٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الْخَبِيثَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ بَأْتَجِ أَسْمَانِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّىٰ يَسْتَهُونَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهَا فَلَا يُفْتَحُ لَهَا قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ١٠] قَالَ: «ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، قَالَ: فَتَطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَمَنْ يُتْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهَوَّىٰ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَجِيٍّ﴾ [الحج: ٣١] قَالَ: «فَتَعَادُ

رُوحُهُ إِلَى جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِيهِ فَيَقُولَانِ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا
أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي
بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَتَايَدِي مُتَايِدٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَّبَ عَبْدِي،
فَأَفْرَسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَالْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْ حَرِّهَا
وَسَمُومِهَا، وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرَهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ» قَالَ: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ
الْوَجْهِ، قَبِيحُ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمَكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ،
فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ السَّيِّئُ، فَيَقُولُ: رَبِّ
لَا تُقِمِ السَّاعَةَ».

وليعلم الجميع أن نعيم القبر وعذابه يكون للروح والبدن جميعًا، فتتعلم الروح أو
تُعَذَّبُ مُتَّصِلَةً بِالْبَدَنِ فَيَكُونُ النِّعَمُ وَالْعَذَابُ عَلَيْهِمَا جَمِيعًا كَمَا أَنَّهُ قَدْ تَعَلَّمَ الرُّوحُ أَوْ
تُعَذَّبُ أحيانًا مُنْفَصِلَةً عَنِ الْبَدَنِ، فَيَكُونُ النِّعَمُ أَوْ الْعَذَابُ لِلرُّوحِ مُنْفَرِدًا عَنِ الْبَدَنِ.
وقد دلت على هذا النصوص وعليه اتفق أهل السنة والجماعة فمن الأدلة على ذلك
حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وهو في «الصحيحين»^(١) أن رسول الله ﷺ قال: «إن
العبد إذا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نَعَالِهِمْ إِذَا انْصَرَفُوا أَتَاهُ
مَلَكَانِ فَيَقْعِدَانِيهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ
أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَيَقَالُ لَهُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبَدَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنْ
الْجَنَّةِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي كُنْتُ أَتَوَلَّى
مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيهِ فَيَقَالُ لَا دَرِيْتَ وَلَا تَلَيْتَ ثُمَّ يُضْرَبُ بِوِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ صَرْبَةً بَيْنَ
أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ».

(١) زَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٣٣٨) وَانْلَفَطَ لَهُ وَمُسْلِمٌ (٢٨٧٠).

أولاً: خروج الروح

١٨٦

وفي حديث البراء بن عازب الطويل الذي أخرجه أبو داود وصححه الألباني في «صحيح الجامع»^(١) قال رسول الله ﷺ بعد أن ذكّر خروج الروح وصعود روح المؤمن إلى السماء: «فتعاد روحه في جسده فيأبته ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك» الحديث.

فذلّ الحديثان على وقوع النعيم أو العذاب في القبر على الروح والجسد جميعاً ففي قول النبي ﷺ: «إن العبد إذا وُضِعَ في القبر» دلالة ظاهرة على هذا إذ لفظ (العبد) مُسَمَّى للروح والجسد جميعاً، وكذلك تصريحه بإعادة الروح إلى الجسد عند السؤال كما في حديث البراء بن عازب هذا مع ما جاء في الحديثين من الألفاظ التي هي من صفات الجسد كقوله: «يَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ»، «فَيُعَمِّدَانِهِ»، «وَيُضْرَبُ بِمِطْرَقٍ مِنْ حَدِيدٍ»، «فَيَصْبِحُ صَبِيحَةً»، فإن هذا كله يُفِيدُ أن ما يَحْصُلُ في القبر من النعيم أو العذاب مُتَعَلِّقٌ بِالرُّوحِ وَالْجَسَدِ جَمِيعِهِمَا.

هذا مع أنه قد جاء في بعض النصوص ما يفيد أن النعيم أو العذاب قد يَقَعُ على الروح مُتَفَرِّدَةً في بعض الأحوال على ما جاء في سنن أبي داود بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الألباني في «صحيح أبي داود»^(٢) حديث عبد الله بن عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِعَمِي بَوْمَ أُحُدٍ - جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَابِ طَيْرٍ خُضِرَ قَرْدٌ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ وَتَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِهَا وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ» فَتَلَخَّصَ مِنْ هَذَا أَنَّ النِّعِمَ وَالْعَذَابَ يَقَعُ عَلَى الرُّوحِ وَالْجَسَدِ جَمِيعًا فِي الْقَبْرِ وَقَدْ تَفَرَّدَ الرُّوحُ بِهَذَا أَحْيَانًا. قال بعض الأئمة المُحَقِّقِينَ فِي السُّنَّةِ فِي تَقْرِيرِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ: «وَالْعَذَابُ وَالنِّعِمُ عَلَى النَّفْسِ وَالْبَدَنِ جَمِيعًا بِاتِّفَاقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، تَنْعَمُ

(١) تقدم تخريجه.

(٢) (صحيح) أخرجه أبو داود (٢٥٢٠) وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٢٩٩).



النفس وتُعَذَّبُ منفردة عن البدن، وتُعَذَّبُ مُتَّصِلَةً بِالْبَدَنِ وَالْبَدَنُ مُتَّصِلٌ بِهَا، فَيَكُونُ النِّعِيمُ وَالْعَذَابُ عَلَيْهِمَا فِي هَذِهِ الْحَالِ مُجْتَمِعَيْنِ كَمَا يَكُونُ لِلرُّوحِ مُتَّفِرِّدَةً عَنِ الْبَدَنِ.

قال أبو جعفر الطحاوي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وقد تواترت الأخبار عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا تتكلم في كَيْفِيَّتِهِ، إذ ليس للعقل وقوف على كَيْفِيَّتِهِ، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تُجِيلُهُ العقول، بل إنَّ الشرع قد يأتي بما تحار فيه العقول، فإنَّ عودة الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تُعادُ إليه إعادة غير المألوفة في الدنيا»^(١). وقال في موضع آخر: «واعلم أنَّ عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكلُّ من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قبر أو لم يقبر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً ونُسِفَ في الهواء، أو صلب أو غرق في البحر، وصل إلى روجه وتذنيه من العذاب ما يصل إلى المقبور، وما ورد من إجلاسه، واختلاف أضلاعه ونحو ذلك، فيجب أن يفهم عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مراده من غير غلو ولا تقصير»^(٢).

حُكْمُ إنْكَارِ عَذَابِ الْقَبْرِ؟

يَقِي أَنْ نَعْرِفَ حُكْمَ مَنْ يُنْكَرُ عَذَابَ الْقَبْرِ خَاصَّةً بَعْدَ أَنْ تُبَلِّغَهُ الْآيَاتُ الْبَيِّنَاتُ قَالَ الْعَلَامَةُ الْمُحَدِّثُ عَبْدُ الْمُحْسِنِ الْعَبَّادُ - حَفِظَهُ اللَّهُ -: «مَعْلُومٌ أَنَّ إنْكَارَ عَذَابِ الْقَبْرِ إنْكَارٌ لشيءٍ مَعْلُومٍ بِالْأَحَادِيثِ الْكَثِيرَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْهِ -، فَالَّذِي يَكُونُ عَالِمًا بِهِ يُخَشَى عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ كَافِرًا؛ لِأَنَّ هَذَا مِمَّا تَوَاتَرَتْ بِهِ

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (٢٧٦).

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص: ٢٦٨).

تلاوة النساء

١٨٨

الأحاديث وجاءت وجاء به القرآن في قوله ﷻ: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾، فعذابُ القبرِ ثابتٌ في هذه الآيةِ الكريمةِ في حقِّ آلِ فرعونَ: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

فالذي يُكْرَهُ عذابُ القبرِ فهو مُنْكَرٌ لما جاء في القرآن، فتقامُ عليه الحُجَّةُ وَيَبِينُ له ما جاء في القرآن وما جاء في السُّنَّةِ، وإذا أَصَرَ على ذلك فالذي يَظْهَرُ أَنَّهُ يَكُونُ كَافِرًا، لِأَنَّهُ مُكذِّبٌ بما جاء في القرآن، ومُكذِّبٌ بما جاء في السُّنَنِ المتواترة^(١). اللّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ، وَالْبُخْلِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ.

اللّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَنَعُوذُ بِكَ أَنْ نُرَدَّ إِلَى أَرْضِ الْعُمْرِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.

اللهم إنا نعوذُ بك من الكُفْرِ وَالنَّفَرِ، اللهم إنا نعوذُ بك من عذابِ القبرِ، لا إله إلا أنت.

وسبحانك الله وبحميدك، أشهدُ أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوبُ إليك.



(١) شرحُ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٥٣٩ / ٧٨) دَرُوسٌ صَوْتِيَّةٌ.



٢- أسباب عذاب القبر

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَتَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٦] ﴿ال عمران: ١٠٣﴾ ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَعَلَ رِجَالَكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنْهَا رِجَالٌ كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿النساء: ١﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧٦] ﴿الاحزاب: ٧٠-٧١﴾.

أما بعد: فإنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي اليوم سيكون مُرَكِّزًا حَوْلَ أسبابِ عذابِ القبر.

قال ابن القيم رحمته: الأسبابُ التي يُعَذَّبُ بها أصحابُ القبورِ جوابها من وجهين مُجْمَلٍ ومُفَصَّلٍ أما المُجْمَلُ فإنَّهم يُعَذَّبُونَ على جَهْلِهِمْ بِاللَّهِ وإِضَاعَتِهِمْ لِأَمْرِهِ وارتكابِهِمْ لِمَعَاصِيهِ فَلَا يُعَذَّبُ اللَّهُ رُوحًا عَرَفَتْهُ وَأَحَبَّتْهُ وَامْتَلَكَتْ أَمْرَهُ وَاجْتَنَبَتْ نَهْيَهُ وَلَا بَدَنًا كَانَتْ فِيهِ أَبَدًا فَإِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ وَعَذَابَ الْآخِرَةِ أَثَرُ غَضَبِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ عَلَى عَبْدِهِ فَمَنْ أَغْضَبَ اللَّهُ وَأَسَخَطَهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ ثُمَّ لَمْ يَتُبْ وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ كَانَ لَهُ مِنْ عَذَابِ الْبَرْزَخِ بِقَدْرِ غَضَبِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ عَلَيْهِ فَمُسْتَقْبَلٌ وَمُسْتَكْبَرٌ وَمُصَدِّقٌ وَمُكَذِّبٌ.

وَأَمَّا الْجَوَابُ الْمَفْصَلُ فَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ^(١) عَنْ أَسْبَابِهِ وَمِنْ تِلْكَ الْأَسْبَابِ الْمَشْفِي بَيْنَ النَّاسِ بِالنَّمِيمَةِ وَتَرْكُ الْإِسْتِثْرَاءِ مِنَ الْبَوْلِ.

وَيَجْمَعُهُمَا مَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحِينَ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَائِطٍ مِنْ حَيْطَانِ مَكَّةَ أَوْ الْمَدِينَةِ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَاتَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، ثُمَّ قَالَ: بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَبْرِئُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ، فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً، فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟، قَالَ: «لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَبْسَسَا، أَوْ إِلَى أَنْ يَبْسَسَا».

وَمِنْ أَسْبَابِ عَذَابِ الْقَبْرِ - الْكُفْرُ وَالنُّفَاقُ، فِيهِ سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ حَسَنِ حَسَنَةَ الْأَلْبَانِيِّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»^(٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ، أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ، آتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَرْزَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ، وَالْآخَرُ النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ، هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُنْسَخُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُتَوَرَّ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي فَأَخْبِرْهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنُومَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ:

(١) الروح (٧٧).

(٢) رواه البخاري (٢٩٨)، واللفظ له، ومسلم (١٣٩).

(٣) (حسن) رواه الترمذي (١٠٧٦) وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٢٤).

النَّبِيِّ عَلَيْهِ، فَتَلْتَمِسُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ.»

ومن أسباب عذاب القبر:

جملة من الذنوب الكبيرة كالكذب وهجر القرآن والزنا والرِّبا والنوم عن الصلاة، والتي ذُكِرَتْ فِي «الصحيحين»^(١) من حديث سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا يَكْثُرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟» قَالَ: فَيَقْصُ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقْصَ وَإِنَّهُ قَالَ، ذَاتَ عَدَاةٍ: إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا آتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَتَلَعُ رَأْسَهُ فَيَتَهَدَّهُدُ الْحَجَرُ هَهُنَا، فَيَسْبِعُ الْحَجَرَ، فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْصَحَ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى.

قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا؟

قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ.

قَالَ: فَأَنْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ، بِكُلُوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقْوَيْ وَجْهِهِ فَيُسْرِشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمِنْخَرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ.

قَالَ: ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَبْصَحَ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى.

(١) رواه البخاري (٧٦٧)، ومسلم (٢٢٧٥).

قَالَ: قُلْتُ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا؟

قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ فَاَنْطَلَقْنَا، فَاْتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التُّورِ، فِإِذَا فِيهِ لَعَطٌ وَأَصْوَاتٌ.

قَالَ: فَاَطَعْنَا فِيهِ، فِإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلٍ مِنْهُمْ، فِإِذَا أَنَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ صُوضُوا.

قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هُوَ لَآءِ؟

قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ، انْطَلِقْ.

قَالَ: فَاَنْطَلَقْنَا، فَاْتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبُحُ، وَإِذَا عَلَى سَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةٌ كَثِيرَةٌ، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبُحُ مَا يَسْبُحُ ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهٌ، فَيُلْقِمُهُ حَجْرًا، فَيَنْطَلِقُ يَسْبُحُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَعَرَّ لَهُ فَاهٌ فَأَلْقَمَهُ حَجْرًا.

قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟

قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ، انْطَلِقْ.

قَالَ: فَاَنْطَلَقْنَا، فَاْتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْمَرْأَةَ، كَأَكْرَهٍ مَا أَنْتَ رَأَيْتَ رَجُلًا مَرْأَةً؛ وَإِذَا عِنْدَهُ نَارٌ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا.

قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟

قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ، انْطَلِقْ فَاَنْطَلَقْنَا، فَاْتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَةٍ، فِيهَا مِنْ كُلِّ نَوْرِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرِي الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولًا فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلْدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ.



قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ مَا هُوَ لَاءِ؟

قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ، انْطَلِقْ.

قَالَ: فَاَنْطَلَقْنَا فَانْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ عَظِيمَةٍ؛ لَمْ أَرِ رَوْضَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلَا أَحْسَنَ.

قَالَ: قَالَا لِي: اِرْقُ فِيهَا.

قَالَ: فَارْتَقَيْنَا فِيهَا فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ، بَلْبِنِ ذَهَبٍ وَكَبِنِ فِضَّةٍ، فَاتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ، فَاسْتَمْتَحْنَا، فَفُتِحَ لَنَا، فَدَخَلْنَاهَا، فَتَلَقَّانَا فِيهَا رِجَالٌ، سَطَرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَأَيْ، وَسَطَرٌ كَأَنْبَحِ مَا أَنْتَ رَأَيْ.

قَالَ: قَالَا لَهُمْ: اذْهَبُوا فَفَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ.

قَالَ: وَإِذَا نَهْرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ الْمَحْضُ فِي الْبِيْضِ فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا، قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ.

قَالَ: قَالَا لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وَهَذَا مَنْزِلُكَ.

قَالَ: فَسَمَا بَصْرِي صُغْدًا: فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلَ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ.

قَالَ: قَالَا لِي: هَذَاكَ مَنْزِلُكَ.

قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: بَارَكَ اللهُ فِيكُمْمَا، ذَرَانِي فَأَدْخَلَهُ قَالَا: أَمَّا الْآنَ فَلَا وَأَنْتَ دَاخِلُهُ.

قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مِنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ.

قَالَ: قَالَا لِي: أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُتْلَعُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُسْرِسِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٩٤

إِلَى نَقَاهُ، فَإِنَّهُ انْزَجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْأَفَاقَ وَأَمَّا الرُّجَالُ وَالنِّسَاءُ
الْمَعْرَاةُ، الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التُّنُورِ، فَإِنَّهُمْ لَمَزْنَاءُ وَالزَّوَانِي وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ
يَسْبِخُ فِي النَّبْرِ وَيُلْتَمِعُ الْحَجَرَ، فَإِنَّهُ أَكَلُ الرُّبَا وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيمُ الْمَرْأَةَ، الَّذِي عِنْدَ
النَّارِ: يَحْتَسِبُهَا وَيَسْمَعُ حَوَلَهَا، فَإِنَّهُ مَالِكٌ، خَازِنُ جَهَنَّمَ وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي
النَّرْوَصَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ.

قَالَ: فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا سَطَرٌ مِنْهُمْ حَسَنًا وَسَطَرٌ مِنْهُمْ قَبِيحًا،
فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ومن أسباب عذاب القبر:

النِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ، ففي «الصحاحين»^(١) من حديثِ الْمُغْبِيرَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ: سَمِعْتُ
النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ نَيْحَ عَلَيْهِ، يُعَذَّبُ بِمَا نَيْحَ عَلَيْهِ». وفي «الصحاحين»^(٢) من
حديثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ حَفْصَةَ بَكَتْ عَلَى عُمَرَ فَقَالَ: مَهَلًا يَا بَيْتَهُ، أَلَمْ
تَعْلَمِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ».

وقد يُقالُ: مَا وَجْهُ تَغْذِيهِ بِبُكَاءِ غَيْرِهِ، إِذْ مُوَاخَذَتُهُ بِبُكَاءِ غَيْرِهِ قَدْ يَظُنُّ مَنْ لَا يَعْلَمُ
أَنَّهَا مِنْ أَخْذِ الْإِنْسَانِ بِذَنْبِ غَيْرِهِ؟

وَالْجَوَابُ هُوَ أَنَّ الْعُلَمَاءَ حَمَلُوهُ عَلَى أَحَدِ أَمْرَيْنِ:

الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ الْمَيِّتُ أَرْضَى بِالنُّوحِ عَلَيْهِ. كَمَا قَالَ طَرَفَةُ بْنُ الْعَبْدِ فِي مُعَلَّقَتِهِ:

(١) رواه البخاري (١٢١٩) واللفظ له، ومسلم (١/١٠) المقدمة.

(٢) رواه البخاري (٤٣٩ / ١) (١٢٤٢)، ومسلم (٢/٦٤٢) (٩٣٠) بتخويه.

إِذَا مِتُّ فَأَنْعِزْنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ وَشُقِّي عَلَيَّ الْجَنْبَ يَا ابْنَةَ مَعْبُدٍ

لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ أَوْصَى بِأَنْ يُنَاحَ عَلَيْهِ: فَتَعْذِيبُهُ بِسَبَبِ إِصَابِهِ بِالْمُنْكَرِ. وَذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ لَا فِعْلٍ غَيْرِهِ.

الثاني: أَنْ يُهْمَلَ نَهْيُهُمْ عَنِ النَّوْحِ عَلَيْهِ قَبْلَ مَوْتِهِ مَعَ أَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ سَيُنُوحُونَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ إِهْمَالَ نَهْيُهُمْ تَفْرِيطٌ مِنْهُ، وَمُخَالَفَةٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قِرَأْ أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ فَتَعْذِيبُهُ إِذَا سَبَبَ تَفْرِيطُهُ (١).

المقصود من ذلك أن كُلَّ معصية، وكلِّ ذنبٍ له عقوبته في القبر، فنسأل الله تعالى أن يعصمنا من الذنوب، صغيرها وكبيرها، وأن يُجِيرَنَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالنَّارِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ.

وما تقدّم إنما هو بعض أسباب عذاب القبر لا كلها بقي أن أذكر بعض الأسباب المنجية من عذاب القبر.

الأسباب المنجية من عذاب القبر جوابها أيضا من وجهين كما قال ابن القيم رحمته الله: مُجْمَلٌ وَمُقْصَلٌ.

أما المُجْمَلُ فَهُوَ تَجَنُّبُ تِلْكَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَقْتَضِي عَذَابَ الْقَبْرِ وَمَنْ أَنْفَعَهَا أَنْ يَجْلِسَ الرَّجُلُ عِنْدَ مَا يُرِيدُ النَّوْمَ لِلَّهِ سَاعَةً يُحَاسِبُ نَفْسَهُ فِيهَا عَلَى مَا خَسِرَهُ وَرَبِحَهُ فِي يَوْمِهِ ثُمَّ يُجَدِّدُ لَهُ تَوْبَةً نَصُوحًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ فَيَنَامُ عَلَى تِلْكَ التَّوْبَةِ وَيَعِزُّمُ عَلَى أَنْ لَا يَعَاوِدَ الذَّنْبَ إِذَا اسْتَيْقَظَ وَيَفْعَلُ هَذَا كُلَّ لَيْلَةٍ فَإِنْ مَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ مَاتَ عَلَى تَوْبَةٍ وَإِنْ اسْتَيْقَظَ اسْتَيْقَظَ مُسْتَقْبِلًا لِلْعَمَلِ مَسْرُورًا بِتَأْخِيرِ أَجَلِهِ حَتَّى يَسْتَقْبِلَ رَبَّهُ وَيَسْتَذْكِرَ مَا فَاتَهُ وَلَيْسَ لِلْعَبِيدِ أَنْفَعُ مِنْ هَذِهِ النُّومِ وَلَا سِيَّمًا إِذَا عَقِبَ ذَلِكَ بِذِكْرِ اللَّهِ وَاسْتِعْمَالِ

(١) المجموعة البهية للعقيدة السلفية (٢/ ٦٠٣).

السُّنَنِ الَّتِي وَرَدَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ عِنْدَ النَّوْمِ حَتَّى يَغْلِبَهُ النَّوْمُ فَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا وَفَّقَهُ
لِذَلِكَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا الْجَوَابُ الْمُفْصَلُ (١) فَيَكُونُ بِالْعَمَلِ بِالْأَسْبَابِ الْمُنْجِيَاتِ الَّتِي أُرْسِدَ إِلَيْهَا
النَّبِيُّ ﷺ وَمِنْهَا:

الإيمانُ باللهِ تعالى ورسوله ﷺ، والتَّمَسُّكُ بِهَدْيِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَعَدَمُ مَخَالَفَةِ
أَوْامِرِهِمَا، ففي «الصحيحين» (٢) من حديثِ أَسْمَاءِ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهَا قَالَتْ:
أَتَيْتُ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ خَسَفَتِ الشَّمْسُ، فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ يُصَلُّونَ، وَإِذَا هِيَ
قَائِمَةٌ تُصَلِّي فَقُلْتُ: مَا لِلنَّاسِ؟ فَأَشَارَتْ بِيَدِهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَتْ:

سُبْحَانَ اللَّهِ، قُلْتُ: آيَةٌ؟ فَأَشَارَتْ أَيُّ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَقُمْتُ حَتَّى تَجَلَّيَ الْعَشِيُّ،
فَجَعَلْتُ أَصْبُ فَوْقَ رَأْسِي الْمَاءَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ
قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ كُنْتُ لَمْ أَرَهُ، إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا، حَتَّى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَلَقَدْ
أُوجِبَ إِلَيَّ أَنْكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ، مِثْلَ أَوْ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ، يُؤْتَى أَحَدُكُمْ فَيَقَالُ لَهُ:
مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوْ الْمُؤْمِنَةُ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، جَاءَنَا
بِالْيَقِينِ وَالْهُدَى، فَأَجَبْنَا وَأَمَنَّا وَاتَّبَعْنَا، فَيَقَالُ لَهُ: نَمَّ صَالِحًا، فَقَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمْؤَمِنًا،
وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوْ الْمُرْتَابُ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُ».

ومن الأسبابِ المنجياتِ من عذابِ القبرِ:

الشهادةُ في سبيلِ اللهِ تعالى ففي سُنَنِ الترمذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الألبانيُّ في
«صحيحِ الترغيبِ» (٣) من حديثِ المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) الروح (٧٩).

(٢) رواه البخاري (٦٨٥٧)، ومسلم (٩٠٥).

(٣) (صحيح) رواه الترمذي (١٦٦٣)، وابن ماجه (٢٧٩٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٣٧٥).



وَيَجِزُّ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَلْعَةٍ، وَيَبْرَأُ مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْقَرْعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَأْتُوهُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُسْقَعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ».

ومن الأسباب المنجيات من عذاب القبر:

ففي سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «الصححة»^(١) عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَيْهِ - لا يكتب له ثواب جديد - إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُسَمَّى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ».

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَسْأَلَةِ وَخَيْرَ الدُّعَاءِ وَخَيْرَ النَّجَاحِ، وَخَيْرَ الْعَمَلِ وَخَيْرِ الثَّوَابِ، وَخَيْرِ الْحَيَاةِ وَخَيْرِ الْمَمَاتِ، وَبَيْتَنَا وَنَقْلَ مُوَارِيثِنَا، وَحَقَّقْ إِيْمَانَنَا وَارْزُقْ دَرَجَاتِنَا، وَتَقَبَّلْ صَلَاتِنَا، وَاعْفِرْ خَطِيئَتِنَا، وَنَسْأَلُكَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فَوَائِحَ الْخَيْرِ وَخَوَاتِمَهُ، وَجَوَامِعَهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ، وَالدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا نَأْتِي، وَخَيْرَ مَا نَفْعَلُ، وَخَيْرَ مَا نَعْمَلُ، وَخَيْرَ مَا بَطُنَ وَخَيْرَ مَا ظَهَرَ، وَالدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ.

وسبحانك الله ويحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



(١) (صحيح) روى الترمذي (١٦٢١) وصححه الألباني في «الصححة» (٤١٩).

٣- النفخ في الصور

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٦] ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿النساء: ١﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧] ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] ﴿الأحزاب: ٧٠-٧١﴾.

أما بعد: فإنَّ أصدقَ الحديثِ كلامُ اللهِ، وخَيْرُ الهديِ هديُّ مُحَمَّدٍ - صلى اللهُ عليه وعلى آله وسلم - وَشَرُّ الأمورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بدعةٌ، وَكُلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وَكُلُّ ضلالةٍ في النَّارِ.

أما بعد: فحديثي اليوم عن النفخ في الصور فقد وَرَدَ النَّفْخُ في الصورِ في آياتٍ كثيرة، منها: قولُ اللهِ تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُوكَ﴾ [٥١] ﴿يسر: ٥١﴾، وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعْدِ﴾ [٢٠] ﴿ق: ٢٠﴾، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [١٨] ﴿انبأ: ١٨﴾، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [١١] ﴿المؤمنون: ١١﴾.

وكذلك وَرَدَ في سنةِ رسولِ اللهِ ففي سننِ الترمذيِّ بسندٍ صحيحٍ صحَّحَهُ الألبانيُّ في



جامع الترمذي^(١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقُرْنِ قَدِ التَّمَمَ الْقُرْنَ وَاسْتَمَعَ الْإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْحِ فَيَنْفُخُ»، فكان ذلك ثقلاً على أصحاب النبي فقال لهم: «قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا».

وعندما يأتي ذلك اليوم يُنْفَخُ في الصور، فتُنْهَى هذه النفخة الحياة في الأرض والسماء، قال تعالى: ﴿وَيُنْفِخُ فِي الصُّورِ فَصَيَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨].

وهذه النفخة كما ذكر الله تعالى نفخة هائلة مدمرة يسمعها الناس فلا يستطيعون معها أن يوصوا بشيء، بل لا يتقدرون أن يرجعوا إلى أهلهم وأحبائهم قال تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ (١٩) فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ﴿٥٠﴾ [يس: ٥٠، ٤٩].

وليعلم الجميع أن الناقور والصور اسمان لمسمى واحد.

ولكن ما هو الصور؟

الصور في لغة العرب: القرن.

ففي سنن الترمذي بسند صحيح صححة الألباني في «صحيح الجامع»^(٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما الصور؟ قال: «الصور قرن يُنْفَخُ فيه».

(١) (صحيح) رواه الترمذي، وصححة الألباني في جامع الترمذي (٦/ ٦٢٠) رقم (٢٤٣١).

(٢) (صحيح) رواه الترمذي، وأبو داود، وابن جبان، وأحمد، والحاكم، وصححة الألباني في صحيح الجامع (٢٨٦٣).

يوم غزاة النساء

٢٠٠

وقد سَمَّى اللهُ تعالى الصوتَ الذي يُخْرِجُهُ إِسْرَافِيلُ ﷺ من الصورِ بِأَسْمَاءِ هِيَ:

(١) النَّفْخَةُ: قال تعالى: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (١٣) ﴿[الأنعام: ١٣].

(٢) الصَّيْحَةُ: قال تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ (١١) ﴿[يس: ٤٩].

(٣) الرَّاجِفَةُ: قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرُجُّبُ الرَّاجِفَةُ﴾ (٦) ﴿تَبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ (٧) ﴿[التازعات: ٧، ٦].

(٤) الرَّجْرَجَةُ: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (١٣) ﴿[التازعات: ١٣].

فإسرافيل ﷺ ينفخ نفخة وزجرة - وهي النفخة بغضبٍ - تُحدث صيحة عظيمة ترجف لها الأرض والقلوب.

ذكر ابن حجر في فتح الباري أنه اشتهر أن صاحب الصور إسرافيل - عليه الصلاة والسلام - ووقع التصريح به في بعض الأحاديث، وقد أخبرنا الرسول ﷺ أن صاحب الصور مستعد دائما للنفخ فيه منذ أن خلقه الله تعالى، ففي مستدرک الحاكم بسند صحيح صححه الألباني في «الصححة»^(١) من حديث أبي هريرة روى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن طُرفَ صاحبِ الصورِ مُنذُ وُكِّلَ بِهِ مُسْتَعِدٌّ يَنْظُرُ نَحْوَ الْعَرْشِ، مَخَافَةَ أَنْ يُؤَمَرَ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ، كَأَنَّ عَيْنَيْهِ كَوْكَبَانِ دُرِّيَّانِ».

وفي هذا الزمان الذي اقتربت فيه الساعة، أصبح إسرافيل ﷺ أكثر استعداداً وتهيؤاً للنفخ في الصور، ففي سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في جامع الترمذي^(٢) من حديث أبي سعيد الخدري روى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمَ وَقَدْ التَّقَمَ صَاحِبُ الْقُرْنِ الْقَرْنِ، وَحَتَّى جَبَهَتَهُ، وَأَصْفَى سَمْعَهُ، يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤَمَرَ أَنْ

(١) رواه الحاكم، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣ / ٦٥)، برقم (١٧٧٨).

(٢) سبق تخريجه ص ١٢٧.



يَتَفُخَّ فَيَنْفُخُ»، قال المسلمون: فكيف نقول يا رسول الله؟ قال: «قولوا: حَسْبُنَا اللهُ ونعم الوكيل، توكلنا على الله ربنا».

ويومُ الجُمُعَةِ هو اليومُ الذي يكونُ فيه الصَّعْقَةُ:

تقومُ السَّاعَةُ في يومِ الجُمُعَةِ، جاء في صحيحِ مسلمٍ^(١) وغيره عن أبي هريرة قال: قال رسولُ اللهِ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ».

وجاء في حديثٍ آخَرَ في السُّنَنِ، عن أوسِ بنِ أوسٍ قال: قال رسولُ اللهِ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ قُبِضَ وَفِيهِ النَّفْخَةُ وَفِيهِ الصَّعْقَةُ فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ فَإِنَّ صَلَاتِكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ»^(٢). ولهذا كان هذا اليومُ العظيمُ يومُ الجُمُعَةِ هو اليومُ الذي تُشْفِقُ فيه الخلائقُ خوفاً وهاجساً، إلا الجنَّ والإنسَ، ففي مسندِ أحمدَ صحيحُ صحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ»^(٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُهْبِطَ وَفِيهِ تَبَّ عَلَيْهِ وَفِيهِ مَاتَ وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ مُسِيخَةٌ - أَي مُضْفِيَةٌ مُسْتَمِعَةٌ - يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ حِينَ تُصْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ إِلَّا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ».

(١) رواه مسلم (١٤١١).

(٢) (صحيح) أخرجه أحمد (٨ / ٤) وأبو داود (١٤٧)، والنسائي (٣ / ٩١ - ٩٢) وصحَّحَهُ الألبانيُّ في الصحيحة (١٤٢٧).

(٣) (حسن) رواه أحمد (٢ / ٤٨٦)، وأبو داود (٧٤٦)، والترمذي وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيحِ الجامعِ» (٣٣٣٤).

ولكن كم مرة يُنفخ في الصور؟

فالذي دلت عليه الآيات والأحاديث أن إسرأفيل يُنفخ في الصور مرتين، الأولى يُحصلُ بها الصعق، والثانية يُحصلُ بها البعث، قال تعالى: ﴿وَيُنْفِخُ فِي الصُّورِ فَصَوَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يُنظَرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

وقد سمى القرآن النفخة الأولى بالرَّاجِفَةِ، والنفخة الثانية بالرَّادِفَةِ، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾ [النازعات: ٦، ٧].

وفي موضع آخر سمى الأولى بالصَّيْحَةِ، وصرَّح في الثانية بالنفخ في الصور. قال تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿١٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٠﴾ وَيُنْفِخُ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٢١﴾﴾ [س: ٤٩-٥١].

وقد جاءت الأحاديث مُصَرِّحَةً بالتَّفَخُّتَيْنِ، جاء في الصحيحين^(١) من حديث أبي هريرة عن النبي قال: «ما بين التَّفَخُّتَيْنِ أربعون، قالوا: يا أبا هريرة: أربعون يوماً، قال: أبيتُ، قالوا: أربعون سنةً، قال: أبيتُ، قالوا: أربعون شهراً، قال: أبيتُ، ويُبَلَىٰ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَّا عَجَبُ ذَنْبِهِ فِيهِ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ».

وهذا الحديث صريحٌ بأنها تَفَخَّتَانِ.

وفي صحيح مسلم^(٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصٍ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «ثُمَّ يُنْفِخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَىٰ لِيَتَا وَرَفَعَ لِيَتَا قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ قَالَ فَيَضَعُ وَيَضَعُ النَّاسُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ أَوْ

(١) رواه البخاري (٤٥٣٦)، ومسلم (٢٩٥٥).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤٠).



أول عظة النساء

٢٠٤

وْخُلَاصَةُ الْقَوْلِ أَنَّ النِّفْخَةَ الْأُولَى لِهَلَاكِ الْعِبَادِ، وَالنِّفْخَةَ الثَّانِيَةَ لِبَعْثِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَقَدْ رَجَّحَ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ عَلَيْهِ الْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ الَّتِي سُقْنَاهَا جَمْعٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، مِنْهُمْ الْقُرْطُبِيُّ، وَابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ.

اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَارَنَا عَلَيَّ مَنْ ظَلَمْنَا، وَانصُرْنَا عَلَيَّ مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا.

«اللَّهُمَّ انقَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا، وَعَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَزِدْنَا عِلْمًا».

وسبحانك الله وبحمديك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



ضويب ب. Calicut



٤- الحَشْرُ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢] [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٣٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الأحزاب: ٧١-٧٢].

أما بعد: فإنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَذَّاتُهَا وَكُلُّ مُخَذَّاتٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي الآن سيكون عن حَشْرِ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَقَدْ دَلَّتِ الْأَدِلَّةُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى حَشْرِ الْعِبَادِ بَعْدَ بَعْثِهِمْ إِلَى أَرْضِ الْمَحْشَرِ وَهُوَ جَمْعُ الْعِبَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِحَسَابِهِمْ وَالْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ عَلَى أَرْضِ الْمَحْشَرِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بَعْدَ الْبَعْثِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [١١] [الأنعام: ٥١]، وَقَالَ ﷻ: ﴿رَبِّوَمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَوْ يَلْتَمِتُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [١٥] [برنوس: ١٥]، وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَيَوْمَ نُسِِّرُ

أول عرض النساء

٢٠٦

الْجِبَالِ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْتَهُمْ فَلَمْ تُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿١٧﴾ [الكهف: ١٧]، وقال ﷺ: ﴿يَوْمَ تَشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ١١].

ونحن نتشرف لمعرفة أي أرض يُحشرُ عليها الناس يوم القيامة.

والجواب الأرض التي يُحشرُ العبادُ عليها في يوم القيامة أرض أخرى غير هذه الأرض، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٨﴾﴾ [إبراهيم: ١٨].

وفي صحيح مسلم^(١) من حديث عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله عن قوله ﷺ: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾ فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: عَلَى الصَّرَاطِ.

وفي صحيح مسلم^(٢) أيضًا عن ثوبان رضي الله عنه قال: كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ فَجَاءَ جِبْرِيلُ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا، فَقَالَ: لِمَ تَدْفَعُنِي؟ فَقُلْتُ: أَلَا تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلِي»، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: جِئْتُكَ أَسْأَلُكَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: «أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟» قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنِي، فَتَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ بَعُودَ مَعَهُ، فَقَالَ: سَلْ. فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْحِشْرِ».

وفي «الصحيحين»^(٣) عن سهيل بن سعيد رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُحْشَرُ

(١) رواه مسلم (٢٧٩١).

(٢) رواه مسلم (٣١٥).

(٣) رواه البخاري. واللفظ له (٦٠٤٠)، ومسلم (١٩٩٨).



النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقِرْصَةِ النَّقِيِّ لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لِأَحَدٍ.

وَفِي رِوَايَةٍ قَالَتْ سَهْلٌ أَوْ غَيْرُهُ: «لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ».

العفراءُ هِيَ الْبَيْضَاءُ لَيْسَ بِبَاضِئَةٍ بِالنَّاصِعِ.

النَّقِيُّ هُوَ الْخُبْزُ الْأَبْيَضُ.

وَالْمَعْلَمُ بِفَتْحِ الْمِيمِ مَا يُجْعَلُ عَلَمًا وَعَلَامَةً لِلطَّرِيقِ وَالْحُدُودِ وَقِيلَ الْمَعْلَمُ الْأَثَرُ وَمَعْنَاهُ أَنَّهَا لَمْ تُوْطَأْ قَبْلُ فَيَكُونُ فِيهَا أَثَرٌ أَوْ عَلَامَةٌ لِأَحَدٍ.

أَصْنَافُ الْمَخْشُورِينَ:

الْمُؤْمِنُونَ يُخْشَرُونَ بِبَيْضِ الْوُجُوهِ مُسْتَبِيرَةً وَجُوهُهُمْ مَسْرُورَةٌ، وَأَمَّا الْكَافِرُونَ وَالْمُنَافِقُونَ وَالْمَجْرِمُونَ فَإِنَّهُمْ يُخْشَرُونَ سَوْدَ الْوُجُوهِ مُغْبِرَةً وَجُوهُهُمْ مِنَ الْخِزْيِ وَالْخُذْلَانِ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۖ خَاطِبَةٌ مُّسْتَبِيرَةٌ ﴿٣٦﴾ وَوُجُوهٌُ يَوْمَئِذٍ عَلَيَّهَا غَبْرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفَجْرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [عبس: ٣٨-٤٢].

خَشِرُ الْكُفَّارِ عَلَى وَجُوهِهِمْ:

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَخْشَرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وَجُوهِهِمْ عُنُقًا وَبُكَاءٌ وَصَنَاءٌ مَا أَوْدَاهُمْ جَهَنَّمَ ۚ كَمَا خَبَتِ رَدْدَتْهُمُ سَوِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإسراء: ٩٧].

وَفِي «صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ»^(١) مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَيْفَ يُخْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ؟ قَالَ: «الَّذِي أَلْبَسَ الَّذِي أَمْسَاهُ عَلَى الرَّجُلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَائِدًا عَلَى أَنْ يُمَثَّبَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»، قَالَ قَتَادَةُ: بَلَى وَعِزَّةُ رَبِّنَا.

(١) رواه البخاري (٤٧٦٠).

وَمَشْهَدُ الْحَشْرِ عَلَى الْوَجْهِ فِيهِ مِنَ الْإِهَانَةِ وَالتَّحْقِيرِ، مَا يُقَابِلُ التَّعَالِي وَالِاسْتِكْبَارَ
وَالْإِعْرَاضَ عَنِ الْحَقِّ، إِنَّهُ مَشْهَدٌ يُذَلُّ الْكِبْرِيَاءَ، وَيُرْزَلُ الْعِنَادَ، وَيَهْزُ الْكِيَانَ: ﴿الَّذِينَ
يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ سُوءَ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ﴿٢١﴾ [الفرقان: ٢٢].

يُحْشَرُ النَّاسُ حُفَاءَ عُرَاءَ غَيْرِ مَخْتُونِينَ

دَلَّتِ النُّصُوصُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَنَّ الْعِبَادَ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاءَ عُرَاءَ غُرُلًا أَيِ
غَيْرِ مَخْتُونِينَ كَمَا وَلَدَتْهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ، فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»^(١) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ
النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاءَ عُرَاءَ غُرُلًا - ثُمَّ قَرَأَ -: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ
تُبْدِيهِمْ وَعَدَّ عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ﴿١٠١﴾ [الأنبياء: ٣٠] وَأَوَّلُ مَنْ يَكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ،
وَإِنَّ أَنَا مِنْ أَصْحَابِي يُؤَخِّدُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ فَأَقُولُ: أَصْحَابِي أَصْحَابِي. فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ
لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَيَّ أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتُهُمْ. فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: «وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ
شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَقَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» ﴿٣٣﴾ إِنْ تَعَدَّ بِهِمْ
فَأَنْتُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» ﴿٣٤﴾ [المائدة: ٣٣، ٣٤].

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاءَ عُرَاءَ غُرُلًا». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، النَّسَاءُ
وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ. قَالَ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ، الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ
بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ».

(١) رواه البخاري (٢٣٦٩).

(٢) رواه مسلم (٢٨٥٩).

يُبْعَثُ النَّاسُ عَلَى أَعْمَالِهِمْ:

دَلَّتِ النُّصُوصُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَنَّهُمْ يُبْعَثُونَ عَلَى الْعَمَلِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَهُ عِنْدَ مَوْتِهِمْ يَدُلُّ عَلَى هَذَا مَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحِينَ»^(١) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا، أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ يُعْشَوْنَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ».

وَجَاءَ أَنَّ الَّذِي يَمُوتُ وَهُوَ مُخْرِمٌ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبَّيًّا، فِي «الصَّحِيحِينَ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ إِذْ وَقَعَ عَنْ رِجْلَيْهِ فَوَقَصَتْهُ - أَوْ قَالَ: فَأَوْقَصَتْهُ - قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفَّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ، وَلَا تُحَنِّطُوهُ وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبَّيًّا».

وَالشَّهِيدُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا قُتِلَ، فِي «صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ»^(٣) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَلِمُهُ يَدْمَى، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ وَالرِّيحُ رِيحُ مَسْكٍ».

«اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تَبَلَّغْنَا بِهِ جَسَدَكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تَهْوُنُ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ نَارَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا تَبْلُغْ عَلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ

(١) صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ (٧٢٨) وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ (٧٤١٥).

(٢) صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ (٧٢٨) وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ (٧٤١٥).

(٣) رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ (٥٥٣٣).

عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا.

اللَّهُمَّ عَلَّمْنَا الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَنَقَّهْنَا فِي الدِّينِ.

«اللَّهُمَّ ارزُقْنَا الذرية الطيبة وبارك لنا فيما أعطيتنا».

«اللَّهُمَّ اكْفِنَا بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنَا بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ».

وسبحانك الله وبحمديك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



٥- الشفاعة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢] ﴿١﴾
 [عمران: ٧٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَنَدٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿١﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٦٦] ﴿١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإنَّ أصدقَ الحديثِ كلامُ اللهِ، وخَيْرُ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صلى اللهُ عليه وعلى آله وسلم - وشرُّ الأمورِ محدثاتها وُكُلٌ محدثةٌ بدعةٌ، وُكُلٌ بدعةٌ ضلالةٌ، وُكُلٌ ضلالةٌ في النارِ.

أما بعدُ: فحديثي الآن سيكونُ حوَلِ الشفاعةِ يومَ القيامةِ وستكونُ الشفاعةُ بعد أن يُحْشَرَ الناسُ إلى أرضِ المَحْشَرِ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا - أي غيرِ مَخْتُونين -، تَلْتَوُ الشمسُ من الرؤوسِ بِمِقْدَارِ مِيلٍ، وَيُغْرِقُهُمُ العَرَقُ أو يَكَادُ، ويصبحُ الناسُ في عذابٍ وهمُّ وغمٌّ وضيقٌ وشدةٌ، فعند ذلك يقرعونَ إلى الأنبياءِ والمرسلين حتى يشفعوا عند الله ﷻ لِيَسْأَلَ الحِسَابَ.

والشفاعةُ عند اللهِ: سؤالُ اللهِ التَّجَاوُزَ عن الذنوبِ والآثامِ للغيرِ.

وحقيقتها أنَّ اللهُ تعالى يُلطِّفُهِ وكرَمِهِ يَأْذَنُ يومَ القيامةِ لبعضِ الصالحينِ مِنْ خَلْقِهِ مِنَ الملائكةِ والمرسلينِ والمؤمنينِ أنْ يَشْفَعُوا عندهُ في بعضِ أصحابِ الذنوبِ من أهلِ التوحيدِ إظهارًا لكرامةِ الشافعينِ عندهُ ورحمةً بالمشفوعِ فيهم.

وَلَا تَصِحُّ الشَّفَاعَةُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا بِشَرْطَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: إِذْنُ اللَّهِ تَعَالَى لِلشَّافِعِ أَنْ يَشْفَعَ، وَقَدْ دَلَّ عَلَى هَذَا الشَّرْطِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سَبَأ: ٢٣] لِأَنَّ المَشْرِكِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الأصْنَامَ يَقُولُونَ: إِنَّهَا شَفَاعَةٌ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، وَهُمْ يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ ﷻ فِيهَا بِالِدَعَاءِ وَالِاسْتِغَاثَةِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. وَهُمْ بِذَلِكَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُعْظَمُونَ لِلَّهِ، وَلَكِنَّهُمْ مُتَقَصُّونَ لَهُ، لِأَنَّهُ عَلَيْهِمْ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ الْحَكْمُ التَّامُّ الْمُطْلَقُ وَالْقُدْرَةُ التَّامَّةُ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى شَفَاعَةٍ. وَيَقُولُونَ: إِنَّا نَعْبُدُهُمْ لِيَكُونُوا شَفَاعَةً لَنَا عِنْدَ اللَّهِ، فَيَقْرَبُونَا إِلَى اللَّهِ، وَهُمْ ضَالُّونَ فِي ذَلِكَ، فَهُوَ - سُبْحَانَهُ - عَلَيْهِمْ وَقَدِيرٌ وَذُو سُلْطَانٍ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَفَاعَةٍ، وَالْمَلُوكُ فِي الدُّنْيَا يَحْتَاجُونَ إِلَى شَفَاعَةٍ، إِمَّا لِقُصُورِ عِلْمِهِمْ، أَوْ لِنَقْصِ قُدْرَتِهِمْ، فَيُسَاعِدُهُمُ الشَّفَاعَةُ فِي ذَلِكَ، أَوْ لِقُصُورِ سُلْطَانِهِمْ، فَيَجْرَأُ عَلَيْهِمُ الشَّفَاعَةُ، فَيَشْفَعُونَ بِدُونِ اسْتِذْنَانِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ ﷻ كَامِلُ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالسُّلْطَانِ، فَلَا يَحْتَاجُ لِأَحَدٍ أَنْ يَشْفَعَ عِنْدَهُ، وَلِهَذَا لَا تَكُونُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ سُبْحَانَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ لِكَمَالِ سُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ. ثُمَّ الشَّفَاعَةُ لَا يُرَادُ بِهَا مَعُونَةُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - فِي شَيْءٍ مِمَّا شُفِعَ فِيهِ، فَهَذَا مُمْتَنِعٌ وَلَكِنْ يُقْصَدُ بِهَا أَمْرَانِ، هُمَا:

١- إِكْرَامُ الشَّافِعِ.

٢- نَفْعُ المَشْفُوعِ لَهُ.

الثَّانِي: رِضَا اللَّهِ عَنِ المَشْفُوعِ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ فِيهِ، وَقَدْ دَلَّ عَلَى هَذَا الشَّرْطِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وَقَدْ دَلَّتِ النُّصُوصُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى أَنْ يَشْفَعَ إِلَّا فِي أَهْلِ التَّوْحِيدِ قَالَ تَعَالَى فِي الكُفَّارِ: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

ضويوب ب. Calicut



والشفاعةُ الثابتةُ بشروطها، أنواع:

منها أنواعٌ خاصةٌ بالنبي ﷺ، وأنواعٌ مشتركةٌ بينه وبين غيره من الأنبياء، والملائكة والصالحين والأفراط الذين ماتوا قبل البلوغ، كلُّ هؤلاء يشفعون عند الله ﷻ.

وأما الشفاعةُ الخاصةُ بالنبي ﷺ فهي أنواع: الشفاعةُ الخاصةُ بالنبي ﷺ وهي: الشفاعةُ العظمى التي يتأخر عنها أولو العزم من الرسل، حتى تستهي إليه ﷺ فيقول: «أنا لها» (وهي المقامُ المحمود). ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أنسٍ رضي الله عنه أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يُحْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُهْمُوا بِذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ، أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، لِيَشْفَعْنَا لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، قَالَ: فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، قَالَ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ: أَكَلَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَقَدْ نُهِيَ عَنْهَا، وَلَكِنْ اتُّوا نُوحًا، أَوَّلَ نَبِيِّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ: سُؤَالَهُ رَبَّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَلَكِنْ اتُّوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، قَالَ: فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ ثَلَاثَ كَلِمَاتٍ كَذَبَهُنَّ، وَلَكِنْ اتُّوا مُوسَى عَبْدًا آتَاهُ اللَّهُ التَّوْرَةَ، وَكَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا، قَالَ: فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ: قَتَلَهُ النَّفْسَ، وَلَكِنْ اتُّوا عِيسَى، عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، وَرُوْحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ، قَالَ: فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنْ اتُّوا مُحَمَّدًا عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأْتُونِي، فَاسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي، فَيَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدًا، وَقُلْ يُسْمَعُ،

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٣٥٠، ٤٧١٢، ٧٥١٠)، ومسلم رقم (١٩٣، ١٩٤).

وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، وَسَلْ تُعْطَى، قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُنْفِي عَلَى رَبِّي بِشَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ، فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، قَالَ قَتَادَةُ: وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا يَقُولُ: «فَأَخْرُجُ فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعَنِي، ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدًا، وَقُلْ يُسْمَعُ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، وَسَلْ تُعْطَى، قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُنْفِي عَلَى رَبِّي بِشَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، قَالَ: ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحْدُ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ، فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، قَالَ قَتَادَةُ: وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا يَقُولُ: «فَأَخْرُجُ، فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ النَّالِثَةَ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعَنِي، ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدًا، وَقُلْ يُسْمَعُ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، وَسَلْ تُعْطَى، قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُنْفِي عَلَى رَبِّي بِشَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، قَالَ: ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحْدُ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ»، قَالَ قَتَادَةُ، وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «فَأَخْرُجُ فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، حَتَّى مَا يَنْقَى فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ. أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ - قَالَ: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ ﴿٧٦﴾»، قَالَ: وَهَذَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وَعَدَهُ نَبِيِّكُمْ.

هذه شفاعته عليه الصلاة والسلام في الفصل بين الخلائق، وهي مقام عظيم شرف الله به النبي ﷺ، وهي المقام المحمود الذي قال الله سبحانه فيه: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ فَتَهِجَّدَ بِهِ، نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ ﴿٧٦﴾ [الإسراء: ٧٦]؛ لِأَنَّهُ يَحْمَدُهُ عَلَيْهِ الْأَوْلُونَ وَالْآخِرُونَ، وَيُظَهِّرُ فَضْلَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ.

الشفاعة الثانية: الخاصة بالنبي ﷺ: شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، أي: في فتح باب الجنة.

وهذه الشفاعة تُبَيِّنُ لنا كيف أنَّ الإنسان لا يُمكنُ أن يُرضي رَبَّهُ، ولا يُمكنُ بحالٍ من الأحوال أن يَقْبَلَهُ اللهُ إلا إذا أتى خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ مُقْتَبِيًا أَمْرَهُ، فَحَتَّىٰ بَعْدَمَا قَضَى اللهُ بَيْنَ الْعِبَادِ وَبَعْدَمَا قَضَى لِأَهْلِ الْجَنَّةِ بِالْجَنَّةِ، ولأَهْلِ النَّارِ بِالنَّارِ، إلا أنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لا يُمكنُ أن يَدْخُلُوهَا وَيَكْمُلُ التَّمَتُّعُ فِيهَا إلا بَعْدَ شَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ، كما في «صحيح مسلم»^(١) من حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ»، فَهوَ ﷺ أَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بِأَبِ الْجَنَّةِ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُهَا فِي «صحيح مسلم»^(٢) من حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَى بِأَبِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَاسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: بِكَ أَمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُهَا مِنَ الْأُمَّةِ أُمَّتُهُ ﷺ.

الشفاعةُ الثالثةُ: الخاصَّةُ بالنَّبِيِّ ﷺ: شفاعتُهُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ بِأَن يَرْفَعَ اللهُ مَنَازِلَهُمْ وَدَرَجَاتِهِمْ، فَيَسْقَعُ فِي أَنْاسٍ فِي أَنْ يَرْفَعَ اللهُ دَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَيَرْفَعُهُم اللهُ بِشَفَاعَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

الشفاعةُ الرابعةُ: - وهي مُشْتَرَكَةٌ - الشفاعةُ فِي أَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَيَمْنُ اسْتَحَقَّ دُخُولَ النَّارِ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا، وَفِي مَنْ دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا، وَهَذِهِ هِيَ مَحَطُّ الْخِلَافِ بَيْنَ الْفِرْقِ؛ فَالْجَهَنَّمِيَّةُ وَالْخَوَارِجُ وَأَصْرَابُهُمْ أَنْكَرُوهَا وَقَالُوا: مَنْ دَخَلَ النَّارَ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَثَبَتُوهَا كَمَا جَاءَتْ وَاعْتَقَدُوهَا، وَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَعْتَقِدَهَا وَيُؤْمِنَ بِهَا، وَتَكُونُ فِي أَهْلِ الْكِبَائِرِ فِيهَا مُشْتَرَكَةٌ، يَشْتَرِكُ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ وَغَيْرُهُ فَالْمَلَائِكَةُ يَشْفَعُونَ، وَالْأَنْبِيَاءُ يَشْفَعُونَ، وَالْأَوْلِيَاءُ وَالصَّالِحُونَ يَشْفَعُونَ

(١) رواه مسلم رقم (١٩٦).

(٢) أخرجه مسلم رقم (١٩٧).

أهل الكفاية

٢١٦

بمعنى: أن الذين فعلوا الكبائر وَغَلَبَتْ سَيِّئَاتُهُمْ حَسَنَاتِهِمْ، وقد قضى الله أنهم من أهل النار، يأتي النبي ﷺ فَيُشْفَعُ فِيهِمْ، ويأتي المؤمنون فيشفعون فيهم، ويأتي الأنبياء والمرسلون فيشفعون فيهم، فيقبل الله هذه الشفاعة فلا يُدْخِلُهُم النار.

هذه شفاعَةٌ عظيمةٌ جدًا في أهل الكبائر، والدليل على هذه المسألة ما جاء في «صحيح مسلم»^(١) من حديث أنس: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي» وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ فَاسْتُجِيبَ لَهُ، وَإِنْ أُرِيدُ أَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ أَذْخِرَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وقد بُنِيَتْ هذه الشفاعةُ بما جاء في «الصحيحين»^(٣) من حديث طويل عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفيه قوله ﷺ: «فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ. وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدِ عَادُوا جَمْعًا».

وليس معنى هذا أن الله يُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَهُمْ كُفَّارًا؛ بل المعنى أنهم لم يعملوا خيرًا سوى الشهادتين ولولاهما لما خرجوا؛ شَأْنُهُمْ شَأْنُ غَيْرِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ.

الشفاعةُ الخامسة: وهي خاصَّةٌ بالنبي ﷺ، وهي شفاعتُهُ في عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ: أَبُو طَالِبٍ مَاتَ عَلَى الشُّرْكِ وَعَلَى دِينِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْمُشْرِكِ، قَالَ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ، فَصَارَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ الْخَالِدِينَ فِيهَا. وَلَكِنَّ اللهَ ﷻ يُشْفَعُ رَسُولُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي تَخْفِيفِ الْعَذَابِ عَنْهُ، فَيَكُونُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ نَارٍ، مَا

(١) رواه مسلم (٢٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٢٣ / ٥)، رقم (٥٩٤٥)، ومسلم (١ / ١٩٠)، رقم (١٩٩).

(٣) رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).



يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدَّ مِنْهُ عَذَابًا، مَعَ أَنَّهُ أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مِنْهُ فَنَقِي «الصَّحِيحِينَ» (١)
عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمَّهُ فَقَالَ: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ
شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعَبِيئِهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاعُهُ».

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِأَنَّ نَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ
يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.

اللَّهُمَّ نَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا
نُحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ.

«اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلءَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمِثْلَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ،
أَهْلُ النَّوَاءِ وَالْمَعْجِدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ وَكُلَّمَا لَكَ عَبْدٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا
مُعْطِيٍّ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ».

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤١٧)، وَمُسْلِمٌ (٢٣).

٦- الحوض

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [آل عمران: ٧٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَوْا خَلْقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً. وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي قَسَا لَكُمْ بِيَوْمِ بَدْرٍ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿٧١﴾﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا وَكُلُّ مُخَدَّنَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

وبعد: فحديثي اليوم سيكون عن الحوض والحوض وما أدراك ما الحوض الحوض مورد عظيم أعطاه الله لنبينا محمد ﷺ في المحشر يرثه هو وأُمَّتُه فهو مكرمة ومِنَّة عظيمة على نبيه ﷺ، ليواصل المؤمنون به الشرب الحسي، كما شربوا في الدنيا الشرب المعنوي من الاهتداء والافتداء به ﷺ، ولا يشرب ذلك الشرب الحسي في عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ شَرِبَ الشُّرْبَ الْمَعْنَوِيَّ فِي الدُّنْيَا، وَإِلَّا فَإِنَّهُ يَذَّادُ عَنْهُ وَيُطْرَدُ جَزَاءً وَفَاقًا؛ لِأَنَّهُ أُعْرِضَ عَنِ الْاِهْتِدَاءِ وَالْاِفْتِدَاءِ بِمَنْ اصْطَفَاهُمُ اللَّهُ لِتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَيُجَازَى بِطَرِيْقِهِ فِي الْآخِرَةِ عَنِ الشُّرْبِ مِنْهُ.



وَيُعْرَفُ الْحَوْضُ بِأَنَّهُ هُوَ مُجْتَمَعُ الْمَاءِ، وَحَوْضُ الرَّسُولِ «الَّذِي يَسْقِي مِنْهُ أُمَّتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وَلَمَّا ظَهَرَ لِأُمِّ إِسْمَاعِيلَ مَاءٌ زَفَزَمَ جَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ، أَي تَجْعَلُ لَهُ حَوْضًا يَجْتَمِعُ فِيهِ. وَالْجَمْعُ: حِيَاضٌ وَأَخْوَاضٌ^(١).

وَيُعْرَفُ الْحَوْضُ شَرْحًا: مَا أَثْبَتَهُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَاجْتِمَاعُ سَلَفِ الْأُمَّةِ مِنْ وَجُودِ حَوْضٍ يَجْمَعُ الْمَاءَ النَّازِلَ مِنْ نَهْرِ الْكَوْثَرِ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ خَاصٌّ بِالنَّبِيِّ ﷺ. أَيْنَ يَكُونُ مَوْقِعُ حَوْضِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

الصَّحِيحُ الرَّاجِعُ: أَنَّ حَوْضَ النَّبِيِّ ﷺ يَكُونُ فِي عَرَصَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَبْلَ الْمُرُورِ عَلَى الصَّرَاطِ.

صِفَاتُهُ:

قَالَ ابْنُ أَبِي الْعِزِّ الْحَنَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالَّذِي يَتَلَخَّصُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي صِفَةِ الْحَوْضِ أَنَّهُ حَوْضٌ عَظِيمٌ وَمُورِدٌ كَرِيمٌ، يُمَدُّ مِنْ شَرَابِ الْجَنَّةِ، مِنْ نَهْرِ الْكَوْثَرِ الَّذِي هُوَ أَشَدُّ بِيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَخْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ، وَهُوَ فِي غَايَةِ الْإِتْسَاعِ، عَرْضُهُ وَطَوْلُهُ سِوَاءٌ كُلُّ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ^(٢).

مَسَافَةُ الْحَوْضِ:

وَرَدَتْ أَحَادِيثٌ عَدِيدَةٌ تُشِيرُ إِلَى مَسَافَةِ الْحَوْضِ وَسَعَتِهِ، فَمِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ: فِي «الصَّحِيحِينَ»^(٣) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي

(١) تاج العروس (١/ ٤٦٧٩، ٤٦٧٨).

(٢) شرح الطحاوية (١/ ٢٨١).

(٣) رواه البخاري (٦٧٩٤) واللفظ له، ومسلم (٤٢٥٨).

كَمَا بَيْنَ أَيْلَةٍ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ».

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ وَرَوَايَاهُ سَوَاءٌ وَمَاؤُهُ أَيْضُ مِنَ الْوَرِيقِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ وَكِيْرَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا».

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةٍ مِنْ عَدْنٍ، لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ وَلَا يَنْبُتُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ، وَإِنِّي لِأَصْدُ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَصْدُ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ لَكُمْ سِيمًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَّمِ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَبَّبِينَ مِنْ أَمْرِ الْوُضُوءِ».

الإيمان به:

الإيمان بالحَوْضِ مِمَّا اتَّفَقَ عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

قال الإمام أحمد رضي الله عنه: «وَالْإِيمَانُ بِالْحَوْضِ وَأَنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ «حَوْضًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتُهُ، عَرْضُهُ مِثْلُ طَوْلِهِ مَسِيرَةُ شَهْرٍ، آيَتُهُ كَعَدَدِ نَجُومِ السَّمَاءِ عَلَى مَا صَحَّحَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ»^(٣).

وَنَقَلَ الْأَجْرِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - قَالَ: «أَلَا تَرَوْنَ إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه يَتَعَجَّبُ مِمَّنْ يَشْكُ فِي الْحَوْضِ إِذْ كَانَ عِنْدَهُ أَنَّ الْحَوْضَ مِمَّا يُؤْمِنُ بِهِ

(١) رواه البخاري (٦٩٣) واللفظ له، ومسلم (٤٢٤٤).

(٢) رواه مسلم (٣٦٤).

(٣) مجمل اعتقاد أئمة السلف (١/ ٤٧).



الخاصة والعامّة حتى إن العجائز يسألن الله ﷻ أن يسقيهن من حوضه «فنعودُ بالله ممن لا يؤمنُ بالحوضِ، ويكذبُ به...» (١).

أما من أين مصدرُ الحوضِ؟

الحوضُ يجري من الجنةِ عبرَ نهرِ الكوثرِ فيصبُّ في حوضِ النبي ﷺ قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: ١].

وفي «صحيح مسلم» (٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بيّنا رسولُ الله ذاتَ يومٍ بينَ أظهرنا إذ أغفَى إغفاهةً ثم رفعَ رأسه متبسّماً فقلنا: ما أضحكك يا رسولَ الله؟ قال: أنزلت عليّ آيةً سورةً فقرأتُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ۝١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۝٢﴾ إِنَّكَ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ ثُمَّ قَالَ: أَنْتَدُرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ فَقُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي ﷻ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ: رَبُّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي. فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَخَدْتُ بِعَدِكَ.

وهذه الآية تُثبتُ أمرين:

الأول: الكوثرُ وهو نهرٌ من أنهارِ الجنةِ وعدّه رسولُ الله وحُصَّ به دونَ غيره.

الثاني: إثباتُ الحوضِ، وهو مَجْمَعُ مَصَّبِ ماءِ نهرِ الكوثرِ في عَرَصاتِ القيامةِ يَرِدُ عليه مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّةِ لِيَشْرَبَ شَرْبَةً لَا يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا.

(١) الشريعةُ للأجْرِي (٢/ ٤٢٣).

(٢) رواه مسلم (٦٧٧).

أدلة ثبوت الحوض من الكتاب والسنة والإجماع:

الحوض الذي شرف الله به نبيه ﷺ في عرصات يوم القيامة ثابت بالكتاب والسنة، وأيضاً أجمع السلف الصالح على ثبوت الحوض للنبي ﷺ، وهذه فضيلة تشرف بها النبي ﷺ، إظهاراً لمكانته ومنزله عند الله يوم القيامة، وأجمع السلف على ذلك، وهذا الإجماع ما انخرق، لكن خالف أهل السنة والجماعة الخوارج والمعتزلة فأنكروا الحوض، وهؤلاء - إن شاء الله - سيحرمون ويصدون عن هذا الحوض، وهم أشد ما يحتاجون إلى هذا الحوض في عرصات يوم القيامة جزاء وفاقاً، والجزاء من جنس العمل.

وها هي الأدلة كالشمس في رابعة النهار:

ففي «الصحيحين»^(١) حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا قرطكم على الحوض، فمن وردته شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً، ليرد عليّ أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم» قال أبو حازم فسمعتي النعمان ابن أبي عياش وأنا أحدثهم هذا فقال: هكذا سمعت سهلاً فقلت: نعم. قال وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعتُه يزيدُ فيه قال: «إنهم مني فيقال إنك لا تدري ما بدلوا بعدك. فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي».

وفي «الصحيحين»^(٢) من حديث عتبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج يوماً فصلّى على أهل أحد صلواته على الميت، ثم انصرف على المنبر، فقال: إني قرط لكم وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح

(١) رواه البخاري (٦٥٢٨) واللفظ له، ومسلم (١٤٤٣).

(٢) رواه البخاري (٦١٢٢) واللفظ له، ومسلم (١٤٤٨).



خَزَائِنِ الْأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحِ الْأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي،
وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا.

وفي «صحيح مسلم»^(١) عن ثوبان قال: سُئِلَ النَّبِيُّ عَنْ شَرَابِهِ، فَقَالَ: «أَشَدُّ بَيَاضًا
مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ يَغْتُ (أَي يَصُبُّ وَيَسِيلُ) فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِيهِ مِنَ الْجَنَّةِ
أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ وَالْآخَرُ مِنْ وَرِقٍ».

وَوَجْهُ الدَّلَالَةِ إِثْبَاتُ الْحَوْضِ لِلنَّبِيِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَيَجِبُ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَرِدُونَ الْحَوْضَ، وَهُنَاكَ مَنْ يُدَاوُونَ عَنْهُ:

فَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ صِفَةَ الَّذِينَ يَرِدُونَ عَلَى حَوْضِهِ، وَالَّذِينَ يُمْنَعُونَ مِنَ الشُّرْبِ
مِنْهُ، وَهَذَا بَعْضُ مَا وَرَدَ مِنْهَا:

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»^(٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «أَنَا
فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ وَلَيُرْفَعَنَّ مَعِيَ رِجَالٌ مِنْكُمْ ثُمَّ لِيُخْتَلَبَنَّ دُونِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ
أَصْحَابِي قَبْلًا: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَخَذُوا بَعْدَكَ».

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»^(٣) عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ
النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ
أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونَنِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ» قَالَ أَبُو حَازِمٍ:
فَسَمِعَنِي النَّعْمَانُ ابْنُ أَبِي عِيَّاشٍ فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتَ مِنْ سَهْلِ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ:

(١) رواه مسلم (٤٢٥٦).

(٢) رواه البخاري (٦٩٠).

(٣) رواه البخاري (٦٩٧).

أول خطب النساء

٢٢٤

أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ لَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَزِيدُ فِيهَا فَأَقُولُ: «إِنَّهُمْ مِنِّي. فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُمَا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي».

قال القرطبي رحمته الله: قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين: فكل من ارتد عن دين الله، أو أخذت فيه ما لا يرضاه الله، ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض، المُبعدين عنه، وأشدُّهم طردًا من خالف جماعة المسلمين، وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلُّهم مُبدلون.

وكذلك الظلمة المُسرفون في الجور والظلم وتطمس الحق وقتل أهله وإذلالهم والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع. ثم البعد قد يكون في حال، ويُقربون بعد المغفرة إن كان التبديل في الأعمال، ولم يكن في العقائد، وعلى هذا يكون نور الوضوء يُعرفون به، ثم يقال لهم: سُحْقًا، وإن كانوا من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله يُظهرون الإيمان ويُسرِّون الكفر فيأخذهم بالظاهر، ثم يُكشَفُ لهم الغطاء فيقال لهم: سُحْقًا سُحْقًا، ولا يُخلد في النار إلا كلُّ جاحِدٍ مُبطلٍ، ليس في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان^(١).

وقد يُقال: إذا ثبت أن الحوض من شرب منه من المؤمنين شربة لم يُصبه الظمأ أبدًا، فأبي حاجة بعد ذلك إلى الشرب في الجنة من نهر الكوثر؟

وقد أجاب العلماء عن هذا فقالوا: إن أهل الجنة لا يشربون نتيجة لعطش يُصيبهم، وإنما يشربون تَلذُّذًا وشهوة لا لدفع الجوع والعطش^(٢).

(١) كتاب التذكرة: ص ٣٦.

(٢) تكملة شرح الصدر ص ٣٦.



اللَّهُمَّ اسْقِنَا مِنْ حَوْضِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ شَرِبَةً لَا نَظْمًا بَعْدَهَا أَبَدًا.

اللَّهُمَّ نَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا نَحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ظُلْمًا كَبِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفِرْ لَنَا مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ.

اللهم إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ.

وسبحانك الله وبحمديك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



٧- الحساب

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الاحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُخَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

حديثي اليوم سيكون عن الحساب يوم الحساب.

والمراد بالحساب أن يُوقَفَ اللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ - عِبَادَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيُعْرَفَهُمْ بِأَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا، وَأَقْوَالِهِمُ الَّتِي قَالُوهَا، وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا مِنْ إِيْمَانٍ وَكُفْرٍ، وَاسْتِقَامَةٍ وَانْحِرَافٍ، وَطَاعَةٍ وَعَصْيَانٍ، وَمَا يَسْتَحِقُّونَهُ عَلَى مَا قَدَّمُوهُ مِنْ ثَوَابٍ أَوْ عِقَابٍ، ثُمَّ يُؤْتِيهِمْ كُتُبَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَأَخِذْ كِتَابَهُ بِالْيَمِينِ إِنْ كَانَ صَالِحًا، وَأَخِذْ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ إِنْ كَانَ طَالِحًا.

ضويوب بـ ضويوب



قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْفَهُ بِمَا عَمِلَهُ ۖ فَبِإِسْنِهِ ۗ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا بَسِيرًا ﴿٨﴾ وَتَقَلَّبَ إِلَىٰ
أَهْلِيهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْفَهُ وَرَأَىٰ ظَهْرَهُ ۗ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ
فِي أَهْلِيهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِبَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ [الانشقاق: ٧-١٥].

وَيَشْمَلُ الْحِسَابُ مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ لِعِبَادِهِ، وَمَا يَقُولُونَهُ لَهُ، وَمَا يُقِيمُهُ عَلَيْهِمْ مِنَ
الْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ، وَشَهَادَةِ الشُّهُودِ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ مِنْ آيَاتِنَا نُنَلِّقُ عَلَيْكَ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [المؤمنين: ١٥٥]،
وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ
هَذَا قَالُوا بَلَىٰ ﴿ [الزُّمَرُ: ٧١].

أما أين يكون الحساب؟

فيكون في عَرَصَةِ الْقِيَامَةِ قَبْلَ الْمِيزَانِ وَيَلِي الْمِيزَانَ الصُّرَاطُ.

كَيْفَ يُحَاسَبُ الْعَبْدُ؟

الحساب يُذَكَّرُ وَيُرَادُ بِهِ عَرَضُ الْأَعْمَالِ عَلَى الْعَبْدِ، وَهَذَا بِلَا رَيْبٍ الْمُرَادُ مِنَ
الحسابِ، دَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ
أَنْجُلُهُمْ ﴿ [يس: ٦٥]، وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿ [الإنشقاق: ١٥٥]﴾
[الإسراء: ١٥] فَهَذَا عَرَضٌ لِلأَعْمَالِ، وَيُبَيِّنُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لِلْكَافِرِ هَذِهِ الْأَعْمَالُ وَيُكَلِّمُهُ
وَيَجْعَلُهُ فِي خَسْرَةٍ وَنَدَامَةٍ عَلَىٰ مَا فَعَلَ وَضَيَّعَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَخَابَ وَخَسِرَ فِي الْآخِرَةِ.

الدليل على أن الله ﷻ يُحَاسِبُ عِبَادَهُ:

قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا بَسِيرًا ﴿ [الانشقاق: ٨]، ويقول تعالى عن
المؤمنين: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنْ يَكُونَ مِنْكُمْ جَسِيَّةٌ ﴿ [الحاقة: ١٠]، وكذلك الكافر يقول: ﴿يَنْتَنِي لِرَأْسِ

يَكْتَبِيهِ ﴿٢٥﴾ وَلَا أَدْرِي مَا حِسَابِيَةَ ﴿٢٦﴾ [الحاقة: ٢٥ - ٢٦]، ويقولُ تعالى: ﴿ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَبِيبًا ﴿١١﴾ [الإسراء: ١١]، ويُخبرُ اللهُ عن سرعةِ الحِسَابِ فيقولُ: ﴿ وَاللَّهُ سَرِيعٌ لِّحِسَابِ ﴿٢٠﴾ [البقرة: ٢٠]، فالحِسَابُ على الأعمالِ حَقٌّ، ففي «الصحيحين» (١) من حديثِ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ نُوقِسَ الحِسَابَ عُذِبَ».

اللهُ هو الذي يتولَّى الحِسَابَ:

واللهُ ﷻ هو الذي يُحاسبُ الناسَ جميعاً بنفسِهِ، بدونِ واسِطَةٍ.

ففي «الصحيحين» (٢) من حديثِ عديِّ بنِ حاتمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِمُهُ اللهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».

وفي لَفْظٍ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ وَلَا حِجَابٌ يَحْجُبُهُ» (٣).

ويومُ الحِسَابِ يومٌ عظيمٌ تحضرُهُ الملائكةُ ومعها كُتُبُ الأعمالِ التي أَحْصَتْ أعمالَ الخلائِقِ وَسَجَّلَتْهَا فِيهَا: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهذا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿١١﴾ [الكنه: ١١]، وقال تعالى: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا

(١) رواه البخاريُّ (٦٥٣٩) ومسلمٌ (٣١٦).

(٢) رواه البخاريُّ (٦٥٣٩)، ومسلمٌ (٣١٦).

(٣) رواه البخاريُّ (٧٤٤٣)، ومسلمٌ (٣١٦).



كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾ [النمل: ٨٩، ٩٠]. وقال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا يَتْلَمَّهَا وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأنعام: ١٦٥].

الرُّسُلُ - عليهم الصلاة والسلام - يَخْضَرُونَ الْحِسَابَ:

فالرُّسُلُ في هذا اليومِ العظيمِ يُخْبِرُونَ عن تَبْلِيغِ الأمانةِ التي تَحَمَّلُوها، وَيَشْهَدُونَ على أقوامِهِمْ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

وهكذا الأَشْهادُ من الملائكةِ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينًا ﴿١١﴾ يَتْلُمُونَ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢] يَشْهَدُونَ على العبادِ بما عَمِلُوا، وَلِشِدَّةِ هذا اليومِ العظيمِ يَجْتُمِعُ العِبَادُ على الرُّكْبِ خوفاً وهلعاً. وقال تعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الجاثية: ٢٨].

مِيزَةٌ لِهَذِهِ الأُمَّةِ يَوْمَ الْحِسَابِ:

وفي هذا اليومِ تَظْهَرُ فَضِيلَةُ خَاصِّ اللهِ بِهَا أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وهي اِخْتِصَاصُهَا بِشَهادَتِهَا لِلأنبياءِ على أُمَّهِمْ، وبشَهادَةِ رسولِهِم ﷺ عليها، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال ﷺ: ﴿هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨]. وتكونُ شَهادَةُ هذه الأُمَّةِ على نَحْوِ ما قال ﷺ: ففي «صحيح البخاري»^(١) من حديثِ أبي سعيدٍ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «يُجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فيقولُ اللهُ تعالى: هل بَلَغْتَ؟ فيقولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، فيقولُ لِأُمَّتِهِ: هل

(١) البخاريُّ (٣٣٩).

بَلْفُكُم؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فيقول: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ وَالْوَسْطُ: الْعَدْلُ.

وَتَبْلُغُ الدَّقَّةُ فِي الْحِسَابِ مُتَّهِيًا مَا يُمَكِّنُ أَنْ يُتَّصَرَ، حَتَّى يَأْخُذَ كُلُّ وَاحِدٍ جِزَاءَ مَا عَمِلَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، سِوَاةِ أَكَانَ ذَلِكَ عَمَلًا مَارَسَهُ بِالْفِعْلِ، أَوْ عَمَلًا نَرَاهُ وَأَصْرًا عَلَيْهِ، فَتَقَامُ لِذَلِكَ مَوَازِينُ الْقِسْطِ، حَتَّى يَتَحَقَّقَ الْعَدْلُ الْإِلَهِيُّ عَلَى أَكْمَلِ صُورَةٍ.

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

ثم تكون عاقبة كل حساب رُجْحَانِ الْمِيزَانِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، أَوْ نُقْصَانِهِ.

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [١١٤] وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [١١٣].

أقسام الناس في الحساب:

القسم الأول: مَنْ يَكُونُ حِسَابُهُ يَسِيرًا وَهُمْ أَهْلُ الْيَمِينِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوَفِّي كِتَابَهُ يَمِينًا﴾ [٧] فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [٨] [الانشقاق: ٧-٨].

الثاني: مَنْ يَلْقَى سُوءَ الْحِسَابِ وَهُمْ أَهْلُ جَهَنَّمَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْإِحْسَانَ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَنَسَّ لِلْهَادِثِينَ﴾ [الرعد: ٨].



والمؤمنون في الحسابِ ثلاثة أقسام:

فَقَسِمَ لَا يُحَاسَبُ، وهؤلاء طائفة من أمة محمد ﷺ أَخْبَرَ عَنْهُمْ ﷺ، وَعِدَّتُهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِلَا حِسَابٍ، فِي «الصَّحِيحِينَ» (١) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَرِضْتُ عَلَيَّ الْأُمَّمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا سَدَّ الْأَفْقَ، فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، ثُمَّ قِيلَ: انظُرْ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأَفْقَ، فَقِيلَ لِي: انظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأَفْقَ، فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، وَمَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِلَا حِسَابٍ». وَفِي رِوَايَةٍ: «هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، وَهَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا قَدَّامَهُمْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ».

فهذه زيادةٌ فضيلةٌ لهؤلاء أنهم يتقدمون الأمة، وجاء في وظيفهم أنهم يدخلون الجنة في «الصحيحين» (٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في وصف السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب: «مُتَمَاسِكِينَ آخِذٌ بَعْضُهُمْ بِيَعْضٍ، لَا يَدْخُلُ أَوْلَاهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وَجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ».

وفي حديث آخر في «الصحيحين» (٣) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه «أنهم يدخلون زمرة واحدة».

وفي رواية في «صحيح مسلم» (٤): من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «سبعون ألفا، أو سبعمائة ألف» شك من الراوي.

(١) رواه البخاري (٥٧٥٢)، ومسلم (٢٢٠).

(٢) رواه البخاري (٦٥٤١)، ومسلم (٢١٦).

(٣) رواه البخاري (٦٥٥٤)، ومسلم (٢١٩).

(٤) رواه مسلم (٢١٧).

وَوَقَعَ فِي أَحَادِيثَ أُخْرَى فِي غَيْرِ الصَّحِيحِينَ أَنَّ مَعَ السَّبْعِينَ الْفَا زِيَادَةً عَلَيْهِمْ (١).
وَالْقِسْمُ الثَّانِي: لَا يُنَاقَشُونَ الْحِسَابَ، وَإِنَّمَا تُعْرَضُ أَعْمَالُهُمْ ثُمَّ يُتَجَاوَزُ لَهُمْ عَنْهَا،
فَفِي «صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ» (٢) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ نُوقِشَ
الْحِسَابَ عُذِّبَ» فَقَالَتْ عَائِشَةُ: أَوْ كَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا
يَسِيرًا؟ فَقَالَ: «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ، وَلَكِنْ مِنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكُ».

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ جَوْدَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صِفَةِ الصَّلَاةِ (٣) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:
سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ: «اللَّهُمَّ حَاسِبِي حِسَابًا يَسِيرًا»، فَلَمَّا انْصَرَفَ
قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ؟ قَالَ: «أَنْ يَنْظُرَ فِي كِتَابِهِ فَيَتَجَاوَزَ عَنْهُ - وَفِي رِوَايَةٍ
قَالَ: «الرَّجُلُ تُعْرَضُ عَلَيْهِ ذُنُوبُهُ ثُمَّ يُتَجَاوَزُ لَهُ عَنْهَا» - إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَئِذٍ يَا
عَائِشَةُ هَلَكُ».

وَالْقِسْمُ الثَّلَاثُ: يُنَاقَشُونَ الْحِسَابَ وَيُسْأَلُونَ فِيهِ عَنْ أَعْمَالِهِمْ، يُحَاسِبُونَ مُحَاسَبَةً
مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ. وَمِنْ أَمْثَلِهِ هَذَا الصَّنْفُ الَّذِي يُنَاقَشُ الْحِسَابَ وَتُوزَنُ
حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ صَاحِبُ الْبِطَاقَةِ الَّذِي فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ
فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٤) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلُصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ لَهُ نِسْعَةً

(١) «فتح الباري» (١١/ ٤١٠).

(٢) رواه البخاري (١٠٣).

(٣) [إسناده جيد] رواه أحمد (٦/ ٤٨) وجودة إسناده الألباني في «أصلب صفة الصلاة» (٣/ ١٣٧).

(٤) أخرجه الترمذي (٧/ ٣٩٥) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٧٦). وحسنه شيخنا
الوادعي - رحمه الله - في «الصحيح المنند» (٧٨٧).

وَتَسْمِينِ سِجِلًا، كُلُّ سِجِلٍ بِمِثْلِ مَدِّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنِّي هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ
 كَتَبْتَنِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُدْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ:
 بَلَى، إِنَّ لَكَ حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَتُخْرِجُ بَطَاقَةً، فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا
 اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزَنِّكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ
 الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّحَلَاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظَلِّمُ، قَالَ: فَتَوَضَّعَ السَّحَلَاتُ فِي كِفَّةِ،
 وَالْبَطَاقَةُ فِي كِفَّةِ، فَطَاشَتِ السَّحَلَاتُ، وَتَقَلَّتِ الْبَطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ أَحَدٌ.

اللَّهُمَّ حَاسِبِنَا حَسَابًا يَسِيرًا.

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ إِيمَانًا لَا يَزِيدُ، وَنَعِيمًا لَا يَنْقُذُ، وَمُرَاقَبَةً مُحَمَّدٍ ﷺ فِي أَعْلَى جَنَّةِ
 الْخُلْدِ.

اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا، وَأَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا، وَأَعْطِنَا وَلَا تَحْرِمْنَا، وَآثِرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ
 عَلَيْنَا، وَأَرْضِنَا وَارْضَ عَنَّا اللَّهُمَّ لَا تُخْرِزْنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وسبحانك الله وبحميدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرُكَ ونتوبُ إليك.



٨- الميزان

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ٦٢]، ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَّوْ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٣٠-٧١].

أما بعد: فإنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعدُ فحديثي اليوم عن الميزان، والميزان وما أدراك ما الميزان؟ إنَّه ميزانٌ عظيمٌ يُنْصَبُ فِي خِتَامِ يَوْمِ الْحِسَابِ لِيُوزَنَ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، لِأَنَّ الْوِزْنَ لِلْجَزَاءِ، وَهُوَ بَعْدَ الْمُحَاسَبَةِ، فَالْمُحَاسَبَةُ لِتَقْدِيرِ الْأَعْمَالِ، وَالْوِزْنُ لِإِظْهَارِ مَقَادِيرِهَا لِيَكُونَ الْجَزَاءُ بِحَسَبِهَا^(١).

وهو ميزانٌ حَقِيقِيٌّ حِسِّيٌّ لَا يَقْدَرُ قَدْرَهُ إِلَّا اللَّهُ، وَهُوَ مِيزَانٌ دَقِيقٌ لَا يَزِيدُ وَلَا يُنْقُصُ.

(١) تهذيب اللُّغَةِ (٤/ ٣٧٨).



والدليل على الميزان من الكتاب والسنة:

قال الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أُنْزِلَ بِهَا وَكَفَى بِنَاحِسِيِّينَ ۗ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۗ ﴾ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ۗ ﴾ [الأعراف: ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴿٨﴾ فَأَمَّهُ هَكَايَةٌ ﴿٩﴾ ﴾ [القارعة: ٦-٩].

والدليل من السنة:

فيه أحاديث كثيرة تُذكرُ طرقاً منها:

ففي سنن الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(١) عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلُصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ سَجَلًا، كُلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كِتَابِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَتُخْرَجُ بِطَاقَةٍ، فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: اخْضُرْ وَزُنْكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبَطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتْ السَّجَلَاتُ، وَثَقُلَتِ الْبَطَاقَةُ، فَلَا يُثْقَلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ أَحَدٌ».

(١) (صحيح) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٧٦).

وفي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدِ حَسَنِ حَسَنَةَ الْأَبَانِيِّ فِي «الصَّحِيحَةِ»^(١) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَتَعَجَّبُونَ مِنْ دِقَّةِ سَاقِيهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهَمَا فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ أَحَدٍ».

وفي «الصَّحِيحِينَ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِالْأَكُولِ الشَّرُوبِ الطَّوِيلِ، فَيُوزَنُ فَلَا يَزِنُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾^(٣) [الكَهْفُ: ٦٥].

ما الذي يُوزَنُ فِي الْمِيزَانِ؟

والذي يُوزَنُ فِي الْمِيزَانِ ثَلَاثَةٌ، وَقَدْ ذَكَرْتُ عَلَى ذَلِكَ النِّصُوصُ:

١- الْأَعْمَالُ، فَقَدْ ثَبَّتَ أَنَّهَا تُجَسَّمُ وَتُوزَنُ فِي الْمِيزَانِ.

وَقَدْ جَاءَتْ نِصُوصٌ كَثِيرَةٌ فِي ذَلِكَ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، فِي «الصَّحِيحِينَ»^(٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ».

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(٥) عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالصَّلَاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ

(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١/ ٤٢٠) وَحَسَنَةُ الْأَبَانِيِّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٢٧٥٠).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٧٢٩)، وَمُسْلِمٌ (٢١٤٧).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٤٥٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٦٩٤).

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣٢٨).



لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايَعُ نَفْسَهُ فَمُعْتَقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا».

وأخرج الترمذي بسند صحيح صححه الألباني في «الصححة»^(١) عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلِقَ حَسَنًا، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَدِيءَ».

٢- صُحُفُ الْأَعْمَالِ، وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»^(٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلُصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُسْرُّ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَتُخْرِجُ بَطَاقَةً، فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَرَنَّاكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظَلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبَطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ، وَتُقَلَّتِ الْبَطَاقَةُ، فَلَا يَتَقَلُّ مَعَ اسْمِ اللَّهِ أَحَدٌ».

٣- الْعَامِلُ نَفْسُهُ، وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِ مَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحِينَ»^(٣) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِالْأَكْوَالِ الشَّرُوبِ الطَّوِيلِ، فَيُوزَنُ فَلَا يَزِنُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَلَا نَقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾^(١٥٠) [الكهف: ١٥٠].

(١) (صحيح) أخرجه الترمذي (٢٠٠٢) وصححه الألباني في «الصححة» (٨٧٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

وفي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بَسْنَدِ حَسَنِ حَسَنَةَ الْأَلْبَانِيِّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (١) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكَا مِنَ الْأَرَازِكِ وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفُؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟»، قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَنْتَقِلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدِهِ».

وما أحسن ما قال الشاعر:

تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَزْدِرِيهِ وَفِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ هَضُورُ
وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ فَتَبْتَلِيهِ فَيُخْلِيفُ ظَنَّاكَ الرَّجُلَ الطَّرِيرُ

قال شارح الطحاوية: «فَتَبَّتْ وَزَنَ الْأَعْمَالِ وَالْعَامِلِ وَصَحَائِفِ الْأَعْمَالِ، وَتَبَّتْ أَنَّ الْمِيزَانَ لَهُ كَفَّتَانِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِمَا وِرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْكَيْفِيَّاتِ» (٢).

والأعمال التي تثقل في الميزان كثيرة نذكر منها:

حُسْنُ الْخُلُقِ: فَأَنْتَقِلُ مَا يُوَضَّعُ فِي مِيزَانِ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ خُلُقِهِ أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٣) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا شَيْءٌ أَنْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقِي حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُفِضُ الْفَاحِشَ الْبِذِيءَ».

ثَانِيًا: قَوْلُ: سَبَحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سَبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، فِي «الصَّحِيحِينَ» (٤) مِنْ

(١) تقدّم تخريجُه.

(٢) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية (٣/ ٣٠).

(٣) تقدّم تخريجُه.

(٤) تقدّم تخريجُه.



حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ».

ثالثاً: قول: الحمد لله ففي «صحيح مسلم»^(١) عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعُ نَفْسَهُ فَمُعْتَقُهَا أَوْ مَوْبِقُهَا».

رابعاً: من احتبس فرساً في سبيل الله: ففي «صحيح البخاري»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِيْمَانًا بِاللَّهِ وَتَصَدِيقًا بَوَعْدِهِ، فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِيثَهُ وَرَوْنَهُ وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وماذا تتوقع أن يكون بعد الانتهاء من الحساب والميزان؟

بعد الانتهاء من الحساب والميزان، يأخذ كل كتابه، ويقرأ ما فيه، فأخذ كتابه يمينه وأخذ كتابه بشماله ومن وراء ظهره، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينَهُ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَكُنْتُمْ بِشِمَالِهِمْ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَنَا مِنَ الَّذِينَ لَا يَلْعَنُونَ﴾ [١١] في الجنة عَالِكُمْ ﴿١٢﴾ فَطَرَفُهَا دَائِبَةٌ ﴿١٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ اللَّالِيَةِ ﴿١٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ شِمَالِيًّا فَيَقُولُ يَتْلُوَنَّ عَلَيَّ لَوْ أَنِّي لَرَءُوتُ كِتَابِيَّةً ﴿١٥﴾ وَلَوْ أَنِّي لَأَدْرِمُ كِتَابِيَّةً ﴿١٦﴾ يَلْتَمِسُهَا كَاتِبُ الْفَاقِصَةِ ﴿١٧﴾ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴿١٨﴾ هَلَاكَ عَنِّي شَطْنِيَّةٌ ﴿١٩﴾ ﴿[الحاقة الآيات: ١٩ - ٢٩].

اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر، وعزيمة في الرشد، ونسألك شكر نعمتك،

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٢٦١).

مَوْعِظَاتُ النِّسَاءِ

٢٤٠

وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَنَسَأَلُكَ اللَّهُمَّ قَلْبًا سَلِيمًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَنَسَأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعَلَّمُ،
وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعَلَّمُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ عَمَّا تَعَلَّمُ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَمَلٍ يُخْزِنُنَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ غِنًى يُطْغِينَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ
صَاحِبٍ يُزِدُنَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ أَمَلٍ يُلْهِينَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ فَقْرٍ يُنْسِينَا.

اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا بِتَرْكِ الْمَعَاصِي أَبَدًا مَا أَبَقَيْتَنَا، وَارْحَمْنَا أَنْ نَتَكَلَّفَ مَا لَا يَعِينَا،
وَارزُقْنَا حُسْنَ النَّظَرِ فِيمَا يُرْضِيكَ عَنَّا.

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



٩- الصراط

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٢١] ﴿اللَّهِ عَمْرَان: ١٢٣﴾ ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] ﴿[الأحزاب: ٣-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُخَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

حديثي معكم اليوم عن الصراط وهو جسرٌ ممدودٌ على مثنى جهنم يَرُدُّه الأولون والأخرون وهو طريقُ أهلِ المَحْشَرِ لدخولِ الْجَنَّةِ. وقد دَلَّتِ الأدلَّةُ من الكتابِ والسنةِ على إثباتِ الصراطِ.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [٧١] ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا﴾ [٧٢] ﴿[مريم: ٧١، ٧٢].

فَسَرَّهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَقَتَادَةُ وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ بِالْمَرُورِ عَلَى الصَّرَاطِ قَالَ ابْنُ

أبي العزُّ والأظهرُ أنه المروزُ على الصراطِ (١).

وفي «الصحيحين» (٢) من حديثِ أبي سعيد الخُدريِّ رضي الله عنه وهو حديثٌ طويلٌ في الرُّؤيةِ والشَّفاعةِ رفيه عن رسولِ الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «... ثُمَّ يُؤْتَى بِالْحِجْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْحِجْرُ؟ قَالَ: مَدْحَضَةٌ مُرَلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكَةٌ مُفْلَطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عَقِيقَاءُ تَكُونُ بِتَجْدِ يَقَالُ لَهَا السَّعْدَانِ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرَّبِيعِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ وَمَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَمُرُّ آخِرُهُمْ يُسْعَبُ سَعْبًا».

وقد جاءَ وَصْفُ الصراطِ في نصوصٍ كثيرةٍ ومُلخَّصٌ ما جاءَ فيها أَنَّهُ أَدْقُ مِنَ الشَّعْرِ وَأَحَدٌ مِنَ السِّيفِ دَخُضٌ مُرَلَّةٌ لَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ قَدَمٌ إِلَّا مَنْ ثَبَّتَهُ اللَّهُ وَأَنَّهُ يُنْصَبُ فِي ظُلْمَةٍ فَيُعْطَى النَّاسُ أَنْوَارًا عَلَى قَدْرِ إِيمَانِهِمْ وَيَمْرُونَ فَوْقَهُ عَلَى قَدْرِ إِيمَانِهِمْ وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجِيزُ، وَدَعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَبِهِ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ (٣).

ففي «الصحيحين» (٤) من حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أناسٌ: يا رسولَ الله، هل نرى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَهُوَ حَدِيثٌ طَوِيلٌ، وَمَحَلُّ الشَّاهِدِ مِنْهُ قَوْلُهُ: «... وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ وَدَعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ وَبِهِ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟

(١) انظر تفسير البغوي (٥/ ٢٤٦).

(٢) رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣)، واللفظ للبخاري.

(٣) البخاري (٢٤١١، ٢٤١٢)، ومسلم (١٨٢، ١٨٣).

(٤) رواه البخاري (٦٠٨٨).



قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ مِنْهُمْ الْمُؤَبَّقُ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمْ الْمُخْرَدُلُ ثُمَّ يَنْجُو...».

أَوَّلُ مَنْ يَجُوزُ عَلَى الصَّرَاطِ:

بَيَّنَّ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ وَأُمَّتَهُ هُمُ أَوَّلُ مَنْ يَجُوزُونَ الصَّرَاطَ؛ تَكْرِيمًا وَتَشْرِيفًا لَهُمْ؛ وَإِظْهَارًا لِمَكَانَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ بَيْنَ الْأُمَّمِ، وَقَدْ قَالَ - كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْمَتَقَدِّمِ -: وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ...» وَهَذِهِ رَوَايَةُ الْبُخَارِيِّ.

وَفِي رَوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ (١) قَالَ: «... وَيُضْرَبُ الصَّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيَّ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ». وَمَعْنَى أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ: أَي أَوَّلَ مَنْ يَقْطَعُهُ وَيَمْضِي عَلَيْهِ.

إِنَّمَا وَاللَّهِ لِمَوَاقِفُ سَوْفَ تَمُرُّ بِهَا نَعْبُرُ الصَّرَاطَ، وَهُوَ الْجِسْرُ الْمَضْرُوبُ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَسَوْفَ نَمشي عَلَى الْجِسْرِ وَتَحْتَنَا نَارُ جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُطَلَّبُ مِنَّا أَنْ نَعْبُرَ هَذَا الْجِسْرَ وَهَنَّا كَلَالِبُ، تَشْبَهُ شَوْكَ السَّعْدَانِ، لَكِنْ لَا يَعْلَمُ عَظَمَهَا إِلَّا خَالِقُهَا، مَأْمُورَةٌ بِأَخِذِ مَنْ أَمِرتُ بِأَخِذِهِ، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: (٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنْبَيَّ الصَّرَاطِ، يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوْلَاكُمْ كَالْبَرَقِ». قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَيُّ شَيْءٍ كَمَرُّ الْبَرَقِ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرَقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرُّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرُّ الطَّيْرِ وَشَدَّ الرَّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصَّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ، سَلِّمْ، سَلِّمْ. حَتَّى تَعَجَزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا رَحْفًا». قَالَ: «وَفِي حَافَتِي

(١) رواه مسلم (٢٦٧).

(٢) رواه مسلم (١٥٩).

مَوْاعِظُ النَّاسِ

٢٤٤

الصُّرَاطِ كَلَالِيبٌ مُعَلَّقَةٌ، مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أَمَرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ. وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا، فَمَا نَحْنُ فَاعِلُونَ، وَالْمَرُورُ وَالْعَبُورُ كَمَا فِي الْحَدِيثِ بِحَسَبِ الْعَمَلِ فِي الدُّنْيَا؟! فَمِنْهُمْ الْمَوْتِيُّ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ الْمُخْرَدَلُ، وَمِنْهُمْ النَّاجِي.

إِنَّ النَّاسَ عَلَى الصُّرَاطِ، مِنْهُمْ مَنْ يُسَلِّمُهُ اللَّهُ ﷻ، فَلَا يَحْسُ بِأَلَمِ تِلْكَ الْخَطَاطِيفِ وَالْكَلَالِيبِ، وَهَؤُلَاءِ النَّاجُونَ وَلَيْسُوا عَلَى دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ عَبْرُهُ كَلَمَحِ الْبَصْرِ كَالطَّرْفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ عَبْرُهُ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ كَسْرَعَةِ الرِّيحِ، وَمِنْهُمْ كَأَجَارِيدِ الْخَيْلِ، وَهَكَذَا حَتَّى إِنْ أَخْرَجَهُمْ يَسْحَبُ سَحْبًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْجُو لَكِنْ يَصِيبُهُ شَيْءٌ مِنْ خُدُوشِ تِلْكَ الْكَلَالِيبِ، فَتَوَثَّرَ فِي جَسَدِهِ، وَمِنْهُمْ وَالْعِبَادُ بِاللَّهِ مَنْ تَأْخُذُهُ تِلْكَ الْكَلَالِيبُ فَلَا تَدْعُهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ بِهِ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ، مَكْدُوسًا فِيهَا، مَسْرُوقًا بِشِدَّةِ وَعْتَفِ مِنْ ورائِهِ لِيَكُونَ فَوْقَ مَنْ سَبَقَ، يُكَدَّسُونَ كَمَا تُكَدَّسُ الدَّوَابُّ فِي سَبِيلِهَا إِذَا رَكِبَ بَعْضُهَا بَعْضًا.

هَذَا حَالُ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ عَلَى الصُّرَاطِ، وَيَنْفَعُ الْعَبْدَ يَوْمَئِذٍ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَتَقَدِّمِ: «وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنْبَتِي الصُّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوْلَاكُمْ كَالْبَرْقِ»، قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَيُّ شَيْءٍ كَمَرَّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «الْأَمُّ تَرَوْنَ الْبَرْقَ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟! ثُمَّ كَمَرَّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرَّ الطَّيْرِ وَشَدَّ الرَّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيِّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصُّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَمُجَّزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا رَحْفًا»، قَالَ: «وَفِي حَافَتِي الصُّرَاطِ كَلَالِيبٌ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أَمَرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ، وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا».

ضويوب بـ Calicut

إن الأمانة والرحم تُرسلان فتقومان جنبتي الصراط، ما السبب في قيامهما ذلك؟ السبب هو أداء الشهادة للشخص أو عليه بما كان يفعله تجاههما، من القيام بهما، وأداء الواجب الذي أمر الله به نحوهما، والوفاء والتمام الذي كان يسير عليه في حياته الدنيا، أو تشهدان عليه بالخيانة والغدر وعدم القيام بالواجب نحوهما.

قال العلماء - رحمهم الله -: إن الناس على الصراط تجاه الأمانة والرحم قسمان وفريقان لا ثالث لهما: إما أمين فتشهد الأمانة له، أو خائن فتشهد عليه، وإما قاطع فيشهد الرحم عليه، وإما واصل فتشهد له.

فيا مَنْ في أعناقكم أماناتٌ، وكُنَّا كذلك، وكلُّ بحسبه، أد الأمانة قبل أن تزلَّ قَدَمٌ بعد ثبوتها في موطن تكون الزلَّة تحتها فعرُّ جهنم، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

الوضوء أمانة، والغسل أمانة، والعمل أمانة، والبيت والأولاد أمانة، والدعوة أمانة، والعلم أمانة، والولاية أمانة، ألا فليؤدِّ كلُّ مؤتمنٍ أمانته.

أما الرحمُ فَمِنْ يَوْمِ خَلَقَهَا اللهُ تَعَلَّقَتْ بِهِ ﷺ وقالت: كما جاء في «الصححين»^(١) عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ، أَبِي الْحُبَابِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ، ﷻ، لَمَّا خَلَقَ الْخَلْقَ، قَامَتِ الرَّحِمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ، قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: أَمَا تَرْضِينَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ، اقْرَأُوا إِنَّ شِئْئَكُمْ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا

(١) رواه البخاري (١٨٣١)، ومسلم (٢٥٥٤).

أَتَحَامَكُمُ ۖ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّهُمْ أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ
أَزْعَلَىٰ قُلُوبِ أَقْفَالِهَا ﴿٢٤﴾ .

ثم إن دعوى الأنبياء يومئذٍ على الصراط: اللهم سلّم سلّم. كما جاء في الحديث،
فماذا يقول غيرهم؟ ماذا عساه أن يقول قاطع الرجم أو مُصَيِّعُ الأمانة أو مُهْمِلُ
الصلاة أو تاركُ الزكاة؟ ماذا عساه أن يقول آكِلُ الرِّبَا وظالمُ العمالِ وشارِبُ
الخمر؟ بل كيف يكونُ حالُ المنافقين؟

قال ابن القيم رحمه الله:

وَيَضْرِبُ الْجِسْرُ وَيُسَاقُ الْخَلْقُ إِلَيْهِ وَهُوَ دَخْصٌ مَزَلَّةٌ مَظْلَمٌ، لَا يُمَكِّنُ عُبُورَهُ إِلَّا
بِنُورٍ، فَإِذَا انْتَهَوْا إِلَيْهِ قُسِّمَتْ بَيْنَهُمُ الْأَنْوَارُ عَلَى حَسَبِ نُورِ إِيْمَانِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ
وَأَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا فَنُورٌ كَالشَّمْسِ وَنُورٌ كَالنَّجْمِ وَنُورٌ كَالسَّرَاجِ فِي قُوَّتِهِ وَضَعْفِهِ.

وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّجِيمُ عَلَى جَنبَتِي الصَّرَاطِ فَلَا يَجُوزُهُ خَائِنٌ وَلَا قَاطِعُ رَجِيمٍ
وَيَخْتَلَفُ مَرُورُهُمْ عَلَيْهِ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ اسْتِقَامَتِهِمْ عَلَى الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فِي الدُّنْيَا
فَمَارٌّ كَالْبَرِّقِ وَكَالرَّيْحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَسَاعٍ وَمَاشٍ وَزَاحِفٌ وَحَاطٍ حَبِوًا.

وَيَنْصَبُ عَلَى جَنبَتِيهِ كَاللَّيْبِ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظِيمِهَا إِلَّا اللَّهُ ﷻ تَعَوَّقُ مِنْ عَلِقَتْ بِهِ
عَنِ الْعُبُورِ عَلَى حَسَبِ مَا كَانَتْ تَعَوَّقُهُ الدُّنْيَا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَمَرْضَاتِهِ وَعِبُودِيَّتِهِ فَنَاجٍ
مُسَلَّمٌ وَمَخْدُوشٌ مُسَلَّمٌ وَمَقْطَعٌ يَتَلَكَّ الْكَلَالِيْبِ وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ، وَقَدْ طُفِيَ نُورُ
الْمَنَافِقِينَ عَلَى الْجِسْرِ أَخْرَجَ مَا كَانُوا إِلَيْهِ كَمَا طُفِيَ فِي الدُّنْيَا مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَأَعْطُوا
دُونَ الْكُفَّارِ نُورًا فِي الظَّاهِرِ كَمَا كَانَ إِسْلَامُهُمْ فِي الظَّاهِرِ دُونَ الْبَاطِنِ فَيَقُولُونَ
لِلْمُؤْمِنِينَ قِفُوا لَنَا ﴿تَقْنِيسٌ مِنْ نُورِكُمْ﴾ وَمَا نَجُوزُ بِهِ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمَلَائِكَةُ ﴿ارْجِعُوا
وَرَأَى كُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ .



قِيلَ: الْمَعْنَى اِرْجِعُوا إِلَى الدُّنْيَا فَخُذُوا مِنَ الْإِيمَانِ نُورًا تَجُوزُونَ بِهِ كَمَا فَعَلَ الْمُؤْمِنُونَ.
وَقِيلَ: اِرْجِعُوا وِرَاءَكُمْ حَيْثُ قُسِّمَتِ الْأَنْوَارُ فَاتَمِسُوا هُنَاكَ نُورًا تَجُوزُونَ بِهِ.

ثُمَّ ضُرِبَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِسُورِ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ الَّذِي يَلِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿فِيهِ الرَّحْمَةُ
وَظُهُورُهُ﴾ الَّذِي يَلِيهِمْ ﴿مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ
وَتَوَلَّيْتُمْ وَأَنْتُمْ كَارِهُونَ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَزَّكَمُ بِاللَّهِ الْمُرُورُ ﴿١١﴾ قَالَ يَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ
وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا أُوْنَكُمْ النَّارُ مِنْ مَوْلَانَكُمْ وَيُنَسُّ الْمُعْبِدُ ﴿١٥﴾ [الْحَبِيدُ: ١٣-١٥] (١).

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ.

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَارْزُقْنَا عَنَّا وَتَقَبَّلْ مِنَّا وَأَدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَنَجِّنَا مِنَ النَّارِ
وَاصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ.

رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ نَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



(١) تُحْفَةُ الْمَوْلُودِ لِابْنِ الْقَيْمِ (٣٠٨).

١٠- القصاص يوم القيامة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢] ﴿[ال عمران: ١٧٢]﴾ ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿[النساء: ١]﴾ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧] ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١-٧٠] ﴿[الاحزاب: ٧١-٧٠].

أما بعد: فإنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا وَكُلُّ مُخَدَّنَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

فحديثي اليوم عن القصاص يوم القيامة.

يُقْتَصُّ الْحَكَمُ الْعَدْلُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِلْمَظْلُومِ مِنَ ظَالِمِهِ، حَتَّى لَا يَبْقَى لِأَحَدٍ عِنْدَ أَحَدٍ مَظْلَمَةٌ، حَتَّى الْحَيَوَانَ يُقْتَصُّ لِبَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا انْطَلَحَتْ شَاتَانِ إِحْدَاهُمَا جِلْحَاءُ لَا قَرُونَ لَهَا، وَالْأُخْرَى ذَاتُ قَرُونٍ، فَإِنَّهُ يُقْتَصُّ لَتِلْكَ مِنْ هَذِهِ، وَقَدْ دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَى إِبْتِاطِ الْقِصَاصِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [١٠] ﴿[النساء: ١٠]﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ نُجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ [غافر: ٢٥] الْآيَاتُ،

ضوبيا بـ Calicut



وقوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

وفي «صحيح مسلم»^(١) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لَتَوُذَّنَّ الْحُقُوقُ إِلَيَّ أَمَلَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ». والذي يعتدي على غيره بالضرب، يُقْتَصُّ منه بالضرب في يوم القيامة، ففي الحديث الصحيح الذي يرويه البخاري في «الأدب المفرد» والبيهقي في «السُنَنِ» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الجامع»^(٢)، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ ضَرَبَ بِسَوْطٍ ظَلَمًا، اقْتَصَّ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد»^(٣) عن عمارة، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ ضَرَبَ مَمْلُوكَهُ ظَالِمًا، أُقِيدَ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

والذي يَقْدِفُ مملوكه بالزنا يقام عليه الحدُّ يوم القيامة، إن كان كذابا فيما رماه به، ففي «صحيح مسلم»^(٤) عن أبي هريرة ﷺ قال: سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَدَّفَ مَمْلُوكَهُ وَهُوَ بَرِيءٌ مِمَّا قَالُ جُلِدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ».

مَتَى يُقْتَصُّ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ؟

يُقْتَصُّ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ فِي قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

(١) رواه مسلم (٢٥٨٢).

(٢) (صحيح) رواه البخاري في «الأدب المفرد» وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٧٤).

(٣) (صحيح) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٨٥)، والبيهقي (١٥٧٨٢). وقال الألباني في

«صحيح الأدب المفرد»: صحيح.

(٤) رواه البخاري (٢٤٤١).

ففي «صحيح البخاري»^(١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا خُلِّصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، حُجِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقَاصُونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا نَقُّوا وَهَدَّبُوا، أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحْدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَذَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانُ فِي الدُّنْيَا».

كَيْفَ يَكُونُ الْاِقْتِصَاصُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟

إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ كَانَتْ تَرْوَةُ الْإِنْسَانِ وَرَأْسُ مَالِهِ حَسَنَاتِهِ، فَإِذَا كَانَتْ عَلَيْهِ مَظَالِمٌ لِلْعِبَادِ فَإِنَّهُمْ يَأْخُذُونَ مِنْ حَسَنَاتِهِ بِقَدْرِ مَا ظَلَمَهُمْ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَوْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، فَإِنَّهُ يُؤْخَذُ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ فَيُطْرَحُ فَوْقَ ظَهْرِهِ. ففي «صحيح البخاري»^(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ».

وهذا الذي يأخذُ الناسُ حَسَنَاتِهِ، ثُمَّ يَقْدِفُونَ فَوْقَ ظَهْرِهِمْ بِسَيِّئَاتِهِمْ هُوَ الْمُفْلِسُ، كَمَا سَمَّاهُ الرَّسُولُ ﷺ، فِي «صحيح مسلم»^(٣) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مِنَ الْمُفْلِسِ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ: الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ».

(١) رواه البخاري (٦٨٥٨) ومسلم (١٦٦٠).

(٢) رواه البخاري (٦٥٣٤).

(٣) رواه مسلم (٢٥٨١).



والمدينُ الذي مات، وللناسِ في ذمِّتهِ أموالٌ يأخذُ أصحابُ الأموالِ من حسناتِهِ بمقدارِ ما لهم عنده، ففي «سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (١) عن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ ماتَ وعليه دينارٌ أو دِرْهَمٌ، قَضَى من حسناتِهِ، لَيْسَ ثَمَّ دينارٌ ولا دِرْهَمٌ» وإذا كانتِ بين العبادِ مظالمٌ مُتبادِلَةٌ اقْتَصَّ لبعضِهِم من بعضٍ، فإن تساوى ظلمُ كُلِّ واحدٍ منهما للآخرِ كان كَفافًا لا له ولا عليه، وإن بقي لبعضِهِم حقوقٌ عند الآخرِين أخذَها. ففي «سُنَنِ الترمذيِّ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الترمذيِّ» (٢) عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: «جاءَ رَجُلٌ ففَعَدَّ بين يَدَيِ الرسولِ ﷺ، فقال: يا رسولَ اللهِ، إنَّ لي مملوكين يُكذِّبُوني، ويخونونني ويعصونني، وأشتيمُهُم وأضربُهُم، فكيفَ أنا منهم؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «إذا كان يومُ القيامةِ يُحسَبُ ما خانوكَ وعصوكَ وكذَّبوكَ، وعقابُك إياهم، فإن كان عقابُك إياهم بِقَدْرِ ذُنُوبِهِم كان كَفافًا لا لَكَ، ولا عليك. وإن كان عقابُك إياهم دونَ ذُنُوبِهِم كان فضلًا لك، وإن كان عقابُك إياهم فوقَ ذُنُوبِهِم، اقتَصَّ لهم منك الفضلُ». فَتَنَحَّى الرَّجُلُ، وجَعَلَ يَهْتِفُ وَيَبْكِي. فقال له رسولُ اللهِ ﷺ: «أما تقرأ قولَهُ تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا وَكفَى بِناحِيسِينَ﴾» [الأنبياء: ٤٧].

ولما كانَ هذا شأنُ الظلمِ فَحَرِيٌّ بالعبادِ الذين يَخافون ذلكَ اليومَ أن يترُكوه وَيَجْتَنِبُوهُ وقد أَخبرَ الرسولُ ﷺ أن الظلمَ يكونُ ظُلُماتٍ في يومِ القيامةِ، ففي «الصحيحين» (٣) من حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ قال: «الظلمُ

(١) (صحيح) رواه ابنُ ماجَةَ (٢٤١٤). وصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٦٥٤٦).

(٢) (صحيح) رواه الترمذيُّ (٣١٦٥). وصَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الترمذيِّ» (٢٥٣١).

(٣) رواه البخاريُّ (٢٤٤٧)، ومسلمٌ (٢٥٧٩).

أول عظم الدماء

٢٥٢

ظَلَّمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظَلَمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

عِظَمُ شَأْنِ الدَّمَاءِ:

من أعظم الأمور عند الله أَنْ يَسْفِكَ الْعِبَادُ بَعْضُهُمْ دَمَ بَعْضٍ فِي غَيْرِ الطَّرِيقِ الَّذِي سَرَعَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي يَرَوِيهِ النَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ النَّسَائِيِّ»^(٢) عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: يَجِيءُ الرَّجُلُ آخِذًا بِيَدِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! هَذَا قَتَلَنِي. فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: لِمَ قَتَلْتَهُ؟ فَيَقُولُ: قَتَلْتُهُ لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لَكَ. فَيَقُولُ: فَإِنَّهَا لِي. وَيَجِيءُ الرَّجُلُ آخِذًا بِيَدِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ! إِنْ هَذَا قَتَلَنِي. فَيَقُولُ اللهُ: لِمَ قَتَلْتَهُ؟ فَيَقُولُ: لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لِفُلَانٍ! فَيَقُولُ: إِنَّهَا لَيْسَتْ لِفُلَانٍ فَيَبُوءُ بِإِيْمِهِ.

وفي «السُّنَنِ» لِلتِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ»^(٣) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَجِيءُ الْمُقْتُولُ بِالْقَاتِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَاصِبِيَّةً وَرَأْسُهُ بِيَدِهِ، وَأُودَاجُهُ تُشْحَبُ دَمًا، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟ حَتَّى يُدْنِيَهُ مِنَ الْعَرْشِ».

وَلِعِظَمِ أَمْرِ الدَّمَاءِ فَإِنَّهَا تَكُونُ أَوَّلَ شَيْءٍ يُقْضَى فِيهِ بَيْنَ الْعِبَادِ. فِي «الصَّحِيحِينَ»^(٤)

(١) رواه مسلم (٢٥٧٨).

(٢) (صحيح) رواه النسائي (٧ / ٨٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١ / ٣٤١). وقال الألباني في «صحيح النسائي» (٣٩٩٧): صحيح.

(٣) (صحيح) رواه الترمذي (٣٠٢٩)، والنسائي (٧ / ٨٧)، وابن ماجه (٢٦٢١) صحيح. وقال الألباني في «صحيح الجامع» (٨٠٣٦): صحيح.

(٤) رواه البخاري (٦٥٣٣)، ومسلم (١٦٧٨).



من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء». قال ابن حجر في شرحه للحديث: وفي الحديث عظم أمر الدم فإن البداءة إنما تكون بالأهم والذنب يعظم بحسب عظم المفسدة وتفويت المصلحة، وإعدام البنية الإنسانية غاية في ذلك (١).

وقال - أيضًا - ولا يعارض هذا حديث أبي هريرة رفته: «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلواته» (٢) الحديث أخرجه أصحاب السنن، لأن الأول محمول على ما يتعلق بمعاملات الخلق. والثاني: فيما يتعلق بعبادة الخالق. وقد جمع النسائي في روايته في حديث ابن مسعود بين الخبرين، وألفظه: «أول ما يحاسب العبد عليه صلواته، وأول ما يُقضى بين الناس في الدماء» (٣) (٤).

الاقتصاص للبهائم بعضها من بعض:

يقضي الله بين خلقه: الجن والإنس والبهائم، وإنه ليقيد يومئذ الجماء من القرناء، حتى إذا لم يتبق تبعه عند واحدة لأخرى قال الله: كونوا ترابًا، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿بَلِّغْتَنِي كُنْتُ تَرَابًا﴾ [النبا: ١٥]. هذا حديث أخرجه ابن جرير في (تفسيره) بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيح» (٥)، وفي رواية أخرجه ابن جرير بسند

(١) فتح الباري (١١ / ٣٩٧).

(٢) (صحيح) رواه أحمد (٩٤٩٠). وأبو داود (٨٦٤)، والترمذي (٤١٣)، والنسائي (١ / ٢٣٢)، وابن ماجه (١٤٢٥)، وقال الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٤٢٦) صحيح.

(٣) (صحيح) رواه النسائي (٧ / ٨٣). وقال الألباني في الصحيح (١٧٤٨): صحيح.

(٤) فتح الباري (١١ / ٣٩٦).

(٥) (صحيح) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤ / ١٨٠). صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة»

بشواهده (١٩٦٦).

صحيح صححه الألباني في «الصحيح»^(١) عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَخْشُرُ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ، كُلَّ دَابَّةٍ وَطَائِرٍ وَإِنْسَانٍ. يَقُولُ لِلْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ: كُونُوا تَرَابًا، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَلْتَنِي كُتُّ رَبِّئَا﴾ [البأ: ١٠]. وأخرج ابن جرير بسند جوده الألباني في «الصحيح»^(٢) عن عبد الله بن عمرو قال: إذا كان يوم القيامة مدَّ الأديم، وحُشِرَ الدَّوَابُّ والبهائمُ والموخَّسُ، ثُمَّ يَحْصُلُ الْقِصَاصُ بَيْنَ الدَّوَابِّ، يُقْتَضُّ لِلشَّاةِ الْجَمَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقِرْنَاءِ نَطْحَتَهَا، فإذا قرعَ من القصاصِ بَيْنَ الدَّوَابِّ، قال لها: كوني ترابًا. قال: فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَلْتَنِي كُتُّ رَبِّئَا﴾ [البأ: ١٠]. وفي صحيح مسلم^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لَتَوَدَّنَّ الْحَقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقِرْنَاءِ».

وأخرج أحمدُ بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيح»^(٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يُقْتَضُّ الْخَلْقُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ حَتَّى الْجَمَاءُ مِنَ الْقِرْنَاءِ، وَحَتَّى الذَّرَّةُ مِنَ الذَّرَّةِ».

وأخرج أحمدُ - بسند حسن حسنه الألباني في «الصحيح»^(٥) - عن أبي هريرة

(١) (صحيح) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨٠ / ٢٤). وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» بعد

حديث (١٩٦٦)، وهذا إسناد صحيح، ورجاله يُقات رجال مسلم غير ابن ثور.

(٢) (صحيح) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨٠ / ٢٤). وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» بعد

حديث (١٩٦٦): إسناده جيد.

(٣) رواه مسلم (٢٥٨٢).

(٤) (صحيح) رواه أحمد (٣٦٣ / ٢) (٨٧٤١). قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٩٦٧): إسناده

صحيح رجاله يُقات رجال مسلم.

(٥) (صحيح) رواه أحمد (٣٩٠ / ٢) (٨٧٤١). قال المُنِيرِي في «الترغيب والترهيب» (٢٠٢ / ٤)

والهَيْمِي في «مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ» (٣٥٢ / ٢): إسناده حسن... وقال الألباني في «السلسلة

الصحيحة» بعد حديث (١٥٨٨): وإسناده حسن في المتابعات.



تَعَالَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَخْتَصِمَنَّ كُلُّ شَيْءٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى الشَّاتَانِ فِيمَا انْتَطَحَا».

وروى أحمدُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الألبانيُّ في «الصَّحِيحَةِ»^(١) عن أبي ذرٍّ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى شَاتَيْنِ تَتَطَّحَانِ، فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، هَلْ تَدْرِي فِيمَ تَتَطَّحَانِ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: لَكِنَّ اللَّهَ يَدْرِي، وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا».

اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلءَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمِثْلَ مَا سِثَّتْ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلُ الشَّاءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ.

اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبُّنَا وَنَحْنُ عِبَادُكَ، ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لِيَبْقَى لِيَّكَ وَسَعْدِيكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، إِنَّا بكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَتَتُوبُ إِلَيْكَ.

اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنَا لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

وسبحانك الله وبحمديك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك وتوب إليك.

(١) (صحيح) رواه أحمدُ (٥/ ١٦٢) (٢١٤٧٦). قال الألبانيُّ في «السلسلة الصحيحة» بعد حديث (١٩٦٧): وهذا إسنادٌ صحيحٌ عندي، فإن رجاله كلُّهم ثقاتٌ رجالُ الشَّيْخِينَ غَيْرِ الْأَشْيَاخِ الَّذِينَ لَمْ يُسَمُّوا وَهُمْ جَمْعٌ مِنَ التَّابِعِينَ، يُفْتَنُّ الْجَبَلُ بِحَالِهِمْ لِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى رِوَايَةِ هَذَا الْحَدِيثِ.

١١- وَصَفَ الْجَنَّةِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء: ١٥٢] عمران: ١٧٢، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي قَسَاءَ لُونِ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُخَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعدُ فحديثي اليومَ عن وَصْفِ الْجَنَّةِ دَارِ السَّعَادَةِ الْخَالِيَةِ مِنَ الْأَكْدَارِ وَالنَّعِيمِ الصَّافِي النَّاصِعِ مِنَ الْأَقْدَارِ وَالْحَيَاةِ الَّتِي لَا شِقَاءَ فِيهَا وَلَا سَقَمَ وَلَا جُوعَ وَلَا حَزْنَ وَلَا نَصَبَ إِنَّهَا الْحَيَاةُ الْحَقِيقَةُ: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَاةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [العنكبوت: ١٦١].

وفي الصحيحين^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «قَالَ اللَّهُ صلى الله عليه وسلم:

(١) رواه البخاري (٣٢٤٤) ومسلم (٣٨٢٤).

«أَعَدَدْتُ لِيَبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَيَّ قَلْبٍ بَشَرٍ. فَاقْرَأُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧]».

ولعلَّ أشملَ ما وردَ في وصفِها قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْإِنْسَانُ نَشَاءً وَالْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا كَخَالِدُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [الزخرف: ٧٦]. إنها حياةُ المؤمنين في جناتِ النعيمِ، حياةٌ تُنسي كلَّ شقاءٍ، ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديثِ أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ النَّارِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ، يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ فِي الْجَنَّةِ صَبْغَةً، فَيَقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ، يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ، غَمْسَةٌ وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ تُنْسِي وَتَنْسَخُ كُلَّ مَا كَانَ قَبْلَهَا مِنْ هَمٍّ وَغَمٍّ وَضِيقٍ وَحَزَنٍ وَشِدَّةٍ وَبَلَاءٍ. وَغَمْسَةٌ وَاحِدَةٌ فِي النَّارِ تُذْهِبُ كُلَّ مَا قَبْلَهَا مِنْ نَعِيمٍ دُنْيَوِيٍّ وَمَتَاعٍ فَانٍ وَسُلْطَانٍ زَائِلٍ وَشَهْرَةٍ وَهَمِيَّةٍ».

والنساءُ المؤمناتُ يَدْخُلْنَ مع أزواجهنَّ في الجنةِ، فالله ﷻ يقولُ: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة الزخرف: ٧٦]، تُحْبَرُونَ: أي تَفْرَحُونَ وتُكْرَمُونَ، بل يَتَجَدَّدُ السرورُ، فيأتيهم كُلُّ ساعةٍ ما يُسْرُونَ بِهِ. وليس هناك خلافاتٌ ولا غيرُها: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهِونَ ﴿٥٥﴾﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَآئِكِ مُتَكِينُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة يس: ٥٥-٥٦].

ولا يغيبُ عن بالٍ أحدٍ أَنَّ الجنةَ ونعيمَها ليست خاصةً بالرجالِ دونَ النساءِ إنما

(١) رواه مسلم (٢٨٠٧).

أول عظة للنساء

٢٥٨

هي قد أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ مِنَ الْجِنْسَيْنِ كَمَا أَخْبَرَنَا اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ [النساء: ١٢٤].

والذي ينبغي للمرأة أن لا تشغل بالها بكثرة الأسئلة والتفتيش عن تفاصيل دخولها للجنة: ماذا سيعمل بها؟ أين ستذهب؟ إلى آخر أسئلتها... وكأنها قادمة إلى صحراء مهلكة! ويكفيها أن تعلم أنه بمجرد دخولها الجنة تختفي كل تعاسة أو سقاء مر بها... ويتحول ذلك إلى سعادة دائمة وخلود أبدي ويكفيها قوله تعالى عن الجنة: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]، وقوله: ﴿وَفِيهَا مَا قَشَّهِيَ الْآنَافُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١].

ويكفيها قبل ذلك كله قوله تعالى عن أهل الجنة: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ٧٨].

عند ذكر الله للمغريات الموجودة في الجنة من أنواع المأكولات والمناظر الجميلة والمساكين والملابس فإنه يُعمم ذلك للجنسين (الذكر والأنثى) فالجميع يستمتع بما سبق.

ويتبقى: أن الله قد أغرى الرجال وشوقهم للجنة بذكر ما فيها من (الحور العين) و(النساء الجميلات) ولم يرد مثل هذا للنساء... فقد تساءل المرأة عن سبب هذا؟

والجواب:

١- أن الله: ﴿لَا يُثَلَّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُثَلَّوْنَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، ولكن لا حرج أن نستفيد حكمة هذا العمل من النصوص الشرعية وأصول الإسلام فأقول:

٢- إن من طبيعة النساء الحياء - كما هو معلوم - ولهذا فإن الله ﷻ لا يسوقهن للجنة بما يستحجن منه.

٣- أن شوق المرأة للرجال ليس كَشَوْقِ الرجالِ للمرأة - كما هو معلوم - ولهذا فإن الله شَوَّقَ الرجالَ بِذِكْرِ نِسَاءِ الْجَنَّةِ مِصْدَاقًا لِقَوْلِهِ ﷻ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضْرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ» [أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ] أما المرأةُ فَشَوَّقَهَا إِلَى الزَّيْنَةِ مِنَ اللِّبَاسِ وَالجِلْبِئِيِّ يَفُوقُ شَوْقَهَا إِلَى الرِّجَالِ لِأَنَّهُ مِمَّا جُبِلَتْ عَلَيْهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْمَنُ يَنْشَوُّا فِي الْحَيَاةِ وَهُوَ فِي لِحْصَامٍ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ ﴿١٨﴾ [الزخرف: ١٨].

٤- قال الشيخُ ابنُ عثيمين: إِنَّمَا ذَكَرَ -أي اللهُ ﷻ- الزَّوْجَاتِ لِلزَّوْجِ لِأَنَّ الزَّوْجَ هُوَ الطَّالِبُ وَهُوَ الرَّاعِبُ فِي الْمَرْأَةِ فَلِذَلِكَ ذُكِرَتِ الزَّوْجَاتُ لِلرِّجَالِ فِي الْجَنَّةِ وَسَكَتَ عَنِ الزَّوْجِ لِلنِّسَاءِ وَلَكِنْ لَيْسَ مَقْتَضَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُنَّ زَوْجٌ... بَلْ لَهُنَّ زَوْجٌ مِنْ بَنِي آدَمَ.

المرأة لا تخرجُ عن هذه الحالاتِ في الدنيا فهي:

١- إما أن تموتَ قبلَ أن تتزوجَ.

٢- إما أن تموتَ بعد طلاقها قبلَ أن تتزوجَ من آخرَ.

٣- إما أن تكونَ متزوجةً ولكن لا يدخلُ زوجها معها الجنةَ، والعيادُ باللهِ.

٤- إما أن تموتَ بعد زواجها.

٥- إما أن يموتَ زوجها وتبقى بعده بلا زوجٍ حتى تموتَ.

٦- إما أن يموتَ زوجها فتزوجَ بعده غيره.

هذه حالاتُ المرأةِ في الدنيا ولكلِّ حالةٍ ما يقابلُها في الجنةِ:

١- فأما المرأةُ التي ماتتَ قبلَ أن تتزوجَ فهذه يزوجهُ اللهُ ﷻ في الجنةِ من رَجُلٍ

من أهل الدنيا لقوله ﷺ: «ما في الجنة أعزب» [أخرجهُ مسلمٌ]، قال الشيخُ ابنُ عثيمين: إذا لم تتزوج - أي المرأة - في الدنيا فإن الله تعالى يزوجه ما تقرُّ به عينها في الجنة... فالنعم في الجنة ليس مقصوراً على الذكور وإنما هو للذكور والإناث ومن جملة النعيم: الزواج.

٢- ومثلها المرأة التي ماتت وهي مطلقة.

٣- ومثلها المرأة التي لم يدخل زوجها الجنة. قال الشيخُ ابنُ عثيمين: فالمرأة إذا كانت من أهل الجنة ولم تتزوج أو كان زوجها ليس من أهل الجنة فإنها إذا دخلت الجنة فهناك من أهل الجنة من لم يتزوجوا من الرجال. أي فيتزوجها أحدُهم.

٤- وأما المرأة التي ماتت بعدَ زواجها فهي - في الجنة - لزوجها الذي ماتت عنه.

٥- وأما المرأة التي مات عنها زوجها فبقيت بعده لم تتزوج حتى ماتت فهي زوجة له في الجنة.

٦- وأما المرأة التي مات عنها زوجها فتزوجت بعده فإنها تكون لآخر أزواجها مهما كثروا فعن ميمون بن مهران قال:

حَطَبَ مُعَاوِيَةُ رضي الله عنه أُمَّ الدَّرْدَاءِ رضي الله عنها فَأَبَتْ أَنْ تَزَوَّجَهُ وَقَالَتْ: سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَرْأَةُ لِأَخْرِ أَزْوَاجِهَا، [وفي رواية: أَيَّمَا امْرَأَةٍ تُوفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا فَتَزَوَّجَتْ بَعْدَهُ فَهِيَ لِأَخْرِ أَزْوَاجِهَا]»، وَلَسْتُ أُرِيدُ بِأَبِي الدَّرْدَاءِ بَدَلًا^(١).

(١) (صحيح) رواه الطبراني في الكبير (٣١٣٠) وأبو علي الحرائي القشيري في «تاريخ الرقبة» (٣/ ٢٩)
(٢) انظر صحيح الجامع: (٢٧٤، ٦٦٩)، الصحيحة: (١٢٨).



مسألة: قد يقول قائل: إنَّه قد وَرَدَ في الدعاءِ للجنائزَةِ أننا نقول: «وأبدلها زوجًا خيرًا من زوجها» فإذا كانت متزوجة... فكيف ندعو لها بهذا ونحن نعلم أن زوجها في الدنيا هو زوجها في الجنَّةِ وإذا كانت لم تتزوج فأين زوجها؟

والجوابُ كما قال الشيخُ ابنُ عثيمين: «إن كانت غيرَ متزوجةٍ فالمرادُ خيرًا من زوجها المُقدَّرِ لها لو بقيتُ وأما إذا كانت متزوجةٍ فالمرادُ بكونه خيرًا من زوجها أي خيرًا منه في الصفاتِ في الدنيا لأنَّ التبديلَ يكونُ بتبديلِ الأعيانِ كما لو بعْتَ شاةً ببعيرٍ مثلاً ويكونُ بتبديلِ الأوصافِ كما لو قُلْتُ لَكَ: بَدَّلَ اللهُ كُفْرَ هذا الرَّجُلِ بإيمانٍ وكما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، والأرضُ هي الأرضُ ولكنها مُدَّتْ والسماءُ هي السماءُ لكنها انشَقَّتْ».

وَرَدَ في النساءِ كما في «الصحيحين»^(١) من حديثِ ابنِ عمرَ عنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الإِسْتِغْفَارَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العُسْبِيرَ».

وفي «صحيح مسلم»^(٢) عنِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ فَحَدَّثَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ أَقْلَ سَائِحِي الْجَنَّةِ النِّسَاءُ».

قال العلماء - رحمهم الله -: «بل هُنَّ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ في بداية الأمرِ ثُمَّ يَكُنُّ أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ بعدَ أَنْ يَخْرُجْنَ مِنَ النَّارِ - أي المسلماتُ - قال القرطبيُّ تعليقاً على قوله: «رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» قالوا: «يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا في وَقْتِ كَوْنِ النِّسَاءِ في النَّارِ وَأَمَّا بعدَ خُرُوجِهِنَّ في الشِّفَاعَةِ وَرَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى حَتَّى لَا يَبْقَى فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ قَالَ: لَا

(١) رواه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٧٩) واللفظ له.

(٢) رواه مسلم (٢٧٣٨).

إله إلا الله. فالنساء في الجنة أكثر.

بل قد جاء في حديث آخر ما يدل أن نساء الجنة أكثر من الرجال ففي «الصحيحين»^(١) عن ابن سيرين، قال: تفاخروا يوماً عند أبي هريرة فقالوا: الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟ فقال أبو هريرة: أو ليس قد قال أبو القاسم: «إن أول زمرة يدخلون الجنة وجوههم مثل القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم كأضواء كوكب دري في السماء كذلك، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مئخ ساقها من وراء اللحم، والذي نفسي بيده ما فيها عذب».

واستدل أبو هريرة بهذا الحديث على أن النساء في الجنة أكثر من الرجال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في الفتاوى^(٢): «لأن النساء أكثر من الرجال إذ قد صح أنهن أكثر أهل النار وقد صح لكل رجل من أهل الجنة زوجتان من الإنسيات سوى الحور العين وذلك لأن من في الجنة من النساء أكثر من الرجال وكذلك في النار فيكون الخلق منهم أكثر» ذكر الشيخ ابن باز رحمته الله «أن أكثر أهل الجنة من نساء الدنيا والحور وأكثر أهل النار النساء من نساء أهل الدنيا، وأقل أهل الجنة من له زوجتان والزيادة على حسب فضل الله»^(٣).

وقال العلماء: لا يتعارض مع كونهن أكثر أهل النار لأنهن أكثر من الرجال مطلقاً وزد على ذلك أن حديث «يا معشر النساء تصدقن فإني أريكن أكثر أهل النار» المخاطب به ابتداء نساء المؤمنات اللواتي مألهن إلى الجنة لذا علل كثرتهن في النار

(١) رواه البخاري (٣٠٨١)، ومسلم (٢٨٣٤).

(٢) الفتاوى (٦/ ١٣٣).

(٣) الحلل الإبريزية (٤/ ٢٧).



بأمرٍ دونَ الكُفْرِ الأَكْبَرِ ولا تُوجِبُ الخلودَ في النارِ وهي الإكثارُ من اللّغَنِ وكفْرانُ العَشيْرِ وإذْهابُ نُبِّ الرُّجْلِ الحازِمِ ولهذا كانَ التَّرعِيبُ بالصدقةِ لتكفيرِ الخطايا عَنْهُنَّ وهنا مسألةٌ وهي أن جماعَ النساءِ في الجنَّةِ مُتْرَةٌ عن المذِي والمَنِي والصَّغْفِ... وفيه أكْمَلُ لَذَّةٍ... يعطى الرجلُ قوَّةَ مائةِ رَجُلٍ في الجماعِ... ويُفْضِي إلى مائةِ عَذْراءٍ... وجماعُ النساءِ في الجنَّةِ لا يُوجِبُ عُسْلاً... ولا يَغْفِبُهُ كَسَلٌ.

أخرج الطبراني في الكبير بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع»^(١) من حديثِ زيدِ بنِ أرقمٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لِيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَالشَّهْوَةِ وَالْجَمَاعِ».

وأخرج الطبراني في الأوسط بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الألباني في «صحيح الجامع»^(٢) من حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لِيَصِلُ فِي الْيَوْمِ إِلَى مِائَةِ عَذْراءٍ».

والمرأةُ الصالحةُ إذا دَخَلَتِ الجنَّةَ فإنها تكونُ سَيِّدَةَ الحُورِ العِينِ، وجمالُها أعلى وأكْمَلُ من الحُورِ، وحُسْنُها وكرامَتُها أعظمُ. بل إنَّ جمالُها ليزدادُ المَرَّةَ بعدَ المَرَّةِ.

ففي «صحيح مسلم»^(٣) من حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلُّ جُمُعَةٍ فَتَهْبُ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَخْتُو فِي وُجُوهِهِمْ وَيَتَابِعُهُمْ

(١) (صحيح) أخرجه الطبراني في الكبير (٥: ١٧٨)، وهذا لفظه.

وأخرجه الدارمي (٢٧٢١)، وانظر صحيح الجامع رقم (١٦٢٧).

(٢) (صحيح) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥٢٦٣)، وأخرجه أبو نعيم في صفة الجنَّة... برقم

(٣٧٣)، انظر السلسلة الصحيحة رقم (٣٦٧).

(٣) رواه مسلم (٢٨٣٣).

أول عظم النساء

﴿٢٦٤﴾

فَيَزِدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ اَزْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ
أَهْلُوهُمْ: وَاللَّهِ لَقَدْ اَزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، لَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ اَزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا
حُسْنًا وَجَمَالًا.

فالكواكب الأتراب نساء الجنة من أهل الدنيا، يُنْشِئُهُنَّ اللهُ تعالى إنشاءً بعد ما كُنَّ
عجائزَ فانياتٍ، كما قال اللهُ تعالى في شأنهنَّ: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾ ﴿٢٦٥﴾ ﴿فَعَمَلْنَهُنَّ أَكْبَارًا﴾ ﴿٢٦٦﴾
﴿عُرْيًا أَزْرَابًا﴾ ﴿٢٦٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٢٦٨﴾ [الواقعة: ٢٥ - ٢٨].

قال ابن عثيمين رحمته الله: «قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً﴾ ﴿٢٦٥﴾ أي: أنشأناهنَّ إنشاءً
عجيباً غريباً بديعاً، وفسَّرَ هذا الإنشاءَ بقوله تعالى: ﴿فَعَمَلْنَهُنَّ أَكْبَارًا﴾ ﴿٢٦٦﴾ أي: هؤلاء
الزوجاتُ أباكراً مهما أتاها زوجها عادت بكرةً ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ﴾ ﴿٨٢﴾ ونساءُ الدنيا إذا افتضَّ الزوجُ بكارَةَ الزوجةِ لا تعودُ، ولكن في
الآخرةِ تعودُ بكرةً ﴿عُرْيًا أَزْرَابًا﴾ ﴿٢٦٧﴾ العُرْبُ الْمُتَحَبِّبَاتُ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ، وهذا يدلُّ على
كمالِ الْمُتَعَةِ أَنْ تَكُونَ الزوجةُ تَحَبِّبُ إِلَى زوجها وتَقْرُبُ إليه وتُغْرِيه بِنَفْسِهَا، وتفعلُ
كُلَّ ما يوجبُ مَحَبَّتَهُ لها، ﴿أَزْرَابًا﴾ ﴿٢٦٧﴾ أي: على سِنِّ واحدةٍ لا تَخْتَلِفُ» (١).

ولا تحتاجُ المرأةُ في الجنةِ أَنْ تُغَطِّيَ وَجْهَهَا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الجنةِ نَظَرٌ سَوِيءٌ، ولا
مَرَضٌ قَلْبٍ حَتَّى تُلْزَمَ المرأةُ بتغطيةِ وَجْهِهَا، ولا هي مَحَلٌّ لِلْعَمَلِ وَالْأَمْرِ وَالنَهْيِ،
كما قال عليٌّ عليه السلام: «فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ وَعَدَا حِسَابٍ وَلَا عَمَلٌ» (٢).

وَوَصَفَ اللهُ تعالى الحُورَ الْعِينِ بِأَنَّهُنَّ قاصراتُ الطُّرْفِ أَي: يَقْصُرْنَ نَظْرَهُنَّ وَحُبَّهِنَّ

(١) تفسيرُ الواقعةِ للعثيمين (١/ ٣٣٨).

(٢) (صحيح) رواهُ البيهقيُّ في شُعَبِ الْإِيمَانِ (١٦٦٤) وَعَلَّقَهُ الْبُخَارِيُّ فِي بَابِ الْأَمَلِ وَطَوَّلَهُ، مِنْ
كِتَابِ الرَّقَائِقِ.



على أزواجهنَّ، وَصَفَّهِنَّ بِأَنَّهُنَّ حَوْرٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ، وَلَيْسَ مَعْنَى هَذَا أَنَّهُنَّ لَا يَخْرُجْنَ مِنْ مَمْلَكَتِهِنَّ، بَلْ لَهُنَّ كُلُّ مَا يَشْتَبِهُهُ مِمَّا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمِثْلُهُ يُقَالُ فِي نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ.

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ.

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍهَا، وَنَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَجْعَلَ الدُّنْيَا أَكْبَرَ قَمْنًا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. وَسَبِّحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



١٢- وصف النار

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١١٢) ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَخَافُونَ وَتُنْفِقُونَ مِنْ ثَمَرِهِمْ وَمِنْهُمَا يُغْفَرُ لَهُمْ لِقَوْلِهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١١٣) ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١١٤) ﴿النَّاسُ: ١﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (١١٥) ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (١١٦) ﴿[الأحراب: ٧٠-٧١].﴾

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعدُ فحديثي معكم اليوم عن شيء من وصف النار، والنار وما أدراك ما النار، النار مُتَهَيَّئَةُ الْعَذَابِ وَشَرُّ الْمَآبِ، وَهِيَ الْخِزْيُ الْأَكْبَرُ وَالْخُسْرَانُ الْعَظِيمُ، الَّذِي لَا خِزْيَ فَوْقَهُ وَلَا خُسْرَانَ أَعْظَمَ مِنْهُ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿هَذَا وَرَأْسُ الطَّغْيَانِ لَشَرِّ مَقَابِرَ﴾ (٥٥) ﴿جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا فَنَسُوا إِلَيْهَا﴾ (٥٦) ﴿[ص: ٥٥، ٥٦].﴾

وَقَالَ ﷻ: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٥٧) ﴿الَّذِينَ

عمران: ١١٢].﴾



وَقَالَ ﷻ: ﴿ أَلَمْ يَلْمُوا أَنَّهُمْ مِنْ يُحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأَنْتَ لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ (١٣) ﴿ [التوبة: ٦٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّ لِلنَّاسِ لَلَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (١٥) ﴿ لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبَادُونَ فَأَنْتُمْ ﴾ (١٦) ﴿ [الزمر: ١٥، ١٦].

وفي «صحيح مسلم»^(١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُضْبَعُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ. وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُضْبَعُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ مِنْ شِدَّةٍ قَطُّ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ».

وفي «صحيح مسلم»^(٢) عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُوتُهَا» أَوْلَيْتُكَ سَبْعُونَ أَلْفًا يَجْرُوتُهَا، وَأَمَّا خَزَنَتُهَا الْقَائِمُونَ عَلَيْهَا، فَرَصَفَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ، فَقَالَ ﷻ: ﴿ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (١٦) ﴿ [التحریم: ٦].

وفي «الصحيحين»^(٣) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كَانَتْ لِكَافِيَةٍ. قَالَ:

(١) رواه مسلم (٤٨٠٧).

(٢) رواه مسلم (٤٨٤٤).

(٣) رواه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٤٨٤٣).

«لُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةِ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ بِمِثْلِ حَرِّهَا».

وَمِنْ شِدَّةِ النَّارِ وَهَوْلِ عَذَابِ أَهْلِهَا بِهَا، أَنَّهَا إِذَا رَأَتْهُمْ قَادِمِينَ إِلَيْهَا مِنْ بَعِيدٍ زَقَرَتْ، مُعْبِرَةً عَنْ حُنْفِئِهَا وَعَظِيمِهَا عَلَى هَوْلِ الْمُجْرِمِينَ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَإِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَفَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ (١٣) ﴿[الفرقان: ٧٢].

وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ ﷻ أَنَّ لَهَا سَبْعَةَ أَبْوَابٍ، قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١٤) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿[الحجر: ٤٣، ٤٤].

وَعِنْدَمَا يَرُدُّ الْكُفَّارُ تُفْتَحُ أَبْوَابُهَا لِيَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرْمًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (١٥) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿[١٦].

وَلَمَّا كَانَتِ النَّارُ دَرَكَاتٍ بَعْضُهَا أَشَدُّ عَذَابًا وَهَوْلًا مِنْ بَعْضٍ كَانَ أَهْلُهَا مُتَفَاوِتِينَ فِي الْعَذَابِ، فِيهِ الْحَدِيثُ الَّذِي يَرْوِيهِ (مسلم) (١) وَأَحْمَدُ عَنْ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْرَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرَاقُوتَيْهِ». وَفِي رِوَايَةٍ: «إِلَى عُنُقِهِ».

وَفِي (صحيح مسلم) (٢) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَدْنَىٰ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَتَّعِلُّ نَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي دِمَاغَهُ مِنْ حَرَارَةِ نَعْلَيْهِ».

(١) رواه مسلم (٢٨٤٥).

(٢) رواه مسلم (٢١١).



وفي «الصحيحين»^(١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ وذكر عنده عمه أبو طالب، فقال: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في صحصاح من النار يبلغ كعبته، يغلي منه أم دمائه».

وأهل النار لا يموتون فلو ماتوا لا شراحوا من العذاب لكنهم لا يموتون.

قال الله ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ﴾ [فاطر: ٣٦].

وفي «الصحيحين»^(٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادي مُنادٍ: يا أهل الجنة لا موت، يا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم» وهذا يقال بعد ذبح الموت.

وفي صحيح مسلم^(٣) من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبِشٌ أَمْلَحُ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَسْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ. قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَسْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ. قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيَذْبَحُ. قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ. ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْمَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم: ٣٩].

(١) رواه البخاري (٣٨٨٥)، ومسلم (٢١٠).

(٢) رواه البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠).

(٣) رواه مسلم (٢٨٤٩).

وهناك أسباب لدخول النار ولعل من أكبر الأسباب اتباع شهوات النفوس، وتَعْجَلُ تَحْصِيلَهَا وَالْوُصُولِ إِلَيْهَا بِالطَّرِيقِ الَّتِي تَهْوَاهَا تِلْكَ النُّفُوسُ، دُونَ مَرَاعَاةِ لِمَا شَرَعَهُ اللهُ أَوْ جَاءَ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ فِيهِ «الصَّحِيحِينَ» (١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ».

والمراد بالشهوات هنا ما أمر المكلف بمجاهدة نفسه فيه فعلاً وتركاً، ولَمَّا كَانَ الانْسِيَاقُ لِلشَّهَوَاتِ وَاتِّبَاعُ الْأَهْوَاءِ مِنْ أَكْبَرِ سَبَابِ دُخُولِ النَّارِ، كَانَتِ النِّسَاءُ فِي النَّارِ أَكْثَرَ مِنَ الرِّجَالِ؛ لِغَلَبَةِ الْهَوَىِّ عَلَيْهِنَّ وَمِيلِهِنَّ إِلَى عَاجِلِ زِينَةِ الدُّنْيَا.

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْعَظِيمَةِ فِي دُخُولِ النَّارِ عَدَمُ الْقِيَامِ بِالتَّكْلِيفِ الشَّرْعِيِّ مَعَ التَّكْذِيبِ يَوْمَ الدِّينِ؛ فَقَدْ أَخْبَرَنَا اللهُ ﷻ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَسْأَلُونَ أَهْلَ النَّارِ قَائِلِينَ: ﴿مَا سَكَّرَكُنِي سَقَرًا﴾ (١١) ﴿فَيَجِيبُونَ قَائِلِينَ: ﴿قَالُوا لَازَكُ مِنْ الْمُصَلِّينَ﴾ (١٢) وَلَوْ نَكَ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ﴾ (١٣) وَكُنَّا نَحْوُ مَعَ الْفَاطِمِيْنَ﴾ (١٤) وَكَانَ كَذِبُ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (١٥) حَقٌّ أَتَيْنَا الْقِيَمَةَ﴾ (١٦) [المذثر: ١٣-١٧].

وَالنِّسَاءُ أَيْضًا مِنْ أَكْبَرِ سَبَابِ دُخُولِ النَّارِ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَعَدَّ اللهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (١٨).

وَمِنَ سَبَابِ دُخُولِ النَّارِ الْكِبْرُ، وَهِيَ صِفَةٌ يَتَّصِفُ بِهَا عَامَّةُ أَهْلِ النَّارِ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١٩).

وَفِي «الصَّحِيحِينَ» (٢) مِنْ حَدِيثِ حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ الْخَزَاعِمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ

(١) رواه البخاري ٦٤٨٧، ومسلم (٢٨٢٢ - ٢٨٢٣).

(٢) رواه البخاري (٤٩٧٨)، ومسلم (٢٨٥٢).

اللَّهُ ﷻ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَّعِفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَيَّ اللَّهُ لَا يَبْرُهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ، كُلُّ عُتْلٍ جَوَاطِئُ مُسْتَكْبِرٍ».

قال النووي في شرحه للحديث: ومعناه يَسْتَضَعِفُهُ النَّاسُ، وَيَخْتَبِرُونَهُ، وَيَتَجَبَّرُونَ عَلَيْهِ، لِيَضَعِفَ حَالِهِ فِي الدُّنْيَا، وَالْمُرَادُ أَنَّ أَغْلَبَ أَهْلِ الْجَنَّةِ هُوَ لَا... وليس المراد الاستيعاب (١).

وَمِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ النَّارِ الظُّلْمُ وَالْأَذَى:

ففي صحيح البخاري (٢) عَنْ خَوْلَةَ الْأَنْصَارِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وفي «الصحيحين» (٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عُدْبَتِ امْرَأَةٍ فِي هِرَّةٍ سَجَّتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارُ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا سَقَّتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ».

فاحذروا المعاصي صغيرها وكبيرها وقليلها وكثيرها، فإن أعمال أهل النار كلها تدخل في معصية الله ورؤسويه قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ، يُدْخِلْهُ نَارًا كَالَّذِي أُخْرِجَ فِيهَا، وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١١].

والكفر سبب للخلود في النار، وما دونه من المعاصي سبب في دخولها والتعذيب بها.

وبعد ذكر بعض أسباب دخول النار نذكر بعض أسباب النجاة منها:

فأسباب النجاة من النار تكون بما يأتي:

تحقيق التوحيد وإخلاص العمل لله، والإيمان به والعمل الصالح، والإحسان

(١) «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٧ / ١٨٧).

(٢) رواه البخاري (٣١٨).

(٣) رواه البخاري (رقم ٢٣٧٨)، ومسلم (رقم ٢٢٤٤).

أركان الإيمان

٢٧٢

إِلَى الْخَلْقِ، وَذَكَرَ اللهُ وَدُعَايِهِ بِالنَّجَاةِ، وَلِذَا كَانَ الْإِيْمَانُ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَتَوَسَّلُ بِهِ عِبَادُ اللهُ إِلَى رَبِّهِمْ لِيُخَلِّصَهُمْ مِنَ النَّارِ ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١).

وفي «الصحيحين» (١) عَنْ عَتَبَانَ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. يَتَّبِعِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ». وفي «الصحيحين» (٢) عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَبَّكَلْمُهُ اللهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ثَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».

وفي «صحيح مسلم» (٣) عَنْ عَمَّارَةَ بْنِ رُوَيْبَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَنْ يَلْجَأَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا - يَعْنِي صَلَاتِي الْفَجْرِ وَالْعَصْرِ».

وفي «الصحيحين» (٤) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا بَاعَدَ اللهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا».

وفي «الترمذي بسند صحيح صححه الألباني» (٥) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أَوْ يَمُنُّ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ».

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٧٣٥)، وَمُسْلِمٌ (١٠١٦).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢٤)، وَمُسْلِمٌ (١٤٤٠).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٦٣٤).

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٨٤٠) وَمُسْلِمٌ (٢٦٨١) وَاللَّفْظُ لَهُ.

(٥) (صحيح) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٤٨٨) وَصَحَّحَهَا الْأَلْبَانِيُّ فِي الصَّحِيحَةِ (٩٣٥).

اللهم إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، اللهم إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، اللهم إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ.
 اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ،
 وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بَرٍّ، وَالْفُرُوزَ بِالْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ.
 اللهم آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلَّمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ
 بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلَّمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا
 سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنِيَّتُكَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنِيَّتُكَ، اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ
 الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ
 عَمَلٍ، وَنَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لَنَا خَيْرًا.

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



مرتبة الإيمان بالقضاء والقدر

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ عَمَلِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَالشَّهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [النساء: ١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً. وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُصْلِحْ نَفْسَهُ فَرَحَتُهُ فَعَدَا فَارَ حَقًّا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْيَدَيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَسَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي اليوم عن الإيمان بالقضاء والقدر.

فالقضاء تقدير الله لبيئته للكائنات حسبما سبق به علمه بجزءه، وانتصته حكمته والقدر هو الإحاطة بحدود الأمور.

حكم الإيمان بالقضاء والقدر:

الإيمان بالقضاء والقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان، ففي صحيح مسلم^(١) من حديث عمَر بن الخطاب المشهور بحديث جبريل أن جبريل سأل النبي ﷺ فقال:

(١) رواه مسلم (٨).

أخبرني عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورُسُله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره».

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء».

وفي «مسند أحمد» بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيح»^(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك».

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وإن أصابك شيء؛ فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل».

وفي «صحيح مسلم»^(٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس».

أركان الإيمان بالقدر:

الإيمان بالقدر يتكوّن من أربع مراتب أو أربعة أركان، وهي:

(١) الإيمان بعلم الله السابق.

(١) رواه مسلم (٢٦٥٣).

(٢) (صحيح) أخرجه أحمد (١٨٢ / ٥) وصححه الألباني في الصحيح (٢٣٨٢).

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٥٥).

(٢) الإيمان بكتابتِهِ قبل كونها.

(٣) الإيمان بمشيئَةِ اللهِ النافذة.

(٤) الإيمان بأنه خالقُ كُلِّ شيءٍ.

قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمته الله:

ويدورُ الإيمانُ بالقَدْرِ على الإيمانِ بأربعِ مراتبٍ:

المرتبةُ الأولى: العِلْمُ، وذلك أن تؤمنَ إيمانًا كاملاً بأنَّ الله تعالى قد أحاطَ بكلِّ شيءٍ علمًا، أحاطَ بكلِّ شيءٍ مما مضى، ومما هو حاضرٌ، ومما هو مستقبلٌ، سواء أكانَ ذلك مما يتعلّقُ بأفعاليهِ تعالى، أو بأفعالِ عبادِهِ، فهو محيطٌ بها جُملةً وتفصيلاً بعلمِهِ الذي هو موصوفٌ به أزلاً وأبدًا، وأدلةُ هذه المرتبةِ كثيرةٌ في القرآنِ والسُّنةِ، قال اللهُ - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٥)، وقال - تعالى -: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٦)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُمُ آتُوسٍ بِهِ، فَقَسَاهُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ إلى غيرِ ذلك من الآياتِ الدالّةِ على عِلْمِ اللهِ تعالى بكلِّ شيءٍ جملةً وتفصيلاً.

وهذه المرتبةُ من الإيمانِ بالقَدْرِ مَنْ أَنْكَرَهَا فهو كافرٌ؛ لأنَّهُ مُكذِّبٌ لله ولرسولِهِ تعالى وإجماعِ المسلمين، وطاعينٌ في كمالِ اللهِ تعالى؛ لأنَّ ضِدَّ العِلْمِ إمَّا الجَهْلُ، وإمَّا النسيانُ، وكلاهُما عَيْبٌ، وقد قال اللهُ - تعالى - عن موسى عليه السلام حينما سألهُ فرعونُ: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ (٧) قالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (٨)، فهو ﴿لَا يَضِلُّ﴾؛ أي لا يجهلُ شيئًا مُستقبلاً، ﴿وَلَا يَنْسَى﴾ شيئًا ماضيًا تعالى.



المرتبة الثانية: الإيمان بأن الله تَعَالَى كَتَبَ مقاديرَ كُلِّ شيءٍ إلى أن تقوم الساعة فإنه
بِإِذْنِهِ حينما خَلَقَ القَلَمَ، قال له: «اكتب». قال: رب، وماذا أكتب؟ قال: اكتب ما هو
كائِنُ فجرئِي في تلك الساعة بما هو كائِنُ إلى يومِ القِيَامَةِ.

فكَتَبَ اللهُ تَعَالَى في اللُّوحِ المحفوظِ مقاديرَ كُلِّ شيءٍ، وقد ذَلَّ على هذه المرتبة
قوله - تعالى -: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ
عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾، قال: ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾، أي مكتوبٌ في كتابٍ، وهو اللوحُ
المحفوظُ ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾، ثم هذه الكتابة تكونُ مَفْصَلَةً أحيانًا، فإن
الجنينَ في بطنِ أمه إذا مَضَى عليه أربعة أشهر يُبعثُ إليه مَلَكٌ، فيأمرُهُ بأربعِ كلماتٍ:
يكتبُ رِزْقَهُ، وأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وشَقِيَّ أم سعيدٍ، كما ثبتَ ذلك في الصحيح من حديث
عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ، ويكتبُ أيضًا في ليلةِ القَدْرِ ما يكونُ في تلك
الليلة، كما قال اللهُ - تعالى -: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾﴾ فِيهَا يُفْرَقُ
كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿١﴾ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾﴾.

المرتبة الثالثة: الإيمان بأن كُلَّ ما في الكونِ فإنه بمشيئَةِ اللهِ، فكلُّ ما في الكونِ فهو
حادثٌ بمشيئَةِ اللهِ تَعَالَى سواءَ أكانَ ذلك مما يَفْعَلُهُ هو تَعَالَى أو فيما يَفْعَلُهُ المخلوقُ
قال اللهُ - تعالى -: ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾، وقال - تعالى -: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ
أَجْمَعِينَ﴾، وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، وقال تَعَالَى: ﴿إِنْ يَشَاءُ
يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ إلى غير ذلك من النصوصِ الكثيرةِ الدالَّةِ على أن فِعْلَهُ
واقِعٌ بمشيئِهِ، وكذلك أفعالُ الخلقِ واقعةٌ بمشيئِهِ، كما قال - تعالى -: ﴿وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ
وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾، وهذا نصٌّ صريحٌ في أن

أفعال العبيد قد شاءها الله ﷻ ولو شاء الله أن لا يفعلوا لم يفعلوا.

المرتبة الرابعة: الإيمان بأن الله - تعالى - خالق كل شيء فالله ﷻ هو الخالق، وما سواه مخلوق، فكل شيء فالله خالقه، فالمخلوقات مخلوقة لله ﷻ وما يصدُر منها من أفعال وأقوال مخلوقة لله ﷻ أيضًا؛ لأن أفعال الإنسان، وأقواله من صفاته، فإذا كان الإنسان مخلوقًا كانت صفاته أيضًا مخلوقة لله ﷻ، ويدل ذلك قوله - تعالى -: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

فَنَصَّ اللهُ - تعالى - على خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَعَلَى خَلْقِ عَمَلِهِ قَالَ: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾، وقد اختلفَ النَّاسُ في (ما) هنا هل هي مصدرية، أو موصولة؟ وعلى كل تقدير فإنها تدلُّ على أنَّ عَمَلَ الْإِنْسَانِ مَخْلُوقٌ لِلَّهِ ﷻ هذه أربع مراتب لا يسمُّ الإيمان بالقدر إلا بالإيمان بها.

ثم اعلم أن الإيمان بالقدر لا يُنافي فعل الأسباب، بل إنَّ فِعْلَ الْأَسْبَابِ مِمَّا أَمَرَ بِهِ الشَّرْعُ، وَهُوَ حَاصِلٌ بِالْقَدْرِ؛ لِأَنَّ الْأَسْبَابَ تَسْجُعُ عَنْهَا مُسَبِّبَاتُهَا، وَلِهَذَا لَمَّا تَوَجَّهَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الشَّامِ عَلِمَ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِيهَا الطَّاعُونَ، فَاسْتَشَارَ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هَلْ يَسْتَمِرُّ وَيَمْضِي فِي سَيْرِهِ، أَوْ يَرْجِعُ إِلَى الْمَدِينَةِ؟ فَاخْتَلَفَ النَّاسُ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَمَرَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَمَّا عَزَمَ عَلَى ذَلِكَ جَاءَهُ أَبُو عَيْدَةَ عَامِرُ بْنُ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يُجِلُّهُ وَيُقَدِّرُهُ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، «كَيْفَ تَرْجِعُ إِلَى الْمَدِينَةِ؟ أَمَّا مِنْ قَدْرِ اللَّهِ؟» فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نَفَرٌ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ إِلَى قَدْرِ اللَّهِ»، وَبَعْدَ ذَلِكَ جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ غَائِبًا فِي حَاجَةٍ لَهُ، فَحَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عَنِ الطَّاعُونَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ فِي أَرْضٍ فَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهَا».

وَالْحَاصِلُ: أَنَّ فِي قَوْلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نَفَرٌ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ إِلَى قَدْرِ اللَّهِ» دَلِيلًا عَلَى أَنَّ اتِّخَاذَ الْأَسْبَابِ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ ﷻ وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الرَّجُلَ لَوْ قَالَ: أَنَا مُؤْمِنٌ بِقَدْرِ اللَّهِ وَسَيَّرْتُ قَدْرِي



الله ولذا بدون زوجة، لو قال هذا لعد من المجانين، كما أنه لو قال: أنا أؤمن بقدر الله، ولن أسعى في طلب الرزق، ولم يتخذ أي سبب للرزق لعد ذلك من السفه؛ فالإيمان بالقدر إذن لا يتنافى الأسباب الشرعية، أو الحسية الصحيحة، أما الأسباب الوهمية التي يدعي أصحابها أنها أسباب، وليست كذلك فهذه لا عبرة بها ولا يلتفت إليها.

ثم اعلم أنه يريد على الإيمان بالقدر إشكال - وليس بإشكال في الواقع - وهو أن يقول قائل: إذا كان فعلي من قدر الله بِحُجَّتِهِ فكيف أعاقب على المعصية، وهي من تقدير الله بِحُجَّتِهِ؟

والجواب على ذلك أن يقال: لا حجة لك على المعصية بقدر الله؛ لأن الله بِحُجَّتِهِ لم يجبرك على المعصية، وأنت حين أقدمت عليها لم يكن لديك العلم بأنها مقدره عليك؛ لأن الإنسان لا يعلم بالمقدر إلا بعد وقوع الشيء، فلماذا لم تقدر قبل أن تفعل المعصية أن الله قدر لك الطاعة، فتقوم بطاعته؟! وكما أنك في أمورك الدنيوية تسعى لما ترى أن فيه خيرا، وتهرب مما ترى فيه شرا، فلماذا لا تعامل نفسك هذه المعاملة في عمل الآخرة؟!

ولا أعتقد أن أحدا يسلك الطريق الصعب، ويقول: إن هذا قد قدر لي، بل سوف يسلك الطريق المأمون الميسر، ولا فرق بين هذا وبين أن يقال لك: للجنة طريق، وللنار طريق، فإنك إذا سلكت طريق النار فأنت كالذي سلك الطريق المخوف الوعر، فلماذا ترضى لنفسك أن تسلك طريق الجحيم، وتدع طريق النعيم؟!

ولو كان للإنسان حجة بالقدر على فعل المعصية لم تتب هذه الحجة بإرسال الرسل، وقد قال الله - تعالى -: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾.

بَابُ خُطْبِ النَّسَاءِ

٢٨٠

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِلإِيمَانِ بِالْقَدْرِ ثَمَرَاتٍ جَلِيلَةً عَلَى سِيرِ الإِنْسَانِ، وَعَلَى قَلْبِهِ؛ لِأَنَّكَ إِذَا
آمَنْتَ بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ فَإِنَّكَ عِنْدَ السَّرَاءِ تَشْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا تَعْجَبُ
بِنَفْسِكَ، وَلَا تَرَى أَنَّ هَذَا الأَمْرَ حَصَلَ مِنْكَ بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ، وَلَكِنَّكَ تُؤْمِنُ بِأَنَّ هَذَا
سَبَبٌ إِذَا كُنْتَ قَدْ فَعَلْتَ السَّبَبَ الَّذِي نِلْتَ بِهِ مَا يُسْرُكَ، وَأَنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
فَتَزِدُ بِذَلِكَ شُكْرًا لِنِعْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيَحْمِلُكَ هَذَا عَلَى أَنْ تَقُومَ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَلَى حَسَبِ مَا
أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ، وَأَنْ لَا تَرَى لِنَفْسِكَ فَضْلًا عَلَى رَبِّكَ، بَلْ تَرَى المِنَّةَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكَ قَالَ اللَّهُ
- تَعَالَى -: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ آسَلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُمُ لِلإِيمَانِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾. كَمَا أَنَّكَ إِذَا أَصَابَتْكَ الضَّرَاءُ فَإِنَّكَ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَسْلِمُ،
وَلَا تَتَذَمُّ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا تَلْحِقُكَ الحَسْرَةُ، أَلَمْ تَرَ إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المؤمنُ القويُّ
خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ المُوْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، أُخْرِضَ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ،
وَأَسْتَعِنَ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجَزَنَّ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا،
فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».

فَالإِيمَانُ بِالْقَدْرِ فِيهِ رَاحَةُ النَّفْسِ وَالقَلْبِ، وَعَدَمُ الحُزْنِ عَلَى مَا فَاتَ، وَعَدَمُ الغَمِّ
وَالهَمِّ لِمَا يُسْتَقْبَلُ، قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ
فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا
تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴿٢٣﴾﴾، وَالَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِالْقَدْرِ لَا شَكَّ أَنَّهُ سَوْفَ يَتَضَجَّرُ عِنْدَ
المَصَائِبِ وَيَتَذَمُّ، وَيَفْتَحُ الشَّيْطَانُ لَهُ كُلَّ بَابٍ، وَأَنَّهُ سَوْفَ يَفْرَحُ وَيَبْطُرُ، وَيَعْتَرُّ إِذَا
أَصَابَتْهُ السَّرَاءُ، لَكِنَّ الإِيمَانَ بِالْقَدْرِ يَمْنَعُ هَذَا كُلَّهُ (١).

اللهم بعلمك الغيب، وقدرت على الخلق، أحيينا ما علمت الحياة خيرا لنا،

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد صالح العثيمين - المجلد الثاني - باب القضاء والقدر (٢/ ٨٠-٨٦).



وَتَوَفَّنَا إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لَنَا، اللَّهُمَّ وَنَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَنَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرُّضَى وَالغَضَبِ، وَنَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالغِنَى، وَنَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْقُذُ، وَنَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَنَسْأَلُكَ الرُّضَى بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَنَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَنَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشُّوقَ إِلَى لِقَائِكَ، فِي غَيْرِ صَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زِينًا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مَهْدِيِّينَ.

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



أولاً حفظ النساء

٢٨٢

ضوياء جـ CamScanner



مَرْتَبَةُ الْإِحْسَانِ

يوم عظة النساء

٢٨٤

ة ضويب بـ CalmsCalme



إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَجَدَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا وَكُلُّ مُخَدَّنَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعدُ فحديثي اليوم عن الإحسان، والإحسانُ معناه مراقبةُ الله تعالى في السرِّ والعلني مراقبةً مَنْ يُحِبُّهُ وَيَخْشَاهُ وَيَرْجُو ثَوَابَهُ وَيَخَافُ عِقَابَهُ بِالمحافظةِ على الفرائضِ والنوافلِ واجتنابِ المُحَرَّمَاتِ والمكروهاتِ. والمحسنون هم السابقون بالخيراتِ المُتَنَافِسُونَ فِي فِضَائِلِ الْأَعْمَالِ.

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ﴾ [التخل: ١٢٨].

وفي «الصحيحين» (١) سأل جبريل ﷺ النبي ﷺ في الحديث المشهور عن عمر

(١) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَمَّا حَدِيثُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الْإِيمَانِ (٨).

أخلاق النساء

٢٨٦

وأبي هريرة رضي الله عنه: «قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: الإحسانُ أن تعبدَ الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

ففسّر النبي ﷺ الإحسان في عبادة الله تفسيراً لا يستطيعه أحدٌ من المخلوقين غيره ﷺ لما أعطاه الله من جوامع الكلم فقال ﷺ: «الإحسانُ: أن تعبدَ الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

- ومرتبة الإحسان أعلى مراتب الدين وأعظمها خطراً وأهلها هم السابقون بالخيرات المقربون في أعلى الدرجات.

وقد أخبر ﷺ أن مرتبة الإحسان على درجتين وأن للمحسنين في الإحسان مقامين متفاوتين:

المقام الأول وهو أعلاهما: أن تعبدَ الله كأنك تراه وهذا يُسميه بعض العلماء (مقام المشاهدة) وهو أن يعمل العبدُ كأنه يشاهدُ الله ﷻ بقلبه فيتنور القلبُ بالإيمان حتى يصير الغيب كالعيان فمن عبدَ الله ﷻ على استحضارٍ قريبٍ منه وإقباله عليه وأنه بين يديه كأنه يراه أوجب له ذلك الخشية والخوف والهيبة والتعظيم.

المقام الثاني: مقام الإخلاص [والمراقبة] وهو أن يعمل العبدُ على استحضارٍ مُشاهدةٍ لله إياه وإطلاعه عليه وقربه منه فإذا استحضر العبدُ هذا في عمله وعمله عليه فهو مُخلصٌ لله تعالى لأن استحضاره ذلك في عمله بمنه من الالتفات إلى غير الله، وإرادته بالعمل. وهذا المقام إذا حققه العبدُ سهل عليه الوصول إلى المقام الأول. ولهذا أتى به النبي ﷺ تعليلاً للأول فقال: «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» وفي بعض ألفاظ الحديث: «فإنك إلا تكن تراه فإنه يراك» فإذا تحققت في عبادته بأن الله تعالى يراه

ضويبا بـ ضويبا



وَيَطَّلِعُ عَلَى سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ وَبَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ فَحَيْثُ يَسْهَلُ عَلَيْهِ الْإِنْتِقَالُ إِلَى الْمَقَامِ الثَّانِي وَهُوَ دَوَامُ اسْتِشْعَارِ قُرْبِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ عَبْدِهِ وَمَعِيَّتِهِ حَتَّى كَأَنَّهُ يَرَاهُ. نَسَأَلُ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ الْعَظِيمِ (١).

قال الحافظ ابن رجب رحمته الله:

«قَوْلُهُ رحمته الله فِي تَفْسِيرِ الْإِحْسَانِ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ...» يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْعَبْدَ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى هَذِهِ الصُّفَةِ، وَهِيَ اسْتِحْضَارُ قُرْبِهِ وَأَنَّهُ بَيْنَ يَدَيْهِ كَأَنَّهُ يَرَاهُ؛ وَذَلِكَ يُوجِبُ الْخَشْيَةَ وَالْخَوْفَ وَالْهَيْبَةَ وَالتَّعْظِيمَ، كَمَا جَاءَ فِي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «أَنْ تَخْشَى اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»، وَيُوجِبُ أَيْضًا التُّضَاعُ فِي الْعِبَادَةِ، وَبِذَلِكَ الْجُهْدِ فِي تَحْسِينِهَا وَإِتْمَامِهَا وَإِكْمَالِهَا.

وَقَوْلُهُ رحمته الله: «فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»؛ قِيلَ: إِنَّهُ تَعْلِيلٌ لِلأَوَّلِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَمَرَ بِمُرَاقَبَةِ اللَّهِ فِي الْعِبَادَةِ وَاسْتِحْضَارِ قُرْبِهِ مِنْ عَبْدِهِ، حَتَّى كَأَنَّ الْعَبْدَ يَرَاهُ، فَإِنَّهُ قَدْ يَشُقُّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَيَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ بِإِيمَانِهِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ، وَيَطَّلِعُ عَلَى سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ وَبَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ، فَإِذَا حَقَّقَ هَذَا الْمَقَامَ، سَهَّلَ عَلَيْهِ الْإِنْتِقَالُ إِلَى الْمَقَامِ الثَّانِي، وَهُوَ دَوَامُ التَّحْدِيقِ بِالبَصِيرَةِ إِلَى قُرْبِ اللَّهِ مِنْ عَبْدِهِ وَمَعِيَّتِهِ، حَتَّى كَأَنَّهُ يَرَاهُ.

وَقِيلَ: بَلْ هُوَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مَنْ سَقَّ عَلَيْهِ أَنْ يَعْْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، فَلْيَعْبُدِ اللَّهَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ وَيَطَّلِعُ عَلَيْهِ، فَلْيَسْتَحْيِ مِنْ نَظَرِهِ إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: «اتَّقِ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ أَهْوَنَ النَّاطِرِينَ إِلَيْكَ»، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «خَفِ اللَّهَ عَلَى قَدْرِ قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ، وَاسْتَحْيِ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ قُرْبِهِ مِنْكَ».

(١) انظر: «معارج القبول» لحافظ الحكيم (٢/ ٢٠ - ٣٣، ٣٢٦ - ٣٢٨) والمجموع الثمين (١/ ٤٩،

٥٣) جامع العلوم والحكم (١/ ١٠٦).

وَقَدْ دَلَّ الْقُرْآنُ عَلَيَّ هَذَا الْمَعْنَى فِي مَوَاضِعٍ مُتَعَدِّدَةٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ١٤] وَقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكْتُوْنَ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا يَحْشَسُهُ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آذَنٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧] وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُبَيِّنُونَ فِيهِ وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١] وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَحَنَّ آقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [لق: ١٦] وَقَوْلِهِ: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ٧٨].

وَقَدْ وَرَدَتْ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ بِالنَّدْبِ إِلَى اسْتِحْضَارِ هَذَا الْقُرْبِ فِي حَالِ الْعِبَادَاتِ، كَقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي، فَإِنَّمَا يُنَاجِي رَبَّهُ»، وَقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لَوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَقِ»، وَقَوْلِهِ لِلَّذِينَ رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: «إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا»، وَفِي رِوَايَةٍ: «وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»، وَقَوْلِهِ: «يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: أَنَا مَعَ عَبْدِي إِذَا ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَاتُهُ»، وَقَوْلِهِ: «يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: أَنَا مَعَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي بِمِشْيِ أَتَيْتُهُ هَزْوَلَةً».

وَكَلَامُ الْقَوْمِ فِي هَذَا الْبَابِ يَطُولُ ذِكْرُهُ جَدًّا، وَفِيمَا ذَكَرْنَاهُ كِفَايَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى (١).
وقال العلامة الفوزان حَفِظَهُ اللهُ:

«فالإحسانُ بينَ العبدِ وبينَ رَبِّهِ هو إتقانهُ العَمَلِ الذي كَلَّمَهُ اللهُ به، بأنْ يأتي به صحيحًا خالصًا لِرَجْهِ اللهُ بِرَبِّهِ.»

عَمَلُ الإِحْسَانِ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ مَا تَوَقَّرَ فِيهِ:

الإِخْلَاصُ لِلَّهِ بِرَبِّهِ.

وَالْمُتَابَعَةُ لِلرَّسُولِ ﷺ.

وقد بيّن النبي ﷺ أَنَّ الإِحْسَانَ عَلَى مَرْتَبَتَيْنِ؛ وَاحِدَةٌ أَعْلَى مِنَ الْأُخْرَى:

الأولى: أَنْ تَعْبُدَ اللهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، بِأَنْ يَبْلُغَ بِكَ اليَقِينُ وَالإِيمَانُ بِاللَّهِ كَأَنَّكَ تُشَاهِدُ اللهُ عِيَانًا، لَيْسَ عِنْدَكَ تَرَدُّدٌ أَوْ أَيُّ شَكٍّ، بَلْ كَأَنَّكَ تَرَاهُ عِيَانًا، فَعَمَّنْ بَلَغَ هَذِهِ الْمَرْتَبَةَ؛ فَقَدْ بَلَغَ غَايَةَ الإِحْسَانِ، «تَعْبُدُ اللهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»؛ مِنْ كَمَالِ اليَقِينِ وَكَمَالِ الإِخْلَاصِ، كَأَنَّكَ تَرَى اللهُ عِيَانًا.

والله جَلَّ وَعَلَا لَا يُرَى فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا يُرَى فِي الْآخِرَةِ، وَلَكِنْ تَرَاهُ بِقَلْبِكَ حَتَّى كَأَنَّكَ تَرَاهُ بِعَيْنِكَ، وَلِذَلِكَ يُجَازَى أَهْلُ الإِحْسَانِ بِالْآخِرَةِ بِأَنْ يَرَوْهُ ﷻ، لَمَّا عَبَدُوهُ وَكَانَهُمْ يَرَوْنَهُ فِي الدُّنْيَا؛ جَازَاهُمْ اللهُ بِأَنْ أَفْسَحَ لَهُمُ الْمَجَالَ بِأَنْ يَرَوْهُ بِأَبْصَارِهِمْ فِي دَارِ النُّعِيمِ.

قال تعالى: ﴿يَلْبِثِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

الزِّيَادَةُ: هِيَ النَّظَرُ لِرُؤْيِهِ اللهُ، فَفِي «صحيح مسلم» (٢) عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ

(١) «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٢٦ - ١٣٥)، باختصار.

(٢) «رواه مسلم» (٧٨١).

﴿قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ - قَالَ -: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ نُبَيِّضْ وَجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ! قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ؛ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ. ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾.﴾

فَأَعْطَاهُمُ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ، وَهِيَ الْجَنَّةُ، وَزَادَهُمْ رُؤْيَا رَبِّهِمْ ﷻ.

«تَعْبُدُ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» عَلَى الْمَشَاهِدَةِ، وَالْمَحَبَّةِ وَالشُّوقِ إِلَى لِقَائِهِ ﷻ، تَتَلَذَّذُ بِطَاعَتِهِ، وَتَطْمَئِنُّ إِلَى طَاعَتِهِ ﷻ، تَشْتاق إِلَيْهَا، هَذِهِ طَرِيقَةُ الْمُحْسِنِينَ.

المرتبة الثانية: إِذَا لَمْ تَبْلُغْ هَذِهِ الْمَرْتَبَةَ الْعَظِيمَةَ فَإِنَّكَ تَعْبُدُهُ عَلَى طَرِيقَةِ الْمُرَاقَبَةِ، بِأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ يَرَاكَ، وَيَعْلَمُ حَالَكَ، وَيَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ، فَلَا يَلِيقُ بِكَ أَنْ تَعْصِيَهُ، وَأَنْ تَخَالِفَ أَمْرَهُ، وَهُوَ يَرَاكَ وَيَطَّلِعُ عَلَيْكَ.

وهذه حالةٌ جيِّدةٌ، وَلَكِنَّهَا أَقْلُ مِنَ الْأَوْلَى، وَمَا دُمْتَ أَنْكَ تَعْلَمَ أَنَّهُ يَرَاكَ؛ فَإِنَّكَ تُحْسِنُ عِبَادَتَهُ وَتُتَمَنِّيهَا؛ لِأَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَرَاكَ، وَاللَّهُ الْمِثْلُ الْأَعْلَى؛ لَوْ كُنْتَ أَمَامَ مَخْلُوقٍ لَهُ مَنْزِلَةٌ وَأَمْرٌ بِأَمْرٍ، وَأَنْتَ تَنْفُذُ هَذَا الْأَمْرَ أَمَامَهُ وَيَنْظُرُ إِلَيْكَ؛ هَلْ يَلِيقُ بِكَ أَنْ يَمْنَعَ مِنْكَ إِخْلَالَ بِهَذَا الْفِعْلِ؟

الحاصل: أَنَّ الْإِحْسَانَ عَلَى مَرْتَبَتَيْنِ:

مرتبة المشاهدة القلبية: وهي «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» مِنْ شِدَّةِ الْبَقِينِ وَالْإِيمَانِ، كَأَنَّكَ تَرَى اللَّهَ ﷻ عِيَانًا.

والمرتبة الثانية: وهي أَقْلُ مِنْهَا، أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ يَرَاكَ وَيَطَّلِعُ عَلَيْكَ، فَلَا تَعْصِيَهُ وَلَا تَخَالِفَ أَمْرَهُ ﷻ.

هذه مرتبة الإحسان، وهي أعلى مراتب الدين، مَنْ بَلَغَهَا فَإِنَّهُ بَلَغَ أَعْلَى مَرَاتِبِ



الدين، وَقَبْلَهَا مَرْتَبَةُ الْإِيمَانِ، وَقَبْلَهَا مَرْتَبَةُ الْإِسْلَامِ»^(١).

والإحسانُ بمعناه العامُّ يشتملُ إحسانَ العبدِ في عبادةِ رَبِّهِ، وتعاملَهُ مع الخلقِ، وأعمالَهُ، وأقوالَهُ ظاهراً وباطناً، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ ﴿٢﴾ [الملك: ٢].

ففي العباداتِ؛ يقولُ النبيُّ ﷺ لجبريلَ عندما سألهُ ما الإحسانُ؟ قال: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(٢).

وفي «الصحيحين»^(٣) من حديثِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِذَا نَصَحَ الْعَبْدُ سَيِّدَهُ، وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ كَانَ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ، وَالشَّاهِدُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُهُ: «وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ».

وفي «صحيح مسلم»^(٤) من حديثِ عثمانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ أَمْرٍ مِنْكُمْ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا، وَخُشُوعَهَا، وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يَأْتِ بِكَبِيرَةٍ، وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ».

وقد عَلَّمَنَا النبيُّ ﷺ أَنْ نَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى بِأَنْ يَرْزُقَنَا حُسْنَ الْعِبَادَةِ، فَمِنِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»^(٥) مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ. فَقَالَ:

(١) «شرح الأصول الثلاثة» (١٧٢ و ١٧٣).

(٢) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

(٣) رواه البخاري (٢٥٥٠)، ومسلم (١٦٦٤).

(٤) رواه مسلم (٢٢٨).

(٥) (صحيح) أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، وصحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٧٩٦٩).

أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ». وَكَانَ مِنْ دَعْوَاهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَوْلُهُ: «... وَأَسْأَلُكَ حُسْنَ عِبَادَتِكَ» جَاءَ ذَلِكَ مِنْ حَدِيثِ شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ وَهُوَ فِي مَسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ ^(١) اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرَّشِيدِ، وَنَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَالصَّبْرَ عَلَى بَلَاتِكَ، وَنَسْأَلُكَ حُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَالرِّضَا بِقَضَائِكَ، وَنَسْأَلُكَ قُلُوبًا سَلِيمَةً وَالسَّنَةَ صَادِقَةً، وَنَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ.

وَسَبِّحَاتِكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.

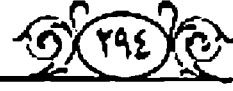


(١) (حَسَنٌ) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٤٨ / ٣٣٨) بِرَقْمِ ١٧١١٤، وَقَالَ مُحَقِّقُوهُ: حَدِيثٌ حَسَنٌ بِطَرِيقِهِ.



علاماتُ السَّاعَةِ

أول عظة النساء



ضويبا بـ CamScanner



١- علامات الساعة الصغرى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢] ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَخَافُونَ وَخَلَقَ مِنْ نَفْسِهِ زَوْجًا مِمَّنْهَا رَجُلًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿النساء: ١﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] ﴿بُصِّغَ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَتَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] ﴿الاحزاب: ٧٠-٧١﴾.

أما بعد: فإنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي معكم اليوم عن علامات الساعة الصغرى.

والساعة: جُزْءٌ من أجزاء الزَّمنِ، وَيُعَبَّرُ بِهِ عَنِ الْقِيَامَةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٨٥].

والساعة من أشهر أسماء يوم القيامة في النصوص الشرعية وكلام الناس، وسُمِّيَ ذَلِكَ الْيَوْمُ بِالسَّاعَةِ؛ لِأَنَّهُ يَأْتِي بَغْتَةً فَيَمَاجَأُ النَّاسُ فِي سَاعَةٍ.

والمؤمنون يخشون الساعة، ويخافون يوم القيامة؛ لإيمانهم بما فيه من الحساب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٩٦

والجزاء على الأعمال، ويعملون صالحًا في الدنيا لذلك اليوم العظيم، مع وجليهم أن لا يُقبل منهم. وأما أهل الكُفرِ والنفاقِ فيَسُخَرُونَ من ذلك، ويستعجلون قيام الساعة؛ لِكُفْرِهِمْ بِاللَّهِ تَعَالَى، وتكذيبِهِمْ بيومِ القِيَامَةِ، وقد وَصَفَ اللهُ تَعَالَى الْمُتَّقِينَ بقوله سبحانه: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿١١﴾﴾ [الأنبياء: ١٩].

وفي آية أخرى: ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ﴿١٨﴾﴾ [الشورى: ١٧ - ١٨].

والمُكذِّبُونَ بالسَّاعَةِ يُؤبِتُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى شَكِّهِمْ فِي قِيَامِ السَّاعَةِ، والجزاء على الأعمال ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَأَرَبِّ فِيهَا قُلُوبٌ مَأْنُودَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الجاثية: ٢٢].

والساعة آتية وإن استبطأها كثير من الناس، وقريبة وإن استبعدوا زمنها ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾ [النحل: ٧٧].

وللساعة أمارات تقع بين يديها، وعلامات تدل على قربها، ومن علاماتها ما وقع وانتهى، ومنها ما وقع ولا يزال يقع وهو في ازدياد، ومنها ما لم يقع وهو واقع لا محالة ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨].

وتنقسم علامات الساعة إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: العلامات الصغرى: وهي التي ظهرت وانقضت.

القسم الثاني: العلامات المتوسطة: وهي التي ظهرت ولم تنقض بل تترايد وتكثر وهي كثيرة جدًا.



القسم الثالث: العلامات الكبرى التي يعقبها اليوم الموعود.

وحديثنا اليوم عن علامات الساعة الصغرى وهي التي ظهرت ثم انقضت:

فمن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت ثم انقضت بعثة النبي محمد ﷺ، ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ؛ كَفَضْلِ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى، وَضَمَّ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى» والمراد بهذا التشبيه أنه رضي الله عنه ليس بينه وبين الساعة نبي آخر، فهي تليه، وتأني بعده، وهذا علم يقربها، ولا يستلزم العلم بوقت مجيئها، فإن العلم بوقت المجيء لا يعلمه إلا الله.

ويقول الإمام القرطبي رحمته الله كما في تذكيرته^(٢) متحدثاً عن أشراف الساعة الصغرى:

أولها النبي ﷺ؛ لأنه نبي آخر الزمان، وقد بعث وليس بينه وبين القيامة نبي. اهـ.

ومن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت ثم انقضت: انشقاق القمر وانشقاق القمر علامة على قرب الساعة؛ ويدل على ذلك قوله تعالى: «أَفَقَرَتِ الْسَّاعَةُ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾» [القمر: ١، ٢].

قال النووي رحمته الله: «قال القاضي: انشقاق القمر من أمهات معجزات نبينا ﷺ، وقد رواها عدة من الصحابة رضي الله عنهم، مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها»^(٣).

وفي (الصحيحين)^(٤) عن أنس رضي الله عنه قال: «سأل أهل مكة أن يرثم آية، فأراهم

(١) رواه البخاري (٦٥٤)، ومسلم (٢٩٥١).

(٢) «التذكرة» (١/ ٧٣).

(٣) «شرح النووي على مسلم» (١٧/ ١٤٣).

(٤) رواه البخاري (٣٦٣٧)، ومسلم (٢٨٠٢).

انشقاق القمر» وفي «صحيح البخاري»^(١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فزقتين فزقة فوق الجبل وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا» زاد في رواية «للبخاري»^(٢): «وتخن مع النبي ﷺ».

ومن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت ثم انقضت موت النبي ﷺ:

فَمَوْتُ النَّبِيِّ ﷺ عِلْمَةٌ مِنْ عِلْمَاتِ السَّاعَةِ وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ «البخاري»^(٣) عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مَوْتَانِ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقِعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِيفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاحِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا».

ومن علامات الساعة الصغرى التي وقعت ثم انقضت فتح بيت المقدس.

كما في حديث عوف بن مالك المتقدم: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ...»^(٤).

وَقَدْ فَتِحَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ فِي عَهْدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، سَنَةَ سِتِّ عَشْرَةَ مِنَ الْهِجْرَةِ.

ومن علامات الساعة الصغرى التي وقعت ثم انقضت طاعون عمواس.

(١) رواه البخاري (٤٨٦٤).

(٢) رواه البخاري (٤٨٦٥).

(٣) رواه البخاري (٣١٧٦).

(٤) الحديث السابق.



قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ - منها -: مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقِعَاصِ الْعَتَمِ» (١).

وَمُوتَانٌ - بِضَمِّ الْمِيمِ وَسُكُونِ الْوَاوِ - : هُوَ الْمَوْتُ الْكَثِيرُ الْوُقُوعِ.

وَقِعَاصُ - بِالضَّمِّ - دَاءٌ يَأْخُذُ الدَّوَابَّ، فَيَسِيلُ مِنْ أَنْفِهَا شَيْءٌ، فَتَمُوتُ فَجَأَةً (٢).

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يُقَالُ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ ظَهَرَتْ فِي طَاعُونِ عَمَوَاسٍ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ، وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ فَتْحِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ» (٣).

وقال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«وَقَدْ وَقَعَ هَذَا الطَّاعُونُ سَنَةَ ثَمَانِ عَشْرَةَ لِلْهِجْرَةِ، أَيْ: بَعْدَ فَتْحِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ بِعَامَيْنِ عَلَى الْمَشْهُورِ، حَيْثُ وَقَعَ فِي كُورَةِ عَمَوَاسَ، ثُمَّ انْتَشَرَ فِي أَرْضِ الشَّامِ، فَمَاتَ فِيهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمِنْ غَيْرِهِمْ، قِيلَ: بَلَغَ عَدْدُ مَنْ مَاتَ فِيهِ خَمْسَةٌ وَعِشْرِينَ أَلْفًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَمَاتَ فِيهِ أَبُو عُبَيْدَةَ عَامِرُ بْنُ الْجَرَّاحِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ -» (٤).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ لِلْحَاكِمِ مِنْ طَرِيقِ الشَّعْبِيِّ عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ لِمُعَاذِ فِي طَاعُونِ عَمَوَاسَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِي: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ»، فَقَدْ وَقَعَ مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ، يَعْنِي: مَوْتُهُ ﷺ، وَفَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ،

(١) الحديث السابق.

(٢) انظر «البدایة والنہایة» (٧ / ٩٤).

(٣) «فتح الباري» (٦ / ٣٢٢).

(٤) انظر «فتح الباري» (٦ / ٢٧٨).

وَالطَّاعُونَ، قَالَ: وَيَبْقَى ثَلَاثٌ، اهـ (١).

ومن علامات الساعة الصغرى التي وقعت ثم انقضت اُفتتال عليّ ومعاوية رضي الله عنهما.

وفي «صحيح البخاري» (٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَلَ فِتْنَانِ عَظِيمَتَانِ تَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعَوْتُهُمَا وَاجِدَةٌ».

وقال الحافظ ابن حجر رحمته الله:

«الْمُرَادُ بِالْفِتْنَتَيْنِ، عَلِيٌّ وَمَنْ مَعَهُ، وَمُعَاوِيَةُ وَمَنْ مَعَهُ» (٣).

ومن علامات الساعة الصغرى التي وقعت ثم انقضت ظُهورُ نارِ الجحاز.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْجَحَازِ تُضِيءُ لَهَا أَعْنَاقُ الْإِبِلِ بِبُصْرَى» (٤).

وَقَدْ ظَهَرَتْ هَذِهِ النَّارُ فِي الْقَرْنِ السَّابِعِ الْهَجْرِيِّ.

قَالَ النَّوَوِيُّ رحمته الله:

«خَرَجَتْ فِي زَمَانِنَا نَارٌ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، وَكَانَتْ نَارًا عَظِيمَةً جِدًّا، مِنْ جَنْبِ الْمَدِينَةِ الشَّرْقِيِّ وَرَاءَ الْحَرَّةِ، وَقَدْ تَوَاتَرَ الْعِلْمُ بِهَا عِنْدَ جَمِيعِ أَهْلِ الشَّامِ وَسَائِرِ الْبُلْدَانِ، وَأَخْبَرَنِي مَنْ حَضَرَهَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ» اهـ (٥).

(١) «فتح الباري» (٦ / ٢٧٨).

(٢) رواه البخاري (٧١٢١).

(٣) «فتح الباري» (١٣ / ٩٤).

(٤) رواه البخاري (٧١١٨)، ومسلم (٢٩٠٤).

(٥) «شرح مسلم» (١٨ / ٢٨).



وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«قَدْ خَرَجَتْ نَارٌ بِالْحِجَازِ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَ بَدْوُهَا زَلْزَلَةً عَظِيمَةً فِي لَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ بَعْدَ الْعَتَمَةِ، الثَّلَاثِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَاسْتَمَرَّتْ إِلَى صُحَى النَّهَارِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَسَكَنَتْ، وَظَهَرَتْ النَّارُ بِقُرَيْظَةَ بِطَرْفِ الْحَرَّةِ تُرَى فِي صُورَةِ الْبَلَدِ الْعَظِيمِ، عَلَيْهَا سُورٌ مَحِيطٌ عَلَيْهِ شَرَارِيفٌ وَأَبْرَاجٌ وَمَآذِنٌ، وَتُرَى رِجَالًا يَقُودُونَهَا، لَا تَمُرُّ عَلَى جَبَلٍ إِلَّا دَكَّتُهُ وَأَذَابَتْهُ، وَتَخْرُجُ مِنْ مَجْمُوعٍ ذَلِكَ مِثْلُ النَّهْرِ أَحْمَرٌ وَأَزْرَقٌ لَهُ دَوِيٌّ كَدَوِيٍّ الرَّعْدِ يَأْخُذُ الصُّخُورَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيَنْتَهِي إِلَى مَحَطِّ الرَّكَبِ الْعِرَاقِيِّ، وَاجْتَمَعَ فِي ذَلِكَ رَدْمٌ صَارَ كَالْجَبَلِ الْعَظِيمِ، فَانْتَهَتْ النَّارُ إِلَى قُرْبِ الْمَدِينَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَكَانَ يَأْتِي الْمَدِينَةَ نَيْسِيمٌ بَارِدٌ، وَسُوهِدَ لِهَذِهِ النَّارِ غَلْيَانٌ كَغَلْيَانِ الْبَحْرِ، وَقَالَ لِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا: رَأَيْنَاهَا صَاعِدَةً فِي الْهَوَاءِ مِنْ نَحْوِ خَمْسَةِ أَيَّامٍ، وَسَمِعْتُ أَنَّهَا رُوِّتٌ مِنْ مَكَّةَ، وَمِنْ جِبَالِ بَصْرَى» اهـ (١).

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَالَّذِي ظَهَرَ لِي أَنَّ النَّارَ الْمَذْكُورَةَ فِي حَدِيثِ الْبَابِ هِيَ الَّتِي ظَهَرَتْ بِنَوَاحِي الْمَدِينَةِ، كَمَا فَهَمَهُ الْقُرْطُبِيُّ وَغَيْرُهُ» (٢).

وَهَذِهِ النَّارُ غَيْرُ النَّارِ الَّتِي تَحْشُرُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ.

ومن علامات الساعة الصغرى التي وقعت ثم انقضت قتال الترك.

ففي «الصحيحين» (٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ التُّرُكَ، قَوْمًا وَجُوهُهُمْ كَالْمَجَانِّ (أي: كالترس)

(١) «التذكرة» (٦٣٦، ٦٣٧).

(٢) «فتح الباري» (٨٥ / ١٣).

(٣) رواه البخاري (٣٥٩١)، ومسلم (٢٩١٢).

أدعية خيرية للنساء

٣٠٢

المُطْرَقَةُ، يَلْبَسُونَ الشَّعْرَ وَيَمْشُونَ فِي الشَّعْرِ. وَفِي لَفْظٍ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» (١) أَيْضًا: «صِغَارُ الْأَعْيُنِ، ذُلْفُ الْأَنْوْفِ» [أي: قِصْرُ الْأَنْوْفِ]، وَلِلْبُخَارِيِّ (٢) عَنْ عَمْرِو بْنِ تَغْلِبَ: «لِقَوْمًا عَرَّضُوا الرُّجُوهَ، كَأَنَّ رُجُوهَهُمُ الْمَجَانُ الْمُطْرَقَةُ؛ وَقَدْ قَاتَلَ الْمُسْلِمُونَ التُّرْكَ فِي عَصْرِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ» (٣)، وَكَذَلِكَ قَاتَلُوهُمْ فِي عَصْرِ الْإِمَامِ النَّوَوِيِّ.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «فَقَدْ وَجَدَ قِتَالَ هَؤُلَاءِ التُّرْكَ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِمُ الَّتِي ذَكَرَهَا النَّبِيُّ ﷺ، صِغَارُ الْأَعْيُنِ، حُمْرُ الرُّجُوهِ، ذُلْفُ الْأَنْوْفِ، عَرَّاضُ الرُّجُوهِ، كَأَنَّ رُجُوهَهُمُ كَالْمِجَانِ الْمُطْرَقَةُ، يَنْتَعِلُونَ الشَّعْرَ، فَوَجِدُوا بِهَذِهِ الصِّفَاتِ كُلِّهَا فِي زَمَانِنَا، وَقَاتَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ مَرَّاتٍ، وَقَاتَلَهُمُ الْآنَ» (٤).

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَالغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بَرٍّ، وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ.
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَوَسِّعْ لَنَا فِي دَارِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِيمَا رَزَقْتَنَا.
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَمْلِكُهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَرَمِ، وَالتَّرْدِي، وَالْهَدْمِ، وَالنَّعْمِ، وَالغَرَقِ، وَالْحَرَقِ، وَنَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنَا الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَنَعُوذُ بِكَ أَنْ نَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُذْبِرِينَ، وَنَعُوذُ بِكَ أَنْ نَمُوتَ كَإِدْيَغِينَ.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرُك ونتوبُ إليك.

(١) رواه البخاري (٢٩٢٩)، ومسلم (٢٩١٢).

(٢) رواه البخاري (٢٩٢٧).

(٣) انظر «فتح الباري» (٦ / ٦٠٩).

(٤) «شرح مسلم» (٩ / ٢٢٧).

٢- علامات الساعة الصغرى التي ظهرت وما زالت تتابع الظهور

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢] ﴿آل عمران: ١٨٢﴾، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ﴿النساء: ١﴾، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] ﴿يُطِيعُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] ﴿الاحزاب: ٧٠-٧١﴾.

أما بعد: فإنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا وَكُلُّ مُخَدَّنَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعدُ فحديثي اليوم عن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت وما زالت تتابع الظهور. فَمِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ ﷻ أَنْ أَخْفَى وَقْتِ السَّاعَةِ وَأَوَانَ الزَّوَالِ، وَجَعَلَ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِهِ الَّذِي لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا مَلَكَ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، قَالَ ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [٢٦] ﴿لقمان: ٣٤﴾.

وقال ﷺ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْ قُبِهَا إِلَّا هُوَ نَقَلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وعلى المؤمن ألا يشغل نفسه بتحديد وقت الساعة؛ فإن كل ذلك رجم بالغيب، وقول غير صحيح، والأليق بالمؤمن أن ينشغل بما ينفعه عندما تقوم الساعة؛ ففي «الصحيحين»^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ: متى الساعة؟ فقال ﷺ: «ماذا أهددت لها؟»، فوجهه ﷺ إلى ما ينفعه وما ينبغي أن يسأل عنه.

وقد جعل الله لقرب الساعة أمارات وأشرافاً؛ قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ [محمد: ١٨].

فمن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت وما زالت تتابع الظهور:

الفتن العظيمة وقد بين النبي ﷺ أن ظهور الفتن وكثرتها من أشراف الساعة ففي «صحيح البخاري»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل وتتقارب الزمان وتظهر الفتن وتكثر الهزج وهو القتل».

ومن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت وما زالت تتابع الظهور كثرة القتل ففي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يكثر الهزج، قالوا: وما الهزج يا رسول الله؟ قال: القتل، القتل».

ومن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت وما زالت تتابع الظهور ظهور مدعي النبوة، ففي «الصحيحين»^(٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا

(١) رواه البخاري (٣٦٨٨)، ومسلم (٤٦٣٩).

(٢) رواه البخاري (٩٨٩).

(٣) رواه مسلم (١٥٧).

(٤) رواه البخاري (٦٧٠٤)، ومسلم (٢٢٧٤).



تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ.

وَمِمَّنْ ظَهَرَ مِنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثِينَ مُسَيِّمَةُ الْكُذَّابِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَالْأَسْوَدُ الْعَنْسِيُّ فِي الْيَمَنِ وَظَهَرَتْ سَجَّاحُ التَّمِيمِ فَأَدَّعَتْ النُّبُوَّةَ وَتَزَوَّجَهَا مُسَيِّمَةُ الْكُذَّابِ ثُمَّ لَمَّا قُتِلَ رَجَعَتْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَظَهَرَ طَلِيحَةُ بْنُ خُوَيْلِدٍ الْأَسَدِيُّ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْإِسْلَامِ، ثُمَّ ظَهَرَ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ الثَّقَفِيُّ، وَظَهَرَ الْحَارِثُ الْكُذَّابُ فِي خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مِرْوَانَ، وَخَرَجَ فِي خِلَافَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ جَمَاعَةً، وَظَهَرَ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ مِيرْزَا أَحْمَدُ الْقَادِيَانِيُّ بِالْهِنْدِ وَأَدَّعَى النُّبُوَّةَ وَأَنَّهُ الْمَسِيحُ الْمُنْتَظَرُ.

قال ابن حجر رحمه الله: «وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالْحَدِيثِ مَنْ ادَّعَى النُّبُوَّةَ مُطْلَقًا فَإِنَّهُمْ لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً لِكَوْنِ غَايِبِهِمْ يَنْشَأُ لَهُمْ ذَلِكَ عَنْ جُنُونٍ أَوْ سَوْدَاءٍ وَإِنَّمَا الْمُرَادُ مَنْ قَامَتْ لَهُ سَوْكَةٌ وَبَدَتْ لَهُ شُبُهَةٌ كَمَنْ وَصَفْنَا وَقَدْ أَهْلَكَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ وَقَعَ لَهُ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَيَقِي مِنْهُمْ مَنْ يُلْحِقُهُ بِأَصْحَابِهِ وَآخِرُهُمُ الدَّجَالُ الْأَكْبَرُ» (١).

ومن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت وما زالت تتابع الظهور ضياع الأمانة وإسناد الأمر إلى غير أهله ففي «صحيح البخاري» (٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ في مجلسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَتَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ، فَكِرَةً مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ، قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟» قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِذَا ضَيَّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ». قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا وُشِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ».

(١) فتح الباري (٦/ ٦١٧).

(٢) رواه البخاري (١١٧).

ومن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت وما زالت تتابع الظهور:

ظهور المعازيف واستيخلائها فقد أخرج الطبراني في «الكبير» بسند صحيح صححة الألباني في «صحيح الجامع»^(١) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَسْفٌ وَقَذْفٌ وَمَسْخٌ إِذَا ظَهَرَتِ الْمَعَارِيفُ وَالْقَيْنَاتُ وَاسْتُحْلِلَتِ الْخَمْرُ».

وفي «صحيح البخاري»^(٢) من حديث أبي عامر الأشعري رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَارِيفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنَّةٍ عَلِيمٌ، يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ لِحَاجَةٍ، فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيَسْتَجِيبُهُمُ اللَّهُ وَيَضَعُ الْعَلِمَ، وَيَمَسُخُ آخِرِينَ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

ومن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت وما زالت تتابع الظهور شرب الخمر ورفع العلم وانتشار الزنا ففي «الصحاحين»^(٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَسْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيَبُتَّ الْجَهْلُ وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ وَيَظْهَرَ الزَّانَا».

ومن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت وما زالت تتابع الظهور ظهور الربا وانتشاره بين الناس، وعدم المبالاة بأكل الحرام، أخرج الطبراني في «الأوسط» بسند قال عنه الألباني في «صحيح الترغيب» صحيح لغيره^(٤) عن ابن مسعود، عن النبي

(١) (صحيح) أخرجه الطبراني (٥٨١٠) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٦٥).

(٢) رواه البخاري تعليقا (٥٥٩٠)، ورواه أبو داود (١٠٣٩) وغيره.

(٣) رواه البخاري (٨٠)، ومسلم (٦٢٧١).

(٤) (صحيح لغيره) رواه الطبراني في الأوسط (٨١٤٨) وقال الألباني في صحيح الترغيب (١٨٦١):

صحيح لغيره.



ﷺ قَالَ: «بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ يَظْهَرُ الرَّبَا، وَالرَّنَا، وَالخَمْرُ».

ومن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت وما زالت تتابع الظهور تصديق الكاذب وتكذيب الصادق وتخوين المؤمن وتأمين الخائن وتولية الرويضة أمور الناس.

ففي مسند أحمد بسند صحيح صححه الألباني في «الصححة»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَاهَاتٌ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُكذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ وَيَنْطَلِقُ فِيهَا الرُّوَيْضَةُ قَبْلَ: وَمَا الرُّوَيْضَةُ؟ قَالَ: الرَّجُلُ النَّافِيَةُ بِتَكَلُّمٍ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ».

ومن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت وما زالت تتابع الظهور:

كثرة الشُّعْ، والشُّعْ هو أشدُّ البُخْلِ، وقيل: هو البُخْلُ مع الجِزْصِ في «الصححين»^(٢) من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قَالَ: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّعْ، وَتَظْهَرُ الْفِتْنُ، وَتَكْثُرُ الْهَرْجُ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّهُمُ هُوَ؟ قَالَ: الْقَتْلُ، الْقَتْلُ».

ومن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت وما زالت تتابع الظهور السلام على من تعرف وخروج النساء للتجارة وقطعة الأرحام وشهادة الزور.

ففي مسند أحمد بسند صحيح صححه الألباني في «الصححة»^(٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ - أَيُّ أَنْ يَكُونَ التَّسْلِيمُ عَلَى مَنْ يَتَعَرَّفُ وَلَا يُسَلِّمُ عَلَى مَنْ لَا يَتَعَرَّفُ -، وَفَسْوَى التَّجَارَةِ،

(١) (صحيح) أخرجه أحمد (٢/ ٢٩١) وصححه الألباني في «الصححة» (١٨٨٧).

(٢) رواه البخاري (٦٦٥٢)، ومسلم (١٥٧).

(٣) رواه أحمد (١/ ٤٠٧)، والحاكم (١/ ١٣)، وغيرهما، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٤٧).

والشهرُ كالجمعة، والجمعة كالיום، واليومُ كاحتراقِ السَّعْفَةِ.

ومن معاني تقاربِ الزمانِ: سرعةُ انقضاءِ الوقتِ، والتطورُ في وسائلِ النقلِ والاتصالِ التي تجعلُ التَّنْقُلَ أو المحادثةَ تَيْمُّ في وقتٍ قصيرٍ جداً، وقِلَّةُ البركةِ في الوقتِ ولعلَّ هذا هو المعنى الصحيح.

قال ابنُ حجرٍ: «فالذي تَصَمَّنَهُ الحديثُ وُجِدَ في زماننا هذا، فَإِنَّا نَجِدُ من سرعةِ مرِّ الأيامِ ما لَمْ نَكُنْ نَجِدُهُ في العَصْرِ الذي قَبْلَ عَصْرِنَا هذا وإنْ لَمْ يَكُنْ هناك عَيْشٌ مُسْتَلَدٌّ، والحقُّ أَنَّ المرادَ نَزْعُ البركةِ من كُلِّ شيءٍ من الزمانِ وذلك من علاماتِ الساعةِ... قال النوويُّ: المرادُ بِقَصْدِهِ: عَدَمُ البركةِ فيه، وأنَّ اليومَ مثلاً يصيرُ الانتفاعُ به بِقَدْرِ الانتفاعِ بالساعةِ الواحدةِ»^(١).

ومن علاماتِ الساعةِ الصغرى التي ظهرت وما زالت تُتَابِعُ الظهورَ التَّشْبَهُ بالكفارِ. ففي «صحيح البخاري»^(٢) من حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْدِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ». فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَفَّارِسَ وَالرُّومِ؟ فَقَالَ: «وَمِنَ النَّاسِ إِلَّا أَوْلَئِكَ».

وقد تحقَّق ما أخبرَ به النبيُّ ﷺ، فوَقَعَ كثيرٌ من المسلمين في التَّشْبَهُ باليهودِ والنصارى، والتَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِهِمْ، وهذا كثيرًا ما يفعله ضِعَافُ الإيمَانِ والنُفُوسِ الَّذِينَ يظنُّونَ أَنَّهُمْ بهذا يسرون في رَكْبِ التَّقَدُّمِ والرُّقْبِيِّ.

وفي سُنَنِ أَبِي داوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع»^(٣) من

(١) الفتح (١٦) / ٣٠٩.

(٢) رواه البخاري (٧٣١٩).

(٣) (صحيح) أخرجه أبو داود (٤٠٣٦) وصحَّحَهُ الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٦١٤٩).

حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ».

ومن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت وما زالت تُتابع الظهور التبرُّج والسُّفور.

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا بَعْدُ: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَّاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا
النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مَمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا
يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لِيُوجِدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا».

ومعنى: (كاسياتٌ عارياتٌ) أي أنهنَّ يلبسن ثياباً غير ساترة لجميع أبدانهنَّ، أو
شفافة تصف ما تحتها، أو ضيقة تبرز تفاصيل جسدها. وهذا كله موجودٌ ويختلف
من بلدٍ لآخر.

ومن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت وما زالت تُتابع الظهور أن يكثر
النساء ويقل الرجال.

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لأحدنكم حديثاً لا
يُحدثنكم أحدٌ بعدي. سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ
وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ وَيَظْهَرَ الزَّانَا وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ وَيَقِلَّ الرَّجَالُ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقِيمُ
الْوَاحِدُ».

اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ. وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا
تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنْ اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا،

(١) رواه مسلم (٢١٢٨).

(٢) رواه البخاري (٥٣٣١)، ومسلم (٢٦٧١).



وَأَبْصَارِنَا، وَقُرَائِنَا مَا أَحْبَبْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ نَارَنَا عَلَيْنَ مَنْ ظَلَمْنَا،
وَأَنْصُرْنَا عَلَيْنَ مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا
تَبْلُغْ عَلَيْنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ تَرُدَّ إِلَيْنَا
أَرْذَلَ الْعُمُرِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْقَبْرِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا خَطِيئَتَنَا، وَجَهْلَنَا، وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا، اللَّهُمَّ
اغْفِرْ لَنَا هَزْلَنَا، وَجِدْنَا، وَخَطَطَنَا، وَعَمَدَنَا، وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدَنَا.

اللَّهُمَّ إِنَّا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّرْبَ إِلَّا أَنْتَ. فَاغْفِرْ لَنَا مَغْفِرَةً مِنْ
عِنْدِكَ، وَارْحَمْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



٣- المهدي عليه السلام

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِيهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١١٢) ﴿اللَّهِ عَمْرَانُ: ٧٢﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) ﴿النساء: ١﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) ﴿[الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْمَهْدِيِّ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا وَكُلُّ مُخَدَّنَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي اليومَ عن المَهْدِيِّ عليه السلام والذي خُروجُهُ أَوَّلُ عِلَامَةٍ مِنْ عِلَامَاتِ السَّاعَةِ الْكُبْرَى الَّتِي يَغْتَمِبُهَا الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ.

والمَهْدِيُّ وما أدراك ما المَهْدِيُّ، المَهْدِيُّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ يُؤَيِّدُ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، تَنْعَمُ الْأُمَّةُ فِي عَهْدِهِ نِعْمَةً لَمْ تَنْعَمْهَا قَطُّ؛ تُخْرِجُ الْأَرْضُ نَبَاتَهَا وَتُمْطِرُ السَّمَاءُ قَطْرَهَا، وَتُغَطِّي الْمَالَ بِغَيْرِ عَدَدٍ (١).

(١) انظر «أشراط الساعة» لولاييل (٢١٩).

ففي زمانه تكون الثمار كثيرة والزروع غزيرة، والمال واقرا، والسلطان قاهرا، والدين قائما، والعدو راغما، والخير في أيامه دائما^(١).

ومن صفات المهدي عليه السلام أنه يملأ الأرض عدلا كما ملئت ظلما، فهذا قد جاء عند الطبراني في الأوسط بسند صحيح صححه الألباني في «الصحيحة»^(٢) عن أبي سعيد قال: «لَتَمْلَأَنَّ الْأَرْضُ جَوْرًا وَظُلْمًا، فَإِذَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا بَعَثَ اللَّهُ رَجُلًا مِنْ أَسْمِهِ اسْمِي، فَيَمْلَأُهَا قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا».

ومن صفات المهدي عليه السلام أن اسمه كاسم رسول الله صلى الله عليه وآله، واسم أبيه كاسم أبي النبي صلى الله عليه وآله فيكون اسمه محمدا أو أحمد بن عبد الله، وهو من ذرية فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم من ولد الحسن بن علي عليهما السلام.

ففي سنن أبي داود بسند قال عنه الألباني في «صحيح الجامع» حسن صحيح^(٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وآله: «لَا تَنْقُضِي الْأَيَّامُ، وَلَا يَذْهَبُ الدَّهْرُ حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، اسْمُهُ يُوَاطِئُ اسْمِي» قال ابن كثير رحمته الله في المهدي: «وهو محمد بن عبد الله العلوي الفاطمي الحسيني عليه السلام»^(٤).

وفي سنن أبي داود بسند صحيح صححه الألباني في «صحيح أبي داود» من حديث أم سلمة رضي الله عنها، قالت: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: «الْمَهْدِيُّ مِنْ عَتْرَتِي مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ».

وقوله: من عترتي عترة الرجل أخص أقاربه، وقال ابن الأعرابي: العترة ولد

(١) «النهاية في الفتن والملاحم» لابن كثير (١/ ٣٦).

(٢) (صحيح) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨٣٢٥)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة) (١٥٢٩).

(٣) (حسن صحيح) أخرجه أبو داود (٤٢٨٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣٠٤).

(٤) النهاية في الفتن والملاحم (٥٥).

الرَّجُلِ وَذُرِّيَّتُهُ، وَعَقِبُهُ مِنْ صُلْبِهِ، فَعَتْرَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَكَذَلِكَ فَاطِمَةُ (١).

وَفِي مُنْتَدَى أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» (٢) مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَهْدِيُّ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ يُضْلِحُهُ اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ».

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «أَيُّ تَتُوبُ عَلَيْهِ وَيُؤَفِّقُهُ، وَيُلْهِمُهُ وَيُرْشِدُهُ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ» (٣).

فِيهِدِيهِ اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ فَيَقْدِفُ فِي قَلْبِهِ الْهَدَايَةَ، وَلِذَلِكَ يُسَمَّى الْمَهْدِيَّ؛ لِأَنَّ اللَّهَ هَدَاهُ، وَلَا يُسْتَعْرَبُ صِلَاحُ رَجُلٍ فِي لَيْلَةٍ، فَإِنَّ سَحْرَةَ فِرْعَوْنَ كَانُوا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ كَفَرَةً أَشْرَازَانَ فَلَمَّا أَلْقَى مُوسَى الْعَصَا، وَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ أَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ، فَمَاتُوا فِي آخِرِ النَّهَارِ مُشْهَدَاءَ أِبْرَارًا يُضْلِحُهُ اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ رَجُلًا فَلَنْ تَجِدَ مَنْ يُضِلُّهُ.

وَمِنْ صِفَاتِ الْمَهْدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ يَخْفِي الْمَالَ خَفِيًّا، وَلَا يَعُدُّهُ عَدًّا، كَمَا فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ ابْنِ مَاجَةَ» (٤) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ قَالَ: خَفِينَا أَنْ يَكُونَ بَعْدَ نَيْسَانَ حَدَّثْتُ فَسَأَلْنَا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيَّ يَخْرُجُ يَعِيشُ خَمْسًا أَوْ سَبْعَةً أَوْ تِسْعًا»، زَيْدُ الشَّالِكِ - أَحَدُ الرُّوَاةِ - قَالَ: وَقُلْنَا: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: «سِنِينَ، قَالَ: فَيَجِيءُ إِلَيْهِ رَجُلٌ، فَيَقُولُ: يَا مَهْدِيَّ أَعْطِنِي، قَالَ: فَيَخْفِي لَهُ فِي تَوْبٍ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَخْتَلِئَهُ مِنَ الدَّنَانِيرِ، أَوْ الدَّرَاهِمِ، أَوْ الذَّهَبِ، وَالْأَمْوَالِ». وَقَدْ وَرَدَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (٥) قَوْلُهُ عَلَيْهِ

(١) تهذيب اللغة للأزهري: (١/ ٢٤٢).

(٢) (صحيح) أخرجه أحمد (٢/ ٥٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٦٧٣٥.

(٣) «النهاية في الفتن والملاحم» (١/ ٢٩).

(٤) (صحيح) رواه الترمذي: ٢٢٣٢، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه: (٣٢٩٩).

(٥) رواه مسلم (٢٩١٣).



الصلاة والسلام: «يكونُ في آخِرِ أُمِّي خَلِيفَةُ يَخْنِي المَالَ حَتَّى لَا يَعُدَّهُ عَدَاةً فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ هُوَ المَهْدِيُّ عليه السلام».

ومن صفاته الجسدية أنه أَجْلَى الجَبْهَةِ، وَأَقْنَى الأنْفِ: كما جاء في سُنَنِ أَبِي داوُدَ بَسْنِدِ حَسَنِ حَسَنَةَ الألباني في «صحيح الجامع»^(١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المَهْدِيُّ مِنِّي أَجْلَى الجَبْهَةِ، أَقْنَى الأنْفِ، يَمَلَأُ الأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كما مَلِئْتُ جَوْرًا وظُلْمًا، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ.

أَجْلَى الجَبْهَةِ: يعني: واسعُ الجَبْهَةِ إذا انْحَسَرَ الشَّعْرُ عن مُقَدِّمِ الرَّأْسِ، فهذه الجَبْهَةُ قد انْجَلَتْ، جَبْهَتُهُ مُسَبَّعَةٌ. فإذا لَا يَغْطِيهَا الشَّعْرُ، وَيَنْزِلُ عَلَيْهَا بل هي واسعةٌ. أَقْنَى الأنْفِ: القَنَى في الأنْفِ طَوْلُهُ وِدْقَةُ أَرْبَتَيْهِ، والأَرْبَةُ هي رَأْسُ الأنْفِ مع ارتفاع في وَسْطِهِ، وَسَطُ الأنْفِ مرتفعٌ، فيه طَوْلٌ، وَسَطُهُ مرتفعٌ، الأَرْبَةُ دقيقةٌ، وَصَفْهَا وَضْفًا دَقِيقًا، إذا لو قال قائلٌ: أنا المَهْدِيُّ، وَنَظَرْتُ في وَجْهِهِ ولم تَجِدِ العلامَةَ في جَسَدِهِ فلا تُصَدِّقُهُ.

ومن صفاته أنه يُصَلِّي بالناسِ إمامًا وَيُصَلِّي عِيسَى عليه السلام خَلْفَهُ.

كما في «صحيح البخاري»^(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فَيْكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ».

وقال كما في «صحيح مسلم»^(٣) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ فَيْكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ». وفي رواية^(٤): «فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ» قال

(١) (صحيح) رواه أبو داود: ٤٢٨٧، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: (٦٧٣٦).

(٢) رواه البخاري (٣٤٤٩).

(٣) رواه مسلم (١٥٥).

(٤) رواه مسلم (١٥٥).

الوليد بن مسلم^(١): قال ابن أبي ذئب: أتدري ما أمكم منكم؟ قلت: تخبرني. قال: فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم ﷺ.

وفي «صحيح مسلم»^(٢) عن جابر بن عبد الله قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: وذَكَرَ الحديث، وفيه: «فَيَنْزِلُ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ ﷺ، فيقولُ أميرُهُم: تعالِ صلِّ لنا، فيقولُ: لا، إنَّ بعضكم على بعضٍ أمراء، تكرمة الله هذه الأمة».

وهذا الإمام الذي يُصلي بالمرحوم المهدي، جَزَمَ بذلك ابنُ الجوزي، والحافظُ ابنُ حجر، والسيوطي، وصديقُ حسنُ خان، والألباني، وغيرهم^(٣).

بل قال أبو الحسنِ الأبيدي: «تواردت الأخبارُ بأنَّ المهدِيَّ من هذه الأمة، وأنَّ عيسى يُصلي خَلْفَهُ»، نقله الحافظ، وأقره عليه، ونزولُ عيسى ﷺ سيكونُ عند إقامة الصلاة، وسيقدمه المهدِيُّ، فيأبى عيسى ليصلي المهدِيُّ إمامًا بالمسلمين، وخلفه نبيُّ الله^(٤).

ومن الحكمة في ذلك - كما قال أهل العلم - بيانُ فضلِ أمةِ محمدٍ ﷺ، وأنَّ إمامَ هذه الأمة رجُلٌ منهم، وبيانُ أنَّ عيسى تابعٌ لشرعيةِ محمدٍ ﷺ، ولن يأتي بشرعٍ جديد، ثمَّ تجوزُ إمامةُ المفضولِ للفاضلِ.

يعني: لو كان هناك واحدٌ أفضلُ والإمامُ أقلُّ فضلًا يجوزُ في الشريعة، ولا بأس بهذا، وقد صلى النبي ﷺ وراءَ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ، وصلى وراءَ أبي بكرٍ الصديقِ.

(١) «الوليد بن مسلم»: هو راوي الحديث عن ابن أبي ذئب، عن ابن شهاب، عن نافع مولى أبي قتادة، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم (١٥٦).

(٣) السلسلة الصحيحة: (١٥٢٩).

(٤) فتح الباري (٦/ ٤٩٤).



وقبل أن أودع مقامي هذا أقول إنه يجب علينا الإيمان بظهور المهدي؛ لأن الإيمان بظهور المهدي المنتظر جزء من عقيدة المسلم، ومن الإيمان بالغيب، والإيمان بالأشياء الغيبية من مستلزمات شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ، ومن مستلزمات الإيمان باليوم الآخر، والإيمان بأشراط الساعة من مقتضيات الإيمان بالغيب.

وقد دلت على ذلك أحاديث كثيرة وردت عن الرسول ﷺ بلغت حد التواتر كما قال المحققون من أهل الحديث.

قال الإمام الشوكاني: «والأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثاً فيها الصحيح والحسن والضعيف والمنجبر وهي متواترة بلا شك ولا شبهة بل يصدق وصف التواتر على ما هو دونها على جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول، وأما الآثار عن الصحابة المصراحة بالمهدي فهي كثيرة أيضاً لها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك...».

وقال السفاريني في عقيدته المسماة لوامع الأنوار البهية: «الإيمان بالمهدي من جملة عقيدة أهل السنة والجماعة...»^(١).

وقال في موضع آخر: «قد كثرت الأقوال في المهدي حتى قيل لا مهدي إلا عيسى، والصواب الذي عليه أهل الحق أن المهدي غير عيسى، وأنه يخرج قبل نزول عيسى ﷺ، وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم»^(٢).

والأحاديث الواردة في المهدي نقلت عن أكثر من عشرين من الصحابة رضوان الله عليهم.

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٨٣).

(٢) المزجع السابق (٢/ ٨٤).

وقد احتجَّ بها أهل الحديث وقبِلوها وذكَّر صاحب كتاب «عقد الدرر في أخبار المهدي المنتظر» أكثر من خمسين من علماء الحديث الذين رَوَوْا تلك الأحاديث واحتجُّوا بها فلا مجال لإنكارها.

وختامًا المهديُّ خارج لا محالة لكن لا نعلم وقت خروجه، والواجب على المسلم أن لا يتظرَّ خروج المهديِّ، بل عليه أن يُسارعَ ويجتهدَ ويعملَ بجدٍّ ونشاطٍ لتُصير الدين، وأن يُقدِّم ما يستطيعه للدين، وأن لا يعتمدَ على خروج المهديِّ أو غيره، بل يُصلح نفسه وأسرته ومن حوله، وبالتالي إن لقي الله لقيه وقد أعذر من نفسه.

قال الألباني رحمته الله:

«خروج المهدي لا يستلزم التوكُّل عليه وترك الاستعداد والعمل لإقامة حكم الله في الأرض، بل العكس هو الصواب، فإن المهدي لن يكون أعظم سعيًا من نبيِّنا محمد صلى الله عليه وآله الذي ظلَّ ثلاثًا وعشرين عامًا وهو يعمل لتوطيد دعائم الإسلام، وإقامة دولته، فماذا عسى أن يعمل المهديُّ لو خرج اليوم فوجدَ المسلمين شيعًا وأحزابًا وعلماؤهم إلا القليل منهم اتخذهم الناس رؤوسًا، لما استطاع أن يقيم دولة الإسلام إلا أن يؤخذ كلمتهم ويجمعهم في صفٍّ واحدٍ، وتحت راية واحدة، وهذا بلا شك يحتاج إلى زمنٍ مديد الله أعلم به، فالشرع والعقل معًا يقتضيان أن يقوم بهذا الواجب المخلصون من المسلمين، حتى إذا خرج المهديُّ، لم يكن بحاجة إلى أن يقودهم إلى النصير.

وإذا لم يخرج فقد قاموا بواجبهم والله يقول: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (١).

(١) الصحيحة (٤ / ٤٢ - ٤٣).



اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.
 اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكِّرْهُ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ،
 وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ.
 اللَّهُمَّ فَنَّا شُحَّ أَنْفُسِنَا وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُفْلِحِينَ.
 اللهم آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.
 اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ.
 يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ.
 وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



٤- صفات الدجال والتحذير من فتنته

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي سَاءَ لَوْلَا يَهْدِيهِ إِلَّا رَحْمَةُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) ﴿النساء: ١﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٦٨) ﴿الأحزاب: ٧٠-٧١﴾.

أما بعد: فإنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا وَكُلُّ مُخَدَّنَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعدُ فحديثي اليوم عن صفات الدَّجَالِ.

أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ فِتْنَةَ الدَّجَالِ أَكْبَرُ فِتْنَةٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُنْذُ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَذَلِكَ لِمَا مَعَهُ مِنَ الْخَوَارِقِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تُبْهِرُ الْعُقُولَ، وَتُخَيِّرُ الْأَلْبَابَ.

ففي «صحيح مسلم»^(١) عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَالِ».

(١) رواه مسلم (٢٩٦٦).



قَالَ الْإِمَامُ التَّوْبِيُّ: «الْمُرَادُ أَكْبَرُ فِتْنَتِهِ، وَأَعْظَمُ سُوءِيَّةِ» (١).

وَأَصْلُ الدَّجَالِ مَعْنَاهُ الْخَلْطُ (٢).

وَسُمِّيَ الدَّجَالُ دَجَالًا لِأَنَّهُ يُغْطِي الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ (٣).

وَسُمِّيَ مَيْحًا لِأَنَّهُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ الدَّجَالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ» (٤).

وَأَمَّا صِفَةُ الدَّجَالِ فَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، لَهُ صِفَاتٌ كَثِيرَةٌ، يَبْتَهِنُ لَنَا الشَّيْطَانُ بِهَا، يُتَعَرِّفُ النَّاسَ بِهِ، وَتَحْذِيرُهُمْ مِنْ شَرِّهِ، حَتَّى إِذَا خَرَجَ عَرَفَهُ الْمُؤْمِنُونَ، فَلَا يُفْتَنُونَ بِهِ.

فَمِنْ صِفَاتِهِ الْوَارِدَةِ فِي السُّنَّةِ: قُوَّتُهُ وَضَخَامَةُ بَدَنِهِ:

فَقِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (٥) مِنْ حَدِيثِ تَمِيمِ الدَّارِيِّ: «فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَهْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا».

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» (٦) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَبْتَهِنُ آتَانَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ» الْحَدِيثُ، فَذَكَرَ صِفَةَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ قَالَ: «فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرٌ جَسِيمٌ... قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الدَّجَالُ».

(١) «شرح مسلم» (١/ ٢٦٣).

(٢) انظر «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ١٠٢).

(٣) انظر «لسان العرب» (١١/ ٢٣٦).

(٤) سياتي تخريجه.

(٥) رواه مسلم (٢٩١٢).

(٦) رواه البخاري (٧١٢٨).

ومن صفات الدجال ضحامة بدينه إلا أنه قصير:

ففي «سنن أبي داود بسند صحيح صححه الألباني في «المشكاة»^(١) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إني قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت ألا تعقلوا، إن مسيح الدجال رجل قصير، أفحج، جعد، أهور، مطموس العين، ليس بنايته، ولا جحراء، فإن أليس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأهور».

ومن صفات الدجال أنه شاب:

ففي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث الثَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ: أن رسول الله ﷺ قال: «غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط...» فدل الحديث على أنه شاب كما دل على أنه قطط والقَطَطُ هو شديدُ جُودَةِ الشَّعْرِ^(٣).

ومن صفات الدجال أنه أحمر:

ففي «صحيح البخاري»^(٤) من حديث عبيد الله بن عمر - الذي تقدم ذكره -: أن رسول الله ﷺ قال: «فإذا رَجُلٌ أَحْمَرٌ جَسِيمٌ».

ومن صفات الدجال ممسوح العين اليمنى:

ففي «صحيح مسلم»^(٥) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٢٠)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٥٤٨٥).

(٢) رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٣) انظر «شرح مسلم» (٦٥ / ٨٨)، «النهاية» (٨١ / ٤).

(٤) رواه البخاري (٧١٢٨).

(٥) رواه مسلم (٢٩٣٣).



«الدَّجَالُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ».

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»^(١) عَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «... وَإِنَّ الدَّجَالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ عَلَيْهَا ظَفْرَةُ غَلِيظَةٌ» الظَّفْرَةُ: لَحْمَةٌ تَنْبُتُ عِنْدَ الْمَاقِي، وَقَدْ تَمْتَدُّ إِلَى السَّوَادِ فَتَغْشَاهُ^(٢).

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»^(٣) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَكَرَ الدَّجَالَ بَيْنَ ظَهْرَانِي النَّاسِ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلَا وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ».

وَقَدْ جَاءَ فِي رِوَايَةٍ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(٤) عَنْ حُدَيْفَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الدَّجَالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى».

وَقَدْ جَمَعَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ بَيْنَ هَذِهِ الرِّوَايَةِ وَالرِّوَايَاتِ الْقَائِلَةِ بِأَنَّ الْعَوَرَ فِي عَيْنِهِ الْيُمْنَى، بِأَنَّ كِلْتَايَ عَيْنَيْهِ مَعِيَّةٌ، وَذَلِكَ لِأَنَّ جَمِيعَ الرِّوَايَاتِ صَحِيحَةٌ، فَتَكُونُ الْعَيْنُ الْيُمْنَى هِيَ الْمَمْسُوحَةُ الَّتِي ذَهَبَ صَوْرُهَا، كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ، وَتَكُونُ الْعَيْنُ الْيُسْرَى هِيَ الَّتِي عَلَيْهَا ظَفْرَةُ غَلِيظَةٌ^(٥).

وَرَجَّحَ هَذَا الْجَمْعَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقُرْطُبِيُّ^(٦)، وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي هَذَا الْجَمْعِ: «هُوَ فِي

(١) رواه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (٢٩٣٤).

(٢) «النهلية» (٣/ ١٥٨).

(٣) رواه البخاري (٧١٤٣)، ومسلم (١٦٩).

(٤) رواه مسلم (٢٩٣٤).

(٥) انظر «شرح مسلم» للنووي (٢/ ٢٣٥).

(٦) «التذكرة» (١٦٣).

نَهَايَةَ مِنَ الْحُسْنِ»^(١).

قُلْتُ: نَعَمْ، هُوَ نَهَايَةُ فِي الْحُسْنِ، إِلَّا أَنَّهُ يُعَكِّرُ عَلَيْهِ أَنْ فِي إِحْدَى رِوَايَاتِ حَدِيثِ حُدَيْفَةَ فِي «الصَّحِيحِينَ»^(٢) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الدَّجَالُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ عَلَيْهَا ظَفْرَةٌ غَلِيظَةٌ»، فَوَصَفَ الْعَيْنَ الْمَمْسُوحَةَ بِكَوْنِهَا عَلَيْهَا ظَفْرَةٌ، فَانْتَقَصَ جَمْعُ الْقَاضِي عِيَاضٍ أَنْ إِحْدَاهُمَا - وَهِيَ الْيُمْنَى - مَمْسُوحَةٌ، وَالْأُخْرَى عَلَيْهَا ظَفْرَةٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَلِذَلِكَ فَقَدْ رَجَعَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ الرُّوَايَاتِ الْقَائِلَةَ بِأَنَّ الْعَوْرَ فِي الْعَيْنِ الْيُمْنَى، وَهِيَ فِي «الصَّحِيحِينَ» عَلَى رِوَايَةِ الْعَيْنِ الْيُسْرَى، الَّتِي فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»؛ لِأَنَّ الْمُتَّفَقَ عَلَيْهِ أَقْوَى مِنْ غَيْرِهِ^(٣).

ومن صفات الدجال مكتوب بين عينيه: كافر:

ففي «الصَّحِيحِينَ»^(٤) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، إِلَّا إِنَّهُ أَعْوَرٌ، وَإِنَّ رَبِّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ».

وفي «الصَّحِيحِينَ»^(٥) مِنْ حَدِيثِ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ، يَقْرَأُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ».

(١) المرجعُ قبلُ السابق.

(٢) رواه البخاري (٣٤٥٠)، ومسلم (٢٩٣٤).

(٣) انظر «فتح الباري» (١٣ / ٩٧).

(٤) رواه البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣).

(٥) رواه البخاري (٣٤٥٠)، ومسلم (٢٩٣٤).



وَفِي «الصَّحِيحِينَ»^(١) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «ثُمَّ ذَهَبْتُ
الْتَمْتُ، فَإِذَا رَجُلٌ جَسِيمٌ، أَحْمَرٌ، جَعْدُ الرَّأْسِ، أَعْوَرُ الْعَيْنِ، كَأَنَّ عَيْنَيْهِ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ،
قَالُوا: هَذَا الدَّجَالُ...».

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»^(٢) مِنْ حَدِيثِ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«الدَّجَالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، جُفَالُ الشَّعْرِ أَيْ: كَثِيرُهُ».

وَمِنْ صِفَاتِ الدَّجَالِ أَنَّهُ أَفْحَجُ:

فَفِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ بَسْنِدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْمَشْكَاءِ»^(٣) عَنْ عُبَادَةَ بْنِ
الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَسِيحَ الدَّجَالِ رَجُلٌ قَصِيرٌ أَفْحَجٌ».

وَالْأَفْحَجُ: هُوَ الَّذِي إِذَا مَسَىٰ بَاعَدَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ كَالْمُخْتَبِئِ، فَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ عُيُوبِهِ^(٤).

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ
الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَعَمَلٍ لَا يُرْفَعُ، وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَقَوْلٍ لَا يُسْمَعُ.

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.



(١) رواه البخاري (٧١٢٨)، ومسلم (١٦٩).

(٢) رواه البخاري (٣٤٥٠)، ومسلم (٢٩٣٤).

(٣) (صحيح) أخرجه أبو داود (٤٣٢٠)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٥٤٨٥).

(٤) «عون المعبود» (٧ / ٣٩٠).

٥- خروج الدجال والوقاية من فتنته

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [ال عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْكُمْ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الاحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعدُ فحديثي معكم عن المسيح الدجال، والدجال وما أدراك ما الدجال؟ هو رجلٌ من بني آدم يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ فَيَقْتُلُ بِهِ كَثِيرًا مِنَ الْمَخْلُوقِ، يُجْرِي اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ بَعْضَ الْأَعْمَالِ الْخَارِقَةِ، وَيَدَّعِي الرُّبُوبِيَّةَ وَلَا يَرُوجُ بِإِطْلَاقِ اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَيَدْخُلُ الْأَمْصَارَ كُلَّهَا إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، وَمَعَهُ نَارٌ وَجَنَّةٌ فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ، وَالْإِيمَانُ بِخُرُوجِهِ وَاجِبٌ. قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي زَمَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَهْلُ السُّنَّةِ يُؤْمِنُونَ بِخُرُوجِ الدَّجَالِ أَعَادَتَا اللَّهِ وَإِيَّاكَ مِنْ فِتْنَتِهِ^(١).

(١) أصول السنة (١٨٨).



وجُمهُورُ العلماءِ عَلَى أَنَّهُ مَوْجُودٌ الْآنَ فِي جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ، كَمَا جَاءَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»^(١) مِنْ حَدِيثِ تَمِيمِ الدَّارِيِّ الطَّوِيلِ فِيهِ قَوْلُهُ: «فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِينَا ذَابَّةً أَهْلَبُ كَثِيرِ الشَّعْرِ، لَا يُدْرَى مَا قُبْلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعْرِ، فَقُلْنَا: وَيَلَاكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: اعْمُدُوا إِلَيَّ هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَيَّ خَبَرَكُمْ بِالْأَشْوَاقِ».

وخروجه من علامات الساعة الكبرى، وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ بخروجه آخر الزمان ومن ذلك ما جاء في «صحيح مسلم»^(٢) من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: أطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذكر فقال: «أما تذاكرون؟» قالوا: نذكر الساعة قال: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات، فذكر الدخان والدجال والذابئة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ﷺ ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف بالخسوف بالمشرق والخسوف بالمغرب والخسوف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم» فخرج الدجال مقدمة لنزول عيسى بن مريم ﷺ.

أخبر النبي ﷺ أَنَّ فِتْنَةَ الدَّجَالِ أَعْظَمُ فِتْنَةٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُنْذُ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَذَلِكَ لِمَا مَعَهُ مِنَ الْخَوَارِقِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تُبْهِرُ الْعُقُولَ، وَتُخَيِّرُ الْأَلْبَابَ.

أخبر النبي ﷺ أَنَّ فِتْنَةَ الدَّجَالِ أَعْظَمُ فِتْنَةٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُنْذُ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَذَلِكَ لِمَا مَعَهُ مِنَ الْخَوَارِقِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تُبْهِرُ الْعُقُولَ، وَتُخَيِّرُ الْأَلْبَابَ.

(١) رواه مسلم (٢٩٤٢).

(٢) صحيح مسلم (٢٩١).

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَالِ». قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: «الْمُرَادُ أَكْبَرُ فِتْنَةٍ، وَأَعْظَمُ شَوْكَةٍ»^(٢).

فالمسيحُ الدجالُ من أعظمِ الفتنِ التي يُفتنُ الناسُ بها فهو يدَّعي الربوبيةَ وقد حَدَّثَ الأنبياءُ أُمَّهُمُ من فتنَةِ المسيحِ الدجالِ في «الصحيحين»^(٣) من حديثِ ابنِ عَمْرٍو قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي النَّاسِ فَأَنْتَنِي عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَالَ فَقَالَ: «إِنِّي أَنْذَرُكُمْوَهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوْحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنْ سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ، تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَهْوَرُ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَهْوَرَ».

أَمَّا مَكَانُ خُرُوجِهِ فَهُوَ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ جِهَةَ إِيْرَانَ، فَأَكْثَرُ أَتْبَاعِهِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ فِي «صحيح مسلم»^(٤) من حديثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَبْسُغُ الدَّجَالُ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ».

أَمَّا أَوَّلُ ظَهْوَرِهِ فَبِسَبَبِ غَضَبِهِ يَغْضَبُهَا ثُمَّ تَبَدَّلَتْ فِتْنَةٌ فِي «صحيح مسلم»^(٥) عَنْ حَفْصَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ غَضَبِهِ يَغْضَبُهَا».

الْفِتْنَةُ الَّتِي مَعَهَا فِتْنٌ حَقِيقِيَّةٌ وَلَيْسَتْ خِيَالَاتٍ كَخِيَالَاتِ السَّاحِرِ فِي «الصحيحين»^(٦)

(١) رواه مسلم (٢٩٤٦).

(٢) «شرح مسلم» (٩/٣٦٣).

(٣) رواه البخاري (٣٠٥٧) ومسلم (٢٩٣١).

(٤) رواه مسلم (٢٩٤٤).

(٥) رواه مسلم (٢٩٣٢).

(٦) رواه البخاري (٣٤٥٢) ومسلم (٢٩٣٤).



عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «لأننا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان أحدهما رأي العين ماء أبيض والآخر رأي العين نار تأجج، فإما أدركن أحد فليات النهر الذي يراه نارا وليغمض ثم ليطأطن رأسه فيشرب منه، فإنه ماء بارد».

فالذي يظهر على يد الدجال من الآيات من إنزال المطر والخضب على من يصدقه والجذب على من يكذبه واتباع كنوز الأرض له وما معه من جنة ونار ومياه تجري، كل ذلك محنة من الله واختبار ليهلك المرتاب وينجو المتيقن.

فالمؤمن يعصم الله منه ففي «الصحيحين»^(١) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: «مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب» فلا تروج فتته على الموحدين ففي «الصحيحين»^(٢) عن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه قال: ما سألت أحد النبي ﷺ عن الدجال أكثر مما سألت. قال: «وما يصبك منه إنه لا يضرك» قال: قلت: يا رسول الله، إنهم يقولون إن معه الطعام والأنهار. قال: «هو أهون على الله من ذلك» ومن فتن الدجال وتليبيه ما جاء في «الصحيحين»^(٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ يوماً حديثاً طويلاً عن الدجال، فكان فيما حدثنا قال: «يأتي وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة، فيتهيء إلى بعض السباخ التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس، أو من خير الناس، فيقول له: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه، فيقول الدجال: أرايتم إن قلت هذا ثم أخيبته، أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا، قال: فيقتله ثم يحييه، فيقول

(١) رواه البخاري (٣٤٥٢) ومسلم (٤٩٣٤).

(٢) رواه البخاري (٧١٢٢) ومسلم (٤٩٣٩).

(٣) رواه البخاري (٧٨٨٢)، ومسلم (٤٩٣٨).

يوم عذاب النساء

٢٣٠

حِينَ يُخَيِّبِهِ: وَاللَّهِ مَا كُنْتُ فِيكَ قَطُّ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْآنَ، قَالَ: فَيُرِيدُ الدَّجَالُ أَنْ يَفْتُلَهُ فَلَا يُسَلِّطُ عَلَيْهِ.

أما مدة مُكثِ الدَّجَالِ فِي الْأَرْضِ:

فكما جاء في «صحيح مسلم»^(١) من حديثِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه، أَنَّ الصَّحَابَةَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا لُبُّهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمَ كَسَيْتِهِ، وَيَوْمَ كَشَفِهِ، وَيَوْمَ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ».

أَتْبَاعُ الدَّجَالِ:

أَكْثَرُ أَتْبَاعِ الدَّجَالِ مِنَ الْيَهُودِ، وَالْعَجَمِ، وَالتُّرْكِ، وَأَخْلَاطٍ مِنَ النَّاسِ، بِمَا فِيهِمُ الْأَعْرَابُ وَالنِّسَاءُ؛ ففِي «صحيح مسلم»^(٢) عن أَنَسِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَتَّبِعُ الدَّجَالُ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّبَالِسَةُ».

وَذَلِكَ لِأَنَّ الْجَهْلَ غَالِبٌ عَلَى الْأَعْرَابِ، وَكَذَلِكَ النَّسَاءُ حَالُهُنَّ أَشَدُّ مِنْ حَالِ الْأَعْرَابِ، لِشِدَّةِ تَأْتُرِهِنَّ وَغَلْبَةِ الْجَهْلِ عَلَيْهِنَّ.

وَفِي مَسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدِ حَسَنِ حَسَنَةَ الْأَلْبَانِيِّ فِي «قِصَّةِ الدَّجَالِ»^(٣) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يَنْزِلُ الدَّجَالُ فِي هَذِهِ السَّبْعَةِ بِمَرْقَنَاءَ - وَإِذَا يَأْتِي مِنَ الطَّائِفِ - فَيَكُونُ أَكْثَرُ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النَّسَاءُ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْجِعُ إِلَى حَمِيمِهِ وَإِلَى أُمِّهِ وَإِبْنَتِهِ وَأَخِيهِ وَعَمَّتِهِ، فَيُوثِقُهَا رِبَاطًا، مَخَافَةَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ».

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤٤).

(٣) (حسن) أخرجه أحمد (٥٣٥٣) وحسنه الألباني في قصة الدجال (٨٨).

وأما نهاية الدجال فتكون على يدي عيسى بن مريم - عليه الصلاة والسلام - ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديث النّوّاس بن سَمْعَانَ: «قَبِيْمًا هُوَ كَذَلِك إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيْحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيٍّ وَمَشْقِيٍّ، بَيْنَ مَهْرُودَيْنِ - أَي: لَابِسِ ثَوْبَيْنِ مَضْبُوغَيْنِ -، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَئِن، إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطْرًا، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَجِلُّ لِكَافِرٍ يَحْدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفْسُهُ يَسْتَهِي حَيْثُ يَسْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُذْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ».

وأما الوقاية من فتنَةِ الْمَسِيْحِ الدَّجَالِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلَّمَ أُمَّتَهُ مَا يَتَّقُونَ بِهِ فِتْنَتَهُ، وَيَعَصِمُهُمْ مِنْهُ، وَأَهَمُّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَقِي مِنَ الدَّجَالِ:

مَعْرِفَةُ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ، الَّتِي لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا أَحَدٌ؛ فَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّجَالَ يَشْرُ بِأَكْلٍ وَيَشْرَبُ وَاللهُ مُتْرَهُ عَنْ ذَلِكَ، وَأَنَّ الدَّجَالَ أَعْوَرُ وَاللهُ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَأَنَّهُ لَا يَرَى أَحَدًا رَأَتْهُ حَتَّى يَمُوتَ، وَالِدَّجَالَ يَرَاهُ النَّاسُ عِنْدَ خُرُوجِهِ، مُؤْمِنُهُمْ وَكَافِرُهُمْ.

ومن الوقاية من فتنَةِ الْمَسِيْحِ الدَّجَالِ التَّعَوُّدُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ، خَاصَّةً فِي الصَّلَاةِ، وَقَدْ وَرَدَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيْحَةُ، مِنْهَا:

ففي «الصحيحين»^(٢) من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيْحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ».

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٢) رواه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٩).

رَجَفَاتٍ فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ، فَمِمَّا يُعْتَصَمُ بِهِ مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ سُكُنَى
هَاتَيْنِ الْمَدِينَتَيْنِ الْمُقَدَّسَتَيْنِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ
الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ،
وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفِرْ لَنَا مَغْفِرَةً مِنْ
عِنْدِكَ، وَارْحَمْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا مَا قَدَّمْنَا وَمَا أَخَّرْنَا، وَمَا أَسْرَرْنَا وَمَا أَعْلَنَّا، وَمَا أَسْرَفْنَا، وَمَا أَنْتَ
أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



٦- نزول عيسى ابن مريم عليه السلام

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٠) ﴿اللَّهُ عَمْرَان: ١٠٢﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً. وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) ﴿النساء: ١﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧) ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٦١) ﴿[الاحزاب: ٧-٦١].﴾

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا وَكُلُّ مُخَدَّنَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد: فحديثي اليوم عن نزول عيسى ابن مريم عليه السلام وعيسى ابن مريم عليه السلام، هُوَ مِنْ أَوْلِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، وَنَزُولُهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مِنَ الْعَلَامَاتِ الْكُبْرَى لِلسَّاعَةِ. قَالَ اللَّهُ ﷻ: (وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) (١١). وَإِنَّهُ يَعْنِي عِيسَى ﷺ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ أَي نَزُولُهُ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ يُعَلِّمُ بِهِ قُرْبَاهَا. قَالَ مُجَاهِدٌ: (وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ) أَي آيَةُ لِلسَّاعَةِ خُرُوجِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ (١).

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٩٤).



وقال الطبري: «معناه أن عيسى ظهوره علم يعلمون به مجيء الساعة لأن ظهوره من أشرائها ونزوله إلى الأرض دليل على فناء الدنيا وإقبال الآخرة» (١).

وما من شك أن عيسى ابن مريم عليه السلام حي إلى الآن خلافا لما يعتقد اليهود والنصارى أن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام قُتل وصلب، وأنه الآن في عداد الموتى، قال تعالى مخبرا عنهم: (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) [النساء: ١٥٧].

وأما المسلمون فيعتقدون فيه ما أخبر الله تعالى به، من كونه رُفِعَ إلى السماء حيا، ولا يزال حيا إلى أن ينزل في آخر الزمان حكما عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويقتل المسيح الدجال، ثم يموت في الأرض بعد ذلك.

قال تعالى رادا على أهل الكتاب قولهم بموت المسيح: (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا) ﴿٧٧﴾ بل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧٨﴾ [النساء: ٧٧، ٧٨].

فقوله هنا: (بل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ) يبين أنه رَفَعَهُ بَدَنَهُ وَرُوحَهُ، كما ثبت في «الصحيح» أنه ينزل بدينه وروحِهِ؛ إذ لو أريد موته لقال: وما قتلوه وما صلبوه، بل مات.

قال ابن كثير رحمه الله: «فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شبه لهم فقتلوا الشية وهم لا يتبينون ذلك، ثم إنه رَفَعَهُ إِلَيْهِ، وإنه باقٍ حي، وإنه سينزل قبل يوم القيامة، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة - التي سنوردُها إن شاء الله قريبا - فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية - يعني: لا يقبلها من»

(١) تفسير الطبري (١) / (٦٣٦).

أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْأَدْيَانِ، بَلْ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الْإِسْلَامَ أَوْ السَّيْفَ - (١).

وفي «الصحيحين» (٢) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْثَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْمِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْحَزِيئَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالَ، حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَاقْرَأُوا إِنَّ شِئْتُمْ: (وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ، قَبْلَ مَوْتِهِ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا)» [النساء: ١٥٩].

فَقَدْ فَسَّرَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْآيَةَ، بِأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ سَيُّمٌ بِهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ، وَذَلِكَ عِنْدَ نَزُولِهِ ﷺ آخِرَ الزَّمَانِ.

وَأَمَّا صِفَتُهُ فَهُوَ رَجُلٌ، مَرَبُوعُ الْقَامَةِ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ، أَحْمَرُ، جَعْدٌ، عَرِيضُ الصَّدْرِ، سَبَطُ الشَّعْرِ، كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ - أَي: حَمَامٍ - لَهُ لِمَّةٌ (شَعْرُ الرَّأْسِ) قَدْ رَجَلَهَا تَمَلُّاً مَا بَيْنَ مَنكَبَيْهِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي «الصحيحين» (٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْلَةُ أُسْرِي بِي لَقِيتُ مُوسَى... (فَنَعَّمْتُهُ إِلَى أَنْ قَالَ): وَلَقِيتُ عِيسَى... (فَنَعَّمْتُهُ فَقَالَ): رَبْعَةٌ، أَحْمَرٌ، كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ (يَعْنِي: الْحَمَامِ)».

وفي «صحيح البخاري» (٤) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ عِيسَى وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ، فَأَمَّا عِيسَى؛ فَأَحْمَرٌ جَعْدٌ عَرِيضُ الصَّدْرِ».

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١٥٤).

(٢) رواه البخاري (٣٤٤٨) واللفظ له، ومسلم (١٥٥).

(٣) رواه البخاري (٣٣٩٤)، ومسلم (١٦٨).

(٤) رواه البخاري (٤٢٨).



وفي «صحيح مسلم»^(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتني في العجبر وقريش تسألني... (فذكر الحديث، وفيه): وإذا عيسى ابن مريم ﷺ قائم يصلي، أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي».

وفي «الصحيحين»^(٢) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أراني ليلة عند الكعبة، فرأيت رجلاً آدم هو الأسمر الشديد الشمرة، كأحسن ما أنت راء من آدم الرجال، له لئمة كأحسن ما أنت راء من اللئيم، قد رجّلها، فهي تقطر ماء، منكثا على رجلين أو على عواتق رجلين، يطوف بالبيت، فالت: من هذا؟ فقيل هذا المسيح ابن مريم».

وأما صفة نزوله، ومهاتمه ﷺ:

فبعد خروج الدجال، وإفسيه في الأرض، يبعث الله عيسى ابن مريم ﷺ ليقتله، فينزل إلى الأرض، ويكون نزوله عند المنارة البيضاء شرقي دمشق الشام، وعليه مهرودتان (أي: ثوبان مصبوغان بورس ثم زعفران) واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعة تحدر منه جمان كاللؤلؤ، ولا يحل لكافر يجذ ربح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه.

ففي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث النّوّاس بن سَمْعَانَ صِفَةُ نَزُولِهِ وَالْمَكَانُ الَّذِي يَنْزِلُ فِيهِ، وَقَتْلُهُ لِلدَّجَالِ، فِيهِ الْحَدِيثُ بَعْدَ ذِكْرِهِ لِلدَّجَالِ قَالَ ﷺ: «فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأَطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ

(١) رواه مسلم (١٦٧).

(٢) رواه البخاري (٢٥٦٩)، ومسلم (٣٤٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

جَمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَجِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفْسُهُ يَتَّبِعِي حَيْثُ يَتَّبِعِي طَرَفُهُ، لَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ يَبَابٍ لُدًّا، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَيَنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عَيْسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ يِقْتَالِيهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ».

وفي «الصحيحين»^(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ؟».

ويكون نزوله على الطائفة المنصورة، التي تقاتل على الحق، وتكون مجتمعة لقتال الدجال، فينزل وقت إقامة الصلاة، يُصَلِّي خَلْفَ أَمِيرِ تِلْكَ الطَّائِفَةِ.

وفي «صحيح مسلم»^(٢) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، قَالَ: «فَيَنْزِلُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءَ، تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ».

وأما مدة بقائه في الأرض بعد نزوله، وَوَفَاتَهُ ﷺ:

فإنه يمكث في الأرض بعد نزوله وقتله الدجال أربعين سنة ففي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ»^(٣) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

(١) رواه البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥).

(٢) رواه مسلم (١٥٦).

(٣) (صحيح) أخرجه أحمد (٩٢٧٠) وأبو داود (٤٣٢٤)، وصحَّحه الألباني في «الصَّحِيحَةِ» (٢٨٢).



«الْاَنْبِيَاءُ اُمَّهَاتُهُمْ سَتَى، وَدِينُهُمْ وَاِحِدٌ، وَاَنَا اَوْلَى النَّاسِ بِعِيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ، لِاِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِنِي وَبِنْتِ نَبِيٍّ، وَاِنَّهُ نَزَلَ، فَاِذَا رَاَيْتُمُوهُ فَاغْرِفُوهُ، فَاِنَّهُ رَجُلٌ مَرْبُوعٌ اِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبِيَاضِ، كَاَنَّ رَاسَهُ يَقَطُرُ، وَاِنْ لَمْ يُصَبِّهْ بَلَّلٌ، وَاِنَّهُ يَدُقُّ الصَّلِيْبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيْرَ، وَيَضَعُ الْجَزِيْرَةَ وَيَقْبِضُ الْمَالَ، وَيَقَاتِلُ النَّاسَ عَلَيَّ الْاِسْلَامِ، حَتَّى يُهْلِكَ اللهُ بِرَبِّيكَ فِي اِمَارَتِهِ الْجَمَلَّ كُلَّهَا غَيْرَ الْاِسْلَامِ، وَحَتَّى يُهْلِكَ اللهُ بِرَبِّيكَ فِي اِمَارَتِهِ مَسِيْحَ الضَّلَالَةِ الْاَعْوَرَ الْكُذَّابَ، وَتَقَعُ الْاَمْنَةُ فِي الْاَرْضِ، حَتَّى يَزْعَى الْاَسَدُ مَعَ الْاِبِلِ، وَالنَّمْرُ مَعَ الْبَقْرِ، وَالذَّنَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَتَلْعَبُ الصَّيَّانُ بِالْحَيَّاتِ لَا يَضُرُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، يَلْبَثُ اَرْبَعِيْنَ سَنَةً، ثُمَّ يَتَوَفَّى ﷺ، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ».

وبعد أن يعيش عيسى - عليه الصلاة والسلام - بعد نزوله أربعين سنة في الأرض ثم يموت كما يموت الناس ويُدْفَنُ في الأرضِ وأما مكانُ دَفْنِهِ فَاللهُ أعلمُ؛ لِأَنَّ الأحاديثَ الواردةَ في دَفْنِ عيسى بنِ مريمَ ﷺ في حُجْرَةِ النَّبِيِّ - عليه الصلاة والسلام - بعد نزوله آخِرَ الزمانِ وموتِهِ كُلِّهَا ضعيفةٌ، وهكذا ما روى الترمذي عن عبدِ اللهِ بنِ سلام؛ أَنه مكتوبٌ في التوراة: «أَنَّ عيسى - عليه الصلاة والسلام - يُدْفَنُ مع النَّبِيِّ - عليه الصلاة والسلام -» فهو ضعيفٌ^(١).

اللَّهُمَّ اقسِمْ لَنَا مِنْ حَشِيَّتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَمِيزَانِ مَعَاصِيكَ. وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنْ اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُوَّاتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَارَنَا عَلَيَّ مَنْ ظَلَمْنَا، وَانصُرْنَا عَلَيَّ مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّمْنَا، وَلَا

(١) انظر «تُخْفَةُ الْأَحْوَذِيِّ» (٣ / ٨١).

مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا تَحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



٧- خروج ياجوج وماجوج

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٧٢) ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَخَافُ مِنْ نَفْسِكَ وَمَخَافَتَهُ مِنْهَا وَجْهًا وَبَيْنَ يَدَيْهَا كَثِيرًا وَخَشْيَةً وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٧١) ﴿النساء: ١﴾ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) ﴿يُضِلِّعْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) ﴿الاحزاب: ٧٠-٧١﴾.

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - رَشَرَ الْأُمُورِ مُخْدَنَاتُهَا وَكُلَّ مُخْدَنَةٍ بَدْعَةٍ، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد، فحديثي اليوم عن ياجوج وماجوج، وهما قبيلتان من ذُرِّيَّةِ آدَمَ تُسَمَّيَانِ بِهَذَا الْاسْمِ، كَمَا نَقُولُ نَحْنُ الْأَوْسُ وَالخَزْرَجُ وَهُمْ كَثِيرُهُمْ مِنْ بَنِي آدَمَ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَتَنَاجَحُونَ وَيَتَنَاسَلُونَ وَيَمُوتُونَ، أَمَا عَدَدُهُمْ فَهَمَّ قَبِيلَتَانِ كَثِيرَتَا الْعِدَّةِ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مُنَاجَزَتَهُمْ مِنْ كَثْرَتِهِمْ، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ كَثْرَتَهُمْ وَسُرْعَةَ خُرُوجِهِمْ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (حَقَّ إِذَا فُجِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ) ﴿الأنبياء: ٩٦﴾.

أول عظة للنساء

٢٤٢

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث النّوّاس بن سَمْعَانَ الطويلِ وفيه: «وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبْرِئَةَ فَيَسْرُبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، ثُمَّ يَسِيرُونَ». فقومٌ يَشْرَبُ أَوَّلُهُمُ الْبَحْرَ تَعَجُّ بِهِمُ الْأَرْضُ.

وفي «صحيح البخاري»^(٢) عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ ﻻ إِلَهَ إِلَّا هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ، يَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَتَأَدَّى بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكَ أَنْ تُخْرَجَ مِنْ دُرَّتِيكَ بَعَثًا إِلَى النَّارِ، قَالَ: يَا رَبِّ، وَمَا بَعَثَ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ - أَرَاهُ قَالَ - تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ، فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا، وَيَنْشِبُ الْوَالِدُ، وَتَمْرِي النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ».

فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مِنْ يَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ، وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ».

وَأَمَّا خُرُوجُهُمْ فَمِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الْكُبْرَى قَالَ اللهُ ﻻ إِلَهَ إِلَّا هُوَ: (حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَاجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ) (١١) وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا ابْنَ تِلْكَ آيَاتِنَا فَتَسْتَأْذِنُ فَيَقُولُ لِيْكُمْ آيَاتُنَا مَن هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (١٧) [الأنبياء].

جاء في التفسير الميسر^(٣):

«فإذا فُتِحَ سَدُّ يَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ، وانطلقوا من مرتفعات الأرض وانتشروا في

(١) رواه مسلم (٤٩٣٧).

(٢) رواه البخاري (٤٧٦١).

(٣) التفسير الميسر (٦ / ١٢).



جَنَابَتِهَا مُسْرِعِينَ، ذَنَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَتْ أَهْوَالُهُ فَإِذَا أَبْصَارُ الْكُفَّارِ مِنْ شِدَّةِ الْفَزَعِ مَفْتُوحَةٌ لَا تَكَادُ تَطْرِفُ، يَدْعُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْوَيْلِ فِي حَسْرَةٍ: يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا لَاهِينَ غَافِلِينَ عَنْ هَذَا الْيَوْمِ وَعَنِ الْإِعْدَادِ لَهُ، وَكُنَّا بِذَلِكَ ظَالِمِينَ».

وقد تواترت الأحاديث في أن خروج يأجوج ومأجوج من أشراف الساعة ففي «صحيح مسلم»^(١) عَنْ حُدَيْقَةَ بْنِ أَسِيدِ الْغِفَارِيِّ قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ فَقَالَ: «مَا تَذَكَّرُونَ؟» قَالُوا: نَذَكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرُونَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ». فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالدَّجَالَ وَالدَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَتُرُوقَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسَفَ بِالْمَشْرِقِ وَخَسَفَ بِالْمَغْرِبِ وَخَسَفَ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ».

أما أين يأجوج ومأجوج الآن؟ فهم وراء السد الذي بناه ذو القرنين كما أخبرنا الله تعالى في كتابه عن قصة بنيائه... ولم يبين الله لنا مكان هذا السد... فنقف حيث أوقفنا الله، وأما قصة بناء سد يأجوج ومأجوج فكما أخبرنا الله ﷻ في سورة الكهف قال تعالى: (ثُمَّ أُنْبِئَ سَيِّدًا ﴿١٢﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا بَنِي آدَمَ إِنَّا جَاعُونَ وَمَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿١٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿١٥﴾ مَا تُوِي زُبُرُ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿١٦﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لِمِ نَقْبًا ﴿١٧﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿١٨﴾ [الكهف].

إيضاح هذه الآيات الكريمات أن ذا القرنين وصل إلى مكان بين السدين والسدان

(١) رواه مسلم (٢٢٢٦).

هما جبلاين عظيمان فوجد من دونهما أي أمامهما قوما لا يكادون يفقهون قولا أي لا يفهمون إلا يبطء وصعوبة قالوا يا ذا القرنين إن قبيلتي يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض أي بالقتل ونهب الأموال وغير ذلك فهل تجعل لك خرجا أي أجرا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا فابى ذو القرنين أن يأخذ منهم أجره وأراد أن يدفع فساد يأجوج ومأجوج لوجه الله تعالى فقال: ما مكنتني فيه ربي خيرا أي ما أعطاني ربي من المال وغيره خيرا مما تبدلوه لي فأعينوني بقوة أي باليد العاملة والآلات أجعل بينكم وبينهم رذما أي حاجزا فأخبرهم أنه لا يريد المال ولكن يريد الإعانة بالأبدان والقوة.

أتوني زبر الحديد أي قطع الحديد فجعل قطع الحديد بين الجبلين حتى حاذى بقطع الحديد رؤس الجبلين قال انفقوا أي بالكيران حتى إذا جعلته نارا أي صارت قطع الحديد نارا متوهجة قال: أتوني أفرغ عليه قطرا أي نحاسا مذابا ليتخلل الحديد وتسلل بين فتواته وتخلط به فيزيده قوة وصلابة فلما فرغ ذو القرنين من بناء السد أراد يأجوج ومأجوج أن يظهروا عليه أي يعلوا عليه فما قدرُوا على ذلك لارتفاعه وملاسته فأرادوا أن يتفوهوا فما قدرُوا على ذلك لصلايته وسمكه وقوته.

فقال ذو القرنين: هذا أي السد رحمة أي نعمة من ربي قلته القصل في القدرة على صنعه «فإذا جاء وعد ربي» أي موعد خروج يأجوج ومأجوج قبيل قيام الساعة جعله دكاء أي ألصق السد بالأرض وحذت له الانهدام التام.

«وكان وعد ربي» بخروج يأجوج ومأجوج «حقا» لا بد أن يقع.

محاولة فتح ردم يأجوج ومأجوج ثم فتحه في آخر الزمان:

جاء في «الصحيحين»^(١) عن ربيب بنت جحش رضي الله عنها: أن النبي ﷺ دخل عليها

(١) رواه البخاري (٢٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠).



وَيَعْتُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ قَيْمَرٌ أَوَّابُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبْرِئَةَ قَيْسَرُبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ قَيْقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ وَيُحْضَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عَيْسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ قَيْرَعَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عَيْسَى وَأَصْحَابُهُ قَيْرَيْسُلُ اللَّهِ عَلَيْهِمُ النَّعْفَ فِي رِقَابِهِمْ قَيْصَبُحُونَ قَرَسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عَيْسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ وَتَنَّتُهُمْ، قَيْرَعَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عَيْسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ، قَيْرَيْسُلُ اللَّهِ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُحْتِ، فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُ مِنْهُ بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلْفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِي تَمَرْتِكِ، وَرُدِّي بَرَكْتِكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِخْفِهَا، وَيُبَارِكُ فِي الرُّسْلِ، حَتَّى أَنْ اللَّفْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِتَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللَّفْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللَّفْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَيْخِدَ مِنَ النَّاسِ، فَيَمَّا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ نَحْتِ آبَاتِهِمْ، فَتَنْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَنْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارِجَ الْحُمْرِ، (أَي: يُجَامِعُ الرَّجَالُ النِّسَاءَ بِحَضْرَةِ الرَّجَالِ كَمَا يَفْعَلُ الْحَمِيرُ) فَعَلَيْهِمْ تَقَوْمُ السَّاعَةِ.

وأما الواجب علينا نحنُ الإيمانُ بوجودِهِم فذلك من الإيمانِ بِنبيِّنا ﷺ ومن الإيمانِ بالغيبِ.

قال ابنُ قدامة المقدسي رحمه الله: «وَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ وَصَحَّ بِهِ النَّقْلُ فِيمَا شَاهَدْتَاهُ أَوْ غَابَ عَنْهُ، نَعْلَمُ أَنَّهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ، وَسَوَاءٌ فِي ذَلِكَ مَا عَقَلْنَاهُ وَمَا جَهَلْنَاهُ، وَلَمْ نَطَّلِعْ عَلَى حَقِيقَةِ مَعْنَاهُ مِثْلَ حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ... إِلَى أَنْ قَالَ: وَمِنْ ذَلِكَ أَشْرَاطُ السَّاعَةِ مِثْلَ خُرُوجِ الدَّجَالِ، وَنَزُولِ عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ فَيَمْتَلِئُهُ»



وخرج ياجوج وماجوج... (١).

وقال القاضي عياض: الأحاديث الواردة في ياجوج وماجوج: هذه الأخبار على حقيقتها يجب الإيمان بها؛ لأن خروج ياجوج وماجوج من علامات الساعة، وقد ورد في خبرهم أنه لا قدرة لأحد على قتالهم من كثرتهم، وأنهم يخصرون نبي الله عيسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين الذين نجوا من الدجال، فيدعو عليهم فيهلكهم الله تعالى أجمعين بالنفخ - وهو دود في رقابهم - فيؤذون الأرض والمؤمنين بسنهم، فيدعو عيسى وأصحابه ربهم فيرسل الله طيرا فتحملهم حيث شاء الله (٢).

وقال السفاريني رحمته الله: إن خروجهم من وراء السد على الناس حق ثابت لوروده في الذكر وثبوته عن سيد البشر، ولم يجعله عقل فوجب اعتقاده (٣)...

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَسُرِّ فِتْنَةِ الْغَيْبِ، وَسُرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ سُرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ قُلُوبَنَا بِمَاءِ الشَّلْحِ وَالْبَرْدِ، وَنَقِّ قُلُوبَنَا مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَطَايَانَا كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْمَأْتَمِ وَالْمَغْرَمِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْهَرَمِ، وَالْبُخْلِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ.

(١) «لمعة الاعتقاد» لابن قدامة (٣٠).

(٢) «إكمال المعلم» (٦ / ١١٤، ١١٦).

(٣) لوائح الأنوار (٢ / ١١٦).

يوم عرفة النساء

٢٤٨

اللهم إنا نعوذُ بك من جهدِ البلاءِ، ودركِ الشقاءِ، وسوءِ القضاءِ، وشماتةِ الأعداءِ.
 اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمةُ أمرنا، وأصلح لنا دُنيانا التي فيها معاشنا،
 وأصلح لنا آخِرَتنا التي فيها معادنا، واجعلِ الحياةَ زيادةً لنا في كلِّ خيرٍ، واجعلِ
 الموتَ راحةً لنا من كلِّ شرٍّ.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



٨- سائر أشراف الساعة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٥٩) ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَخَافُونَ وَتُحِبُّونَ. وَاللَّهُ كَانَ عَلَيْكُمْ لَقِيبًا﴾ (١٦٠) ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (١٦١) ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (١٦٢) [الاحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّنَاتُهَا وَكُلُّ مُخَدَّنَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعدُ فحديثي اليوم عن سائر أشراف الساعة فيجبُ الإيمانُ بأنه بعد موتِ عيسى ابنِ مريمَ - عليه الصلاة والسلام - سوفَ تعودُ البشريةُ إلى جاهليَّتها الأولى أو أشدَّ.

ففي «صحيح مسلم»^(١) من حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عمرو يقولُ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَالُ فِي أُمَّتِي، فَيَمُوتُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، أَوْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا، فَيَبْعَثُ اللَّهُ ﷻ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةٌ بَيْنَ مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ، فَيَطْلُبُهُ

(١) رواه مسلم (٢٩٦٠).

أول عظم النساء

٢٥٠

فِيهِلِكُهُ، ثُمَّ يَمُكُّ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَيْدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ، فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِيفَةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السَّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَمْتَلِئُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، يَقُولُ: أَلَا تَسْتَحْيُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ نَارٌ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَعُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْفَى لَيْثًا وَرَفَعَ لَيْثًا، وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، فَيَضَعُ وَيَضَعُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ فَتَبَّتْ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَعُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ».

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دؤس على ذي الخليفة»، وذو الخليفة طاغية دؤس التي كانوا يعبدون في الجاهلية. أي: أنهم يرتدون ويرجعون إلى جاهليتهم في عبادة الأوثان، فترمل نساء دؤس طانقات حوله، فترتج أزدافهن.

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبَدَ اللات والعزى»، قلت: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله، (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) [التوبة: ٣٣] أن ذلك تام، قال: «إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحاً طيبة فيؤوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيبقى من لا خبَر فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم».

(١) رواه البخاري (٧١١٦) ومسلم (٢٩٠٦).

(٢) رواه مسلم (٢٩٠٧).



فقوله: «حتى تُعبَدَ اللاتُ»: وهو اسمُ صنمٍ لثَقِيفَ.

وقوله: «والعُزَّى» اسمُ صنمٍ لِعَطْفَانَ وسَلِيمَ.

وهذا يكونُ عند قُرْبِ السَّاعَةِ قَبْلَ مَوْتِ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ ضَعْفِ الْإِسْلَامِ أَوْ بَعْدَهُ.

ومن أَسْرَاطِ السَّاعَةِ الْكُبْرَى: تُخْرَبُ الْكَعْبَةُ ثُمَّ لَا تُعْمَرُ بَعْدَ ذَلِكَ أَبَدًا، ففِي «الصَّحِيحِينَ» (١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يُخْرَبُ الْكَعْبَةُ ذُو السُّوَيْفَتَيْنِ مِنَ الْعَبَسَةِ».

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» (٢) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «كَانَتْ بِيهِ أَسْوَدٌ أَفْحَجٌ يَقْلَعُهَا حَجْرًا حَجْرًا».

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٣) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يَتَابِعُ لِرَجُلٍ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَلَنْ يَسْتَجِلَّ الْبَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ، فَإِذَا اسْتَحَلُّوهُ فَلَا تُسْأَلُ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ، ثُمَّ تَأْتِي الْعَبَسَةُ فَيُخْرَبُونَهُ خَرَابًا لَا يَعْمَرُ بَعْدَهُ أَبَدًا، وَهُمْ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ».

وَمِنْ أَسْرَاطِ السَّاعَةِ الْكُبْرَى الْخُوفَاتُ الثَّلَاثُ الَّتِي ذَكَرَهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم:

فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (٤) مِنْ حَدِيثِ بَنِي أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَطَّلَعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَيْنَا

(١) رواه البخاري (١٥٩٦)، ومسلم (٢٩٨).

(٢) رواه البخاري (١٥٩٥).

(٣) أحمد (٢/ ٢٩١). وقال الهيثمي في (٣/ ٢٩٨) في الصحيح بغضه: رجاله ثقات. وصححه الألباني في الصحيح (٥٧٩).

(٤) رواه مسلم (٢٩١).

أول خوارزم الساعة

٢٥٢

وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ، فَقَالَ: مَا تَذَاكُرُونَ؟ قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرُونَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ: فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَتُرُودَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ حُسُوفٍ: حَسَفٌ بِالْمَشْرِيقِ، وَحَسَفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَحَسَفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ.

ومن أشرار الساعة الكبرى طلوع الشمس من مغربها.

قال الله ﷻ: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا إِلَيْنَا مَنْظُورًا ﴿١٧٨﴾ [الأنعام: ١٧٨].

وفي «الصحيحين»^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورأها الناس آمن من عليها فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً الآية».

وفي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بادرُوا بالأعمالِ ميتاً طلوع الشمس من مغربها».

وفي «صحيح مسلم»^(٣) من حديث ابن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أوَّلَ الآيَاتِ خُرُوجَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَخُرُوجَ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحَى

(١) رواه البخاري (٤٦٣٥)، و«مسلم» (١/ ٩٥).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤٧).

(٣) رواه مسلم (٢٩٤١).

فَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتَيْهَا فَالْأُخْرَى عَلَى آثَرِهَا قَرِيبًا.

وفي «صحيح مسلم»^(١) من حديث أبي ذر رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمًا: «أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَقِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ، فَتَضْبِعُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَقِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ، فَتَضْبِعُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَكْبِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالَ لَهَا: ارْتَقِي، أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكَ، فَتَضْبِعُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَتَدْرُونَ مَتَى ذَاكُمْ؟ ذَاكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا».

ومسألة سجود الشمس كل ليلة واستئذانها تسجد تحت العرش كل ليلة وتساؤن ولا يلزم من ذلك أن تفارق فلكتها؛ لأن هذه أمور غيبية، ولو قلنا: إنها تفارق الفلك والآن بعد أن اكتشفت جميع أجزاء الأرض وأن الشمس لا تغاب عن الأرض، إذا غابت عن جزء طلعت على جزء آخر، فأقول: إن هذا من الأمور الغيبية التي لا تدرك بالرأي، فإذا صححت عندنا الأخبار علينا التسليم، يعني كما نقول في النزول الإلهي؛ لأن بعضهم يورد - هذا حديث صحيح - الله - جل وعلا - ينزل آخر كل ليلة في الثلث الآخر بالأدلة القطعية وصلت إلى حد القطع، والثلث الأخير متناوت من بلد إلى بلد، وأيضا قد يكون فيه شيء من المعارضة، ووجه معارضة لأحاديث الاستواء، وأدلة العلو، والذي قرره شيخ الإسلام أنه ينزل في آخر كل ليلة، وأنه لا يخلو منه

(١) رواه مسلم (١٥٩).

العَرْشُ، سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، هَذَا شَيْءٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ نَحِيطَ بِهِ، وَعَلَيْنَا أَنْ نَعْمَلَ، وَهَذَا مِنْ بَابِ امْتِحَانِ الْمُكَلَّفِ، وَقَدَّمَ الْإِسْلَامَ لَا تَثْبُتُ إِلَّا عَلَى قَنْطَرَةِ التَّسْلِيمِ^(١).

ومن علامات الساعة الكبرى ظهور الدابة قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (النمل: ٨٢). قال ابن سعدی رحمه الله: وهذه الدابة (تُكَلِّمُهُمْ) أي: تكلم العباد أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون، أي: لأجل أن الناس ضَعُفَ عِلْمُهُمْ وَيَقِينُهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ، فإظهار الله هذه الدابة من آيات الله العجبية ليبيِّن للناس ما كانوا فيه يَمْتَرُونَ.

وهذه الدابة هي الدابة المشهورة التي تخرج في آخر الزمان وتكون من أسراط الساعة كما تكاثرت بذلك الأحاديث [ولم يأت دليل يدل على كيفيةها ولا من أي نوع هي، وإنما دلت الآية الكريمة على أن الله يُخْرِجُهَا لِلنَّاسِ وَأَنَّ هَذَا التَّكْلِيمَ مِنْهَا خَارِقٌ لِلْعَوَائِدِ الْمَأْلُوفَةِ وَأَنَّهُ مِنَ الْأَدَلَّةِ عَلَى صِدْقِ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ]^(٢).

وفي صحيح مسلم^(٣) عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: أطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتدأكر، فقال: «مَا تَدَاكُرُونَ؟» قالوا: نذكر الساعة. قال: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرُونَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ: فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَاللَّجَالَ، وَالدَّابَّةَ...».

وفي صحيح مسلم^(٤) من حديث عبد الله بن عمرو، قال: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ. سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ

(١) شرح الموطأ للخضير (٢٣/ ١٢) دروس متفرعة.

(٢) تفسير ابن سعدی (٦١٠).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه مسلم (٢٩٤١).



خُرُوجًا طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجِ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحَى، وَآيَهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَيْهَا، فَالْآخَرَى عَلَى إِثْرَهَا قَرِيبًا».

قال الطحاوي رحمه الله: «أي أول الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجال ونزول عيسى عليه السلام من السماء قبل ذلك، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج، كل ذلك أمور مألوفة؛ لأنهم بشر، مشاهدة مثلهم مألوفة، أما خروج الدابة على شكل غريب غير مألوف، ثم مخاطبتها الناس ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر، فأمر خارج عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية، كما أن طلوع الشمس من مغربها، على خلاف عاداتها المألوفة أول الآيات السماوية»^(١).

ومن علامة الساعة الكبرى خروج نار عظيمة من قعر عدن تخشع الناس إلى مخشعهم، ففي «صحيح مسلم»^(٢) عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: أطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذاكرون؟» قالوا: نذكر الساعة. قال: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات: ... وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى مخشعهم».

وفي «الصحيحين»^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُخْشَعُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ، رَاعِبِينَ رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشْرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَيَخْشَعُ بِقَبَائِلِهِمُ النَّارُ، تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَبِيْتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا».

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص (٧٥٧، ٧٥٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه البخاري (٦٥٢٤)، ومسلم (٢٨٦١).

ثم يرسلُ اللهُ ﷻ ريحًا لينةً فتقبضُ روحَ كُلِّ مؤمنٍ فقي «صحيح مسلم» (١) من حديثِ أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يبعثُ ريحًا من اليمينِ آتِينَ من الحَرِيرِ، فَلَا تَدْعُ أَحَدًا فِي قلبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ من إيمانٍ إِلَّا قبضتُهُ» وفي رواية: «مِثْقَالُ ذَرَّةٍ».

وبعدَ أن يقبضَ اللهُ ﷻ أرواحَ المؤمنين تقومُ الساعةُ على سِرارِ الخَلْقِ، ففي «صحيح مسلم» (٢) من حديثِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى سِرَارِ الخَلْقِ».

وفي «صحيح مسلم» (٣) من حديثِ أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الأَرْضِ: اللهُ اللهُ».

اللهم قنا شرَّ الفتنِ ما ظهرَ منها وما بطنَ... اللهم أعزِّ الإسلامَ والمسلمين...
اللهم آميناً في أوطاننا، اللهم انقِصنا وانفع بنا واجعلنا هداةً مهتدين.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ، وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالهِرَمِ، وَعَذَابِ القَبْرِ، اللَّهُمَّ
آتِ انْفَسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ
لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا وَسَدِّدْنَا، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالسَّدَادَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ
سَخَطِكَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْنَا، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ نَعْمَلْ.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت. نستغفرك ونتوب إليك.

(١) رواه مسلم (١١٧).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤٩).

(٣) رواه مسلم (١٤٨).



الفهرس

٥	مقدمة.....
٧	مراتبُ الإسلام.....
٩	المرتبة الأولى: الشهادتان.....
٩	١- شهادة أن لا إله إلا الله.....
١٦	٢- شهادة أن محمدًا رسول الله.....
٢٣	نواقض الشهادتين.....
٣٣	المرتبة الثانية: الصلاة.....
٤٠	صفة الصلاة.....
٤٠	الصلاة.....
٤٨	المرتبة الثالثة: الزكاة.....
٥٥	أحكام الزكاة.....
٦٣	المرتبة الرابعة: صيام رمضان.....
٦٣	صيام رمضان.....
٧٠	كيف نستقبل شهر رمضان؟.....
٧٧	آداب الصيام ومستحباته.....
٨٨	فضل قراءة القرآن في رمضان.....
٩٦	آداب قراءة القرآن.....
١٠٦	قيام رمضان.....

- ١١٤ الاعتكافُ أحكامٌ وفوائدُ
- ١٢٢ ليلةُ القدرِ فضلُها وقتُها علاماتها
- ١٣٠ ٥- الحجُّ والعُمرةُ
- ١٤١ مراتبُ الإيمانِ
- ١٤٣ المرتبةُ الأولى: الإيمانُ بالله
- ١٥٢ المرتبةُ الثانيةُ: الإيمانُ بالملائكةِ
- ١٦٠ المرتبةُ الثالثةُ: الإيمانُ بالكتبِ
- ١٧٠ المرتبةُ الرابعةُ: الإيمانُ بالرُّسلِ
- ١٧٩ المرتبةُ الخامسةُ: الإيمانُ باليومِ الآخرِ
- ١٧٩ ١- القبرُ أوَّلُ منازلِ الآخرةِ
- ١٨٩ ٢- أسبابُ عذابِ القبرِ
- ١٩٨ ٣- التَّفخُّعُ في الصورِ
- ٢٠٥ ٤- الحَشْرُ
- ٢١١ ٥- الشفاعةُ
- ٢١٨ ٦- الحَوْضُ
- ٢٢٦ ٧- الحسابُ
- ٢٣٤ ٨- الميزانُ
- ٢٤١ ٩- الصراطُ
- ٢٤٨ ١٠- القِصاصُ يومَ القيامةِ
- ٢٥٦ ١١- وَصْفُ الجَنَّةِ



- ٢٦٦..... ١٢- وَصْفُ النَّارِ
- ٢٧٤..... مَرْتَبَةُ الْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ
- ٢٨٢..... مَرْتَبَةُ الْإِحْسَانِ
- ٢٩٣..... عِلَامَاتُ السَّاعَةِ
- ٢٩٥..... ١- عِلَامَاتُ السَّاعَةِ الصُّغْرَى
- ٣٠٣..... ٢- عِلَامَاتُ السَّاعَةِ الصُّغْرَى الَّتِي ظَهَرَتْ وَمَا زَالَتْ تُتَابِعُ الظُّهُورَ
- ٣١٢..... ٣- الْمَهْدِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
- ٣٢٠..... ٤- صِفَاتُ الدَّجَالِ وَالتَّحْذِيرُ مِنْ فِتْنَتِهِ
- ٣٢٦..... ٥- خُرُوجُ الدَّجَالِ وَالرَّقَايَةُ مِنْ فِتْنَتِهِ
- ٣٣٤..... ٦- نَزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
- ٣٤١..... ٧- خُرُوجُ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ
- ٣٤٩..... ٨- سَائِرُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ
- ٣٥٧..... الْفَهْرَسُ



من أحدث إصدارات دار الإيمان

الإيمان

الستة الباقية

تأليف

أبي عبد الله فضيل بن عبيد قاتر الحارثي

عفا الله عنه

دار الإيمان
الإسكندرية

دار الفتنة
الإسكندرية

ضويب بـ CamScanner



صدر حديثاً

لأبي عبد الله فيصل عبده قائد الحاشدي

- مواعظ النساء .
- الابتلاء السنة الباقية .
- عقيدة المسلم .
- حسن الجوار خلق الأبرار .
- صناعة الرجال .
- مراعاة المشاعر .
- أسرار التوفيق .
- جرح المشاعر .
- حنة الرضا .
- السكينة الخلق المفقود .
- صناعة الحفظ .
- جفاف المشاعر .

• دليلك إلى الفراسة (الطبعة الثانية منقحة ومزينة) .

• المواعظ الذهبية (زاد للخطباء والوعاظ) .

• الفريد في خطب التوحيد .

• البصيرة في خطب السيرة .

• ذوقيات ، حتى نرتق بأخلاقنا .

• نداء المشاعر في الحياة الزوجية .

• صناعة الكتابة (قواعد وأصول) (يصدر قريباً) .

• أعذب الكلام في صلة الأرحام (يصدر قريباً) .

• سلامة الصدر راحة البال ونعيم الآخرة (يصدر قريباً) .

• الجامع في خطب الكباثر (يصدر قريباً) .

• العسل المصفى في سيرة الرسول ﷺ (تحت الطبع) .

داركم المتميزة

دار الإيمان

١٤-١٧ شارع ذهل الخياط - مصطفي كمال الإسكندرية

تلفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩٦ ١٥ ٥٢٢٢٠٠٢

دار الإيمان المتعمدة

دار الفتنة
للطباعة والنشر

أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة - مقابل بنك سبأ - شارع رندع

محافظة لمار - اليمن جول ، ٩٩٢٥-٢٧٥٢

